عايدة أحمد صلاح

ما تحبه النساء في الرجال

دار الطرابيشي
للدراسات الإنسانية



سوق الكتاب الجديد / أمام مستشفى الحسين الجامعى
رمز بريدى : ١١٥١١ ـ ص . ب : ٢٢٢٧ القاهرة
جمهورية مصر العربية

La Maison de Tarabichi
Pour Les Etudes Humaines
Marché du Nouveau Livrt
Devant Lhôpital Universitaire du Hussein
Signe Postali 11511 - S . B 2227
Le CAIRE - R . A . E

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

شاء الله عز وجل أن تقوم الحياة على الرجل والمرأة، لا تقوم حياة بدونهما معاً، وركز فى نفس كل من الرجل والمرأة غريزة الانجذاب إلى الآخر لتعمير هذه الأرض ولتحقيق الحكمة الإلهية من الخلق بإيجاد النسل والذرية التى تعبد الله عز وجل.

فالعلاقة بين الرجل والمرأة علاقة لا تنفصم أبداً ولا تنقطع مادامت حياة الإنسان على هذه الأرض وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

هذه العلاقة هى محور هام من المحاور التى عالجتها الأديان السماوية وخاصة الإسلام. لقد أرادت الأديان أن تقوم هذه العلاقة على أساس من الطهر والنقاء والحياء والعفاف، ولا شك أن الحياة مليئة بشتى الأفكار ووجهات النظر والتطلعات عن هذه العلاقة، فتجد من يود أن يشد هذه العلاقة نحو الانفلات والفسوق والحرية المزعومة، ومنهم من يرسخ فى نفوس الشباب والشابات عشق بعضهم بعضاً.

ولكن الإسلام له رأى آخر يقيم هذه العلاقة على احترام الرجل والمرأة لبعضهما البعض، على أن يرتفع كل منهما عن الافتنان بالجسد وبالجمال، وأن ترتقى مفاهيمهما عن بعضهما إلى المقام اللائق بكائنين تقوم على أكتافهما مسئولية إعمار هذا الكون.

وهذا الكتاب الذى يعتبر أحد كتب سلسلة تتعرض للعلاقة بين الرجل والمرأة وللحياة الزوجية التى ترفرف عليها السعادة والطمأنينة وتتعرض لأسس العلاقة الجنسية السليمة الشرعية بين زوج وزوجة حتى يهنأ كل منهما. ويتحقق الوفاق بين نفسين أو روحين كل منهما سكن للآخر.

وكتابنا الأول فى هذا هو « ما يحبه النساء فى الرجال » ولا شك أن النساء يختلفن فى أهوائهن واهتماماتهن وما تتعلق به قلوبهن، فقد تحب امرأة الرجل الحيى الذى يتسم بحسن الخلق والطهر، وقد تحب امرأة رجلاً يتسم بصفات مخالفة لهذه الصفات فيكون رجلاً بذيئاً وتنظر هى إلى هذا على أنها

جرأة يتطلبها العصر الذى نعيش فيه.

قد يستهوى امرأة الرجل القوى الجسم المعجب بقوته حتى وإن افترى على غيره من الضعفاء أو سلبهم حقهم لأنه القادر على تحقيق آمالها وطلباتها الحياتية من ملذات وشهوات وكماليات واكسسوارات.

ولا شك أن هذا أمر يرجع إلى البيئة التى تربت فيها هذه المرأة أو تلك. ولهذا يجب أن نهتم جيداً بالأسرة المسلمة لتحسين البيئات التى تنشأ فيها الأجيال المختلفة من شباب وشابات فهؤلاء هم الذين سيكوِّنون أسراً جديدة فى المستقبل، ولذلك نجد فى الحديث الشريف:

« اتقوا المرأة فى المنبت السوء »

وقد حث الإسلام على الاختيار الصحيح ليس للزوجة فقط بل للزوج أيضاً، فالمرأة يجب أن تضع فى ذهنها صورة قويمة لرجلها الذى سيصبح شريك حياتها ورفيق عمرها، فليس الأمر نزوة أو شهوة، فالزواج ليس كذلك، والإسلام لا يعترف بين الرجل والمرأة إلا بعلاقة الزواج.

لذلك أوصى رسول الله ﷺ الآباء فقال: **« إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير »**.

دين قويم مستقيم وتدين يحمى الإنسان من الانزلاق فى مهاوى الرذيلة سواء لنفسه أو لزوجه، تدين يجعل الرجل يحترم ويحب زوجته أيما حب، ليسود التفاهم والود، وحتى إن كرهها لا يهنها فلا يسبها أو يسب أباها أو أمها ولا يضربها.

فبهذا أمر رسول الله ﷺ الآباء أن يزوجوا بناتهم من الأتقياء الصالحين الذين يراقبون الله فى كل أعمالهم وأفعالهم، لأن الواحد منهم سيحفظ زوجته فلا يكرهها على مجالسة الرجال بدعوى الصداقة، أو يدخل عليها من لا ترضى.

بل هو رجل مؤمن تقى صادق نقى طاهر يسعى على أن يطعم زوجته وأولاده من الحلال الطيب المبارك فيه الذى يؤتى ثماره الطيبة.

ولذلك نجد أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عندما مات زوج ابنته حفصة عرضها على أبى بكر الصديق ثم على عثمان بن عفان رضى الله

عنهما لأنهما رجلان صالحان ولم يكن فى ذلك حط من شأن حفصة، بل أراد أن يخطبها إلى رجل صالح، فقد أكرمه الله وأكرمها بأن تزوجها رسول الله ﷺ.

والمثل الشعبى يقول: « اخطب لبنتك وما تخطبش لإبنك ».

والناظر فى فقه عمر رضى الله عنه وفراسته نجده قد أعطى للمرأة حقوقاً تمس أدق مشاعرها إدراكاً منه لكونها إنساناً. فنجده حدد مدة غياب الجندى عن زوجته بما لا يزيد عن ثلاثة أشهر فتكون هذه أقصى مده، فللمرأة حق فى أن تجد زوجها بجانبها تسعد معه وتقى به نفسها من الفتن.

وكان رضى الله عنه يتزين ويقول: إن المرأة تحب أن يتزين لها زوجها كما يحب هو أن تتزين له زوجته.

إحساس مرهف ومشاعر إنسانية رقيقة وفكر صائب سديد عملت أبحاث ودراسات كثيرة وطويلة وفى النهاية وصلوا إلى فقه عمر.

والأكثر من هذا أنه كان يسبق الوحى الإلهى، ففى مسألة الحجاب مثلاً أدرك عمر أنه من حق المرأة على الرجل صيانتها وحفظها عن أنظار وتطلعات الغرباء، فالمرأة تحب من رجلها هذا أن يحيطها بالرعاية أن يصونها عن الدنس ومواضع الشبهات فلا يرتاد بها الملاهى الليلية والمراقص مما تفقد معه الكثير من هيبتها وحيائها وقيمتها عندما ينظر إليها الآخرون بعيونهم وتجد زوجها ينظر إلى الأخريات، لا شك أنها ستتجرأ عليه ويفقد رجلها احترامه أمامها، فهو تركها نهباً للأنظار الجائعة تنهش مفاتنها التى تحب أن تعطيها المرأة السوية لرجل واحد هو زوجها.

تلك مقدمة أردنا بها أن نعطى فكرة عن ما ينحو إليه الإسلام من مبادئ سامية تعلى قدر العلاقة بين الرجل والمرأة فى إطار الزواج بعيداً عن العلاقات المحرمة المؤثمة والانفلات الجنسى الذى جَرَّ الويلات والأمراض على البشرية، وها هو مرض الإيدز ينتشر فى البشر كانتشار النار فى الحطب اليابس.

والله الموفق للسداد والصواب.

الناشر

سامى الطرابيشى



هذا كـلام لكـل امـرأة نظرت إلى الـرجل الذى تحب، والأولاد الذيـن نحب، وناجت نفسها بقولها « الحياة كلها لهم وعنهم، فماذا لى وعنى؟ »

استعملوا عـبارة أزمة الهوية الذاتية استعمـالاً كثيراً فى سنوات خلت، وفكروا رجالاً ونساءً فيما تحمله من معانٍ لم يستجلوا حقيقتها.

وقد استعـان المحلل النفسانى اريكسون بالعبـارة لشرح ذلك الطور الهائج المائج الذى يواجه فـيه المراهق أسـئلة كهـذه: «من أنا؟» «ماذا أريد وأعـتقـد؟» «ما هى قيمى، ومذاهبى وأولياتى وأحلامى؟»

وأجاب أريكسـون على هذه الأسئلة مرسـخاً اتجاهاً معـقولاً فى «هذا أنا» التى يجب أن تسبق العلاقة الحميمـة، وتنفتح المرأة بوساطتها على شخص آخر بالحب، وثمرات الحب، والحـرص على استـمرارية الجنس البـشرى، المتـمثلة بالأمـومة، والأبوة، وإن لم يتحقق هذا بنظام وتسلسل.

كم شـخـص منا كـوّن الفكرة عـمن نكون عندمـا تغلغل الحب فى قـلوبنا، وتزوجنا، وأنجبنـا ؟ الأمر عكس ذلك، فمـعظم النساء اللواتى تجـاوزن الثلاثين، وربما اللواتى لم يبلغن الثلاثين أيضاً، اعتبرن الزواج والأمومة وسيلة كبرى لتحديد الهوية الذاتية. وكـان اختيار الرجل قـرار حياتهن الأكبر - القـرار الذى يضعنا فى مكاننا اللائق من الحياة، كما يحدد اسمنا الجديد. . . حتى لو التحقنا بالجامعات أو خضنـا ميدان الأعـمال، وازدهينا بأدائنا، فـإن هذه النواحى فينـا تتخذ لهـا مكاناً خلفـياً، أو منزلة ضـئيلة الشـأن عـقب زواجنا. . وعلى وجه العـموم فى الألفـة والحب، والتناسل - أى فى حب الآخرين وخدمة الآخرين - توقعنا أن نعثر على أنفسنا !

كان هذا لبعض النسـاء الأمر الواقع والمنتظر. وعلى هذا النمط استمـرت الحياة لهن. ولا اعـتـراض على امـرأة متـزوجـة وذات أولاد. بيـد أن المرأة فى مـعظم

الأحيـان، تشعـر خلال مـرحلة كهـذه أن نموها الذاتى اصطدم بسـدّ، وأن الخيط الواهى لهويتها قد أفلت فى خضم احـتياجات الأولاد، وقلق الأب المنهك بالعمل المنقطع عن الاتصال والمواصلة.

وربّ امرأة وصفت شعور الضياع هذا، أو جاهرت بأنها أخفقت فى العثور على ذاتها فى الزواج.

منهن من قالت: «كأم فى السابعـة والأربعين، أتمنى أن أعرف «من أنا» وما إذا كنت لا أزال على قيد الحياة»

كتبن الرسائل وبعثن بها. كلهن تجاوزن سنّ المراهقة بأعوام، «والاستثناء الوحيد كان امرأة فى التاسعة عشـرة، تعمل سكرتيرة ولها طفل». وهن - هاتيك النساء - يتجمعن تحت فئتين من فئات العمر - من فى أواخر العقد الثانى مع من فى أوائل العـقد الثـالث ولهن أطفـال. . . . ومن فى أواخـر العـقد الرابـع وأوائل العقـد الخامس، وأولادهن أحداث وبالغون. والجميع يعانين من «أزمة هوية».

ورغبت فى معـرفة العناصر والعوامل فى نفس المرأة وفى زواجهـا، التى تجعلها تهمل أو تكبت شعورها بالذات فى الدرجة الأولى، وماذا يقدح زند حاجتها الماسة إلى اكتشاف من تكون، ويمكّنها من الاستـجابة لهذا الإلحاح الباطنى بأقل قدر من الضرر يلحق بها وبأسرتها.

والأمر ليس بهـذه السهولة، لأنه مـهما ألحت هذه الأسـئلة، وأولها «من أنا»، فهى حتـماً تحمل فى طياتها الاضطراب والجـيشان العاطفى الذى تلقـاه فى مراهقة تتخـذ الأهبة لمغادرة منزلهـا - الكتابة، والتحرر، وخـيال جامح يصـور فى ذهنها أزهى الصور عن إمكاناتها:

«أستطيع أن أكون كاتبة روائية، أو موظفة تنفيذية، أو رحالة عالمية!».

أو عن قابليتها للافتتان:

« أحب الرجل الآخر، فهل أوافق على صداقته ومصاحبته؟؟؟ »

أو عن نزاع ملتهب بين الاعتماد وعدم الاعتماد:

«قدر ما أتوق إلى إعالة نفسى، أخشى من الفكرة حتى الموت، ولكن ما السبب؟»

الفرق هو أن التى تعبر نفق هذه الأزمة ليست مراهقة غير مسؤولة، تترامى أمامها الحياة، ولا تشعر بالمسؤولية الكبرى. وإنما هى امرأة نامية مدركة ذات زوج وأولاد، يقيمون معاً تحت سقف واحد. وهى بسببهم لا تستطيع أن تخرج ترسم لنفسها هوية جديدة، فلها هوية. ورغم أن هذه الهوية فقدت معناها ولم تعد حاملة لسماتها، أو تسمح لها بالتقاط أنفاسها، أو تتيح التبدل والنمو المطرد، فهى ما برحت تؤلف الجزء الحيوى الجوهرى من بنية أسرتها، ومن ضماناتها الذاتية. وزوجها قد يكون له مصلحة ونفع فى بقائها كما هى، وكما كانت، وكما ستكون!

وهكذا فإن أزمة هوية الزوجة مشحونة بمزيد من الهموم المشتتة التى تتنازعها صبحاً وعشياً: الشعور بالذنب لدى تفكيرها باحتمال تقوض صروح أسرتها.. التخوف من تبدد حالة الأمن والاستقرار المالى والعاطفى.. الاستعجال، لأنها ترى نفسها تتقدم فى السن، وتعلم أنها لن تخلّد!

وفوق كل ما تقدم، فالأزمة مكتوب لها الدوام. وفى الواقع، إن النساء الملتفتات إلى الوراء... إلى زمن مضى وانقضى.. إلى الأمس البعيد والقريب.. يجاهرن بالإجماع بأنهن عبرن حاجز اللهب وخلفنه وراءهن بشعور مفعم طمأنينة، رست قواعده على مستجدات نفسية، ويعلمن بثقة ويقين أنه باق، وأن الطمأنينة والأمن باقيان.

أول إشارة بأن الأزمة تختمر وتتجمع، هى الكآبة والفكرة المتجسمة بأن الزواج ليس ما حلمت به. وشعورها هذا بالشك، وبزوال الأمل، مع الشعور بالذنب لأنها جاحدة أظهرت العقوق ونكران الجميل.. فى وقت تقول غيرها: «نلت كل ما أصبو إليه..» وغيرها: « لى منزل جميل فى الضاحية، وسيارتان.. وزوجى يحتل منصباً يحسد عليه، فأى امرأة بلهاء تتخلى عن كل هذا؟!»

ورغم هذه الأقوال وما شابهها، فإن النقيض يقع: امرأة عمرها ٥٢ عاماً طمأنت نفسها طوال ٣٥ سنة، بأنها بعد زواجها كانت سخيفة حمقاء.. فزوجها صالح ومحب، وبيتها جميل لا ينقصه شىء.

وغيرها هتفت بحماسة: «ماذا دهانى؟ زوجى سامى الخلق وقدير فى أعماله،

وحياتى مضمونة يسود جوها الوئام، فلم لا أقنع بما أسبغه الله علىّ؟ ولقد شككت فى سلامة عقلى، وأجريت الفُحوص الجسمية والعقلية، وتأكدت من هذه السلامة.

لكنهن عاقلات مدركات، وشعورهن بنقص ما، يؤكد استعدادهن للنمو والتفتح على الحياة، ولا يعنى النمو أنهن ألقين بزواجهن وراء ظهورهن، واتجهن إلى الطلاق، بل معناه أنهن سبقن فى هذا النمو حالة زيجية تدعى «الاتحاد العشقى!».

متى ارتبط اثنان بالزواج، يرى كل منهما فى الآخر رفيقه المثالى، وتتمته، وصدى نفسه. والاثنان يبتهجان أعظم ابتهاج بما يريانه من اجتماع قلبيهما على قواسم مشتركة: الاهتمامات التى تشدهما وتدمجهما، والمقررات التى يتخذانها بالموافقة.. ولكن الأمر عملياً يختلف، فالاهتمامات يتولاها هو، والقيم تنبع منه، والمقررات عن أفكاره البحت.. إن الأسباب شتى لما تبديه المرأة من إذعان، فتضحى مسرورة ببعض من فرديتها وشخصيتها.

* صفات المرأة وطباعها وشخصيتها :

النساء على وجه العموم ينشأن ميالات إلى التكيف، والتطبع، والامتثال، والتجاوب، والإذعان، إبقاءً على الودّ والرغبة فى الإرضاء. وبينما الرجال يتعلمون منذ نعومة أظفارهم أن يقدروا الإنجاز الحسن، والمبادىء القويمة، نجد المرأة تُعير الحب أوفى نصيب من العناية والرعاية، وبنوع خاص متى كانت فى غضارة العمر.. فهى فى تلك السن الطرية تؤمن بأن الحب معناه الاندماج والانصهار فى بوتقة واحدة، أو على الأقل الانسجام الكامل مع الزوج المحب.

وقد يعتقد الرجال بأن الحب معناه الاندماج، إلاّ أن فكرتهم فى الاندماج تخالف فكرة نسائهم، هى على الأرجح: «أخيراً وجدت المرأة التى توافق على كل شىء، ولا تعارض أى شىء».

وما أكثر النساء اللواتى يوافقن بحبور على هذا الرأى، لظنهن أنها الطريقة المثلى للتعبير عن حبهن، والضمانة الكبرى للحفاظ على حب الزوج.

بهذه الموافقة تقذف المرأة بشخصيتها كلها فى شخصية الرجل.. ربما لرغبتها فى إقامة وحدة موحدة متشابكة.. وهذا ما تعتقده بأنه الزواج!

* خسارة أقل :

المرأة التى لم تتعرف على نفسها قبل الزواج، قد لا تعرف بعده أين تقع مصالحها، وآراؤها، وما تعتقده وتؤمن به، ولهذا لا تأنف فى مستهل الأمر أن تتبنى وجهات نظر زوجها، ومصالحه، وأسلوبه فى العيش.. بل هى تغرق نفسها فى هذه الشؤون، والقيم، ووجهات النظر السياسية والاجتماعية الطارئة، وربما المناوئة والمعارضة.. تتخلى عن أبويها ونمط حياتها فى بيتهما، لتتبنى أسلوباً ونمطاً ألفهما زوجها.. وقد ينبئها بمن تكون هى، وبما يخلق بها أن تفكر فيه!

* نقص فى الثقة بالنفس وتقدير قيمتها :

امرأة غضة صغيرة السن تنقصها الثقة بالنفس تغتبط متى انقادت لرجل يتصرف بثقة وكفاءة «وقد تكون متكلفاً هذا كله تكلفاً!»، والتى تفتقر إلى الشعور باحترام النفس، تتوق إلى الموافقة، وتخشى أن ينجم عن أى احتكاك مع زوجها ما يؤدى إلى الرفض والقطيعة! وعدم ثقتها بأنها جديرة أن تُحب تجعلها تذهب إلى أبعد مدى لترغم زوجها على الشعور بحاجته إليها.

مثل هذه المرأة المبلبلة تجتذب فى أكثر الأحيان رجلاً ضعيف الإرادة، واهناً، يتصرف بعنجهية، ليدخل فى رُوع الغير أنه حائز على صفات الرجولة! ومن جملتها صفات السيطرة: هذا الرجل يفتش عن شريكة لحياته لا تسأل ولا تجادل.

قالت وهى تكفكف عبراتها: «فقدت نفسى لأن حب شخص ما أضحى هدف هذه النفس. جسدى وقلبى خسرا.. وعقلى خسر! كان المفروض كما ظننت، أن

أحب أولادى أكثر من محبتى لذاتى!».

والتى فقدت هويتها وشخصيتها تلد الأطفال، فينصرف زوجها عنها لانشغالها المتواصل بهم، ولرغبته ربما فى الترفيه والتسلية... فى هذه النقطة الفاصلة تشرع فى قدح زند الفكر. تقول بعد أن تكشفت لها أمور عَمِيَتْ عنها ردحاً: «يجب أن أكون أحداً.. لن أبقى انعكاساً لزوجى!».

والعمر له يد فى نوعية المرأة الفاقدة الهوية، فمتى نمت وتجاوزت الثلاثين تنمو مع السنين قوتها، وتتفتح براعم عقلها، وتأخذ فى اكتساب الثقة بالنفس، ولو ببطء. والكآبة التى تنتابها فى هذا العمر تأتى من الإدراك اللاواعى بأنها لا تكون صادقة مع نفسها عندما تذعن هذا الإذعان المسترسل لزوجها.. فهى لها احتياجات خاصة، وآراء خاصة، ومصالح خاصة، تتباين مع ما لزوجها. ومتى اخترق الإدراك الباطنى هذا مجال اللاوعى إلى مجال الوعى، يفقد الاتحاد العشقى سحره. وكالجليد الذائب، تفسح الكآبة ممراً لفترة من الشعور بالتكافؤ، ويجيش الاضطراب فى أعماقها.

والمرأة التى تستمر فى الاعتقاد بأن الزواج الصحيح هو اتحاد عشقى، قد تخاف أن يكون لاختلافها مع زوجها فى رأى من الآراء معنى انقطاعها عن حبه. ولهذا لا تكفّ عن الإعراب بغلوّ عن هذا الحب، معتقدة أن العلاقة برمتها تتوقف على تكلفها وأن إماطة اللثام عن شخصيتها وهويتها تجعله يسارع إلى استرداد حبه! وكيف تحيا إن بدا منه الصدّ؟ والجفاء؟ والاستهجان؟ وتمضى فى كتم مشاعرها، فى الوقت نفسه تحلم فى اليقظة بالهرب!

وتقول المرأة متى بلغت هذه الدرجة من القبول والرفض، أو من الحيرة التى تسربت إلى أفكارها واليقين: «إنى أتمنى أن يغيب برهة قصيرة لأحيا حياتى، وأتنفس ملء رئتى، وأستكشف نفسى بعيداً عن الضغط الذى يمثله وجوده!».

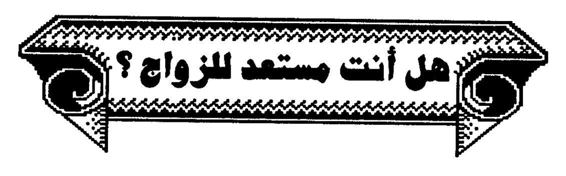
ولا مرية أن الزوج يرتكب الخطأ المدمر إن اعتقد أنه يستطيع المضى فى فرض سيطرته. ومن الأمثال المؤيدة لهذا، كلام لامرأة برمت بحياتها، وبرمت بزوجها:

« زوجى يرفض تقبل الواقع بأننى أحتاج إلى حياة خاصة بى، وإلى صديقات.

يريدنى أن ألازم البيت ليلَ نهـار، وأن يجدنى فى كل حين متى طلبنـى، حتى بعد جولاته المريبـة. ويتظاهر أحياناً بـرضاه عن مشروع للـترفيه أقـترحه، وفى الخـفاء يعكف على عرقلة المشروع!

لقد استـيقظت من حلم رهيب، والتفت إلى الماضى، فـإذا بالماضى صحراء لا ماء فيـها ولا نبات ولا هواء! إنها صحراء حـياتى، مكثت فيها عـشر سنين، وحان الآن الوقت لأنتقل إلى الأرض الخـصبة، إلى الحيـاة الرائقة، حتى لو ضـحيت به وبابنى الصغير، وإلاّ فالموت أحلى وأعذب! »





* أربعون سؤالاً يساعدونك على الإجابة :

«كل ما فى الأمر أنهما لم يكونا مستعدين للزواج بعد»

هذه العبارة كثيراً ما تُطرح لتفسير إقدام زوجين على الطلاق. ويشير هذا التفسير فى جوهره، إلى القيمة والأهمية التى يعطيها أحد الزوجين أو كلاهما لكونه متزوجاً. قد يستطيع الزواج أن يحتمل المعضلات المالية أو الجنسية، إلا أنه لا يستطيع السير فى طريق النجاح إذا كان بين الزوجين من لا يعطى العلاقة الزوجية مدلولها.

هل تفضل أسلوباً حياتياً ثابتاً يمكن التكهن بمجرياته، أم أنك تفضل التنوع والتغيير ؟ هل تقوم أفضلياتك على الرفقة أم على الاستقلالية. . ؟ باستطاعة طريقة تقييمك لهذه الأمور أن تلعب دوراً رئيسياً فى التأثير على قرارات إقدامك على الزواج. وباستطاعة الاختبار التالى الذى أعدّه عدد من الخبراء أن يساعدك على اتخاذ قرار حول ما إذا كان زواجك فى هذا الوقت من حياتك هو التصرف السليم المناسب.

عبر عن ردود فعلك تجاه الأقوال التالية بكل ما تستطيعه من صدق وإخلاص. كل نبذة تحتوى على قولين (أ) و (ب) ، عليك أن تشير إلى ما يعكس رأيك الشخصى وما تفضله منهما، وذلك بوضع علامة × أمام الخط (أ) أو (ب) المعنيين:

١ ـ (أ) لن أشعر بالحياة إلا إذا كنت متزوجاً.

(ب) أعطنى الحرية أو أعطنى الموت.

٢ ـ (أ) ما «أفضل القيام به من الأمور» هى تلك التى تعتبر أشياء نموذجية لدى الأشخاص المتزوجين.

(ب) هواياتى واهتماماتى هى هوايات واهتمامات شخص عازب.

٣ ـ (أ) كَوْنى متزوجاً يستطيع إعطائى مزيداً من الطمأنينة التى أريدها.

(ب) كونى عازباً ربما يستطيع أن يوفر لى مزيداً من الفرص الوظيفية التى أريدها.

٤ ـ (أ) أحب أن أقضى إجازتى فى مكان ما مع زوجتى دون وجود آخرين.

(ب) أحب أن أقضى إجازتى مع أشخاص مختلفين فى الأوقات المختلفة.

٥ ـ (أ) يعنى الزواج أن تكون مكتفياً جنسياً.

(ب) تعنى العزوبية أن تكون مكتفياً جنسياً.

٦ ـ (أ) أفضل طمأنينة واستقرار الحياة الزوجية.

(ب) أفضل الاعتماد على الذات وعنصر المغامرة اللذين تؤمّنهما العزوبية.

٧ ـ (أ) أريد الحصول على الجنس والعواطف الحميمة من شخص واحد يعوّل عليه.

(ب) أريد عدداً متنوعاً من الحبيبات.

٨ ـ (أ) للزواج قيمة كبيرة يبالغ الناس فى تجاهلها.

(ب) يبالغ الناس بالقيمة التى يعطونها للزواج.

٩ ـ (أ) أنا مستعد للعمل على توفير السعادة لشريكة حياتى.

(ب) لا أريد أن أكون مسؤولاً عن سعادة شريك حياتى.

١٠ ـ (أ) الحياة الزوجية أسلم أخلاقياً.

(ب) أريد ممارسة الأمور حينما أريد دونما قيود عائلية.

١١ ـ (أ) أنا مستعد لمشاركة الزوج حياتى ومدخولى.

(ب) أنا مستعد للمشاركة بالمتع والمسرات. ولكن دون جدية بالغة.

١٢ ـ (أ) أؤمن أن الزواج ضرورى للناس.

(ب) أظن أن الناس سيكونون سعداء أكثر وهم عُزّاب.

١٣ ـ (أ) يأتى الجنس أفضل مع الزوجة وحدها فقط.

(ب) الجنس أثمن من أن نحصره بشخص واحد.

١٤ ـ (أ) باستطاعة مستقبلى المهنى أن يفيد من كونى متزوجاً.

(ب) تستفيد خطتى الوظيفية من كونى عازباً.

١٥ ـ (أ) أفضل لغالبية أصدقائى أن يكونوا متزوجين.

(ب) أفضل لغالبية أصدقائى أن يكونوا عزاباً.

١٦ ـ (أ) باستطاعة الزواج أن يكون تجربة جميلة.

(ب) باستطاعة الزواج أن يكون شركاً أقع فيه.

١٧ ـ (أ) أريد معرفة مَنْ هى التى سأثابر على النوم معها طيلة البقية الباقية من حياتى.

(ب) لا أريد أن أكون على معرفة بمن سأنام معها طيلة البقية الباقية من حياتى.

١٨ ـ (أ) الأذكياء من الناس يقدمون على الزواج فى هذه الأيام.

(ب) الأذكياء من الناس عزاب فى هذه الأيام وهم المستفيدون من ذلك.

١٩ ـ (أ) متع الزواج رائعة.

(ب) مخاطر الزواج السيء تؤدّى إلى أكثر من مجرد القضاء على كل المتع.

٢٠ ـ (أ) يسير «الحب» و «الزواج» جنباً إلى جنب.

(ب) يسير «الحب» و «الاستقلالية» جنباً إلى جنب.

٢١ ـ (أ) لا بأس عندى أن نتشارك المصاريف وحساب البنك.

(ب) إننى أكثر استقلالية ولا تروق لى إطلاقاً فكرة المشاركة فى مالى مع زوجة.

٢٢ ـ (أ) أريد تكريس كل طاقة لى على الحب فى علاقة دائمة.

(ب) لا تسعدنى علاقة حب مقصورة على امرأة واحدة.

٢٣ ـ (أ) الفوائد الاقتصادية لكونى متزوجاً لها أهميتها بالنسبة إلىّ.

(ب) أحب فكرة عزوبيتى بحيث أستطيع صرف مالى حسبما أريد.

٢٤ ـ (أ) أن أكون متزوجاً له أهميته من وجهتى النظر الأخلاقية والدينية.

(ب) لا أظن أن للأخلاق والدين علاقة بالأوضاع الزوجية.

٢٥ ـ (أ) ممارسة الجنس مع الزوجة هى أفضل بكل تأكيد.

(ب) للفرص الجنسية المتعددة التى توفرها العزوبية فائدة عظيمة.

٢٦ ـ (أ) حظى الأكبر بالنمو الذاتى يأتى من خلال الزواج.

(ب) حظى الأكبر بالنمو الذاتى يأتى من خلال الاستقلالية.

٢٧ ـ (أ) أفضل مشاركة مخاطر الحياة مع زوجة.

(ب) عزلتى هى أكثر أهمية بالنسبة لى من أهمية كونى متزوجاً.

٢٨ ـ (أ) أريد من الزواج علاقة يمكن الاعتماد عليها وتستمر طيلة الحياة.

(ب) أفضل العيش بحرية وسهولة وعزوبية.

٢٩ ـ (أ) سوف أكون مستعداً لإدخال تغييـرات رئيسية على حياتى، كالانتقال إلى بلد آخر، إذا اقتضى زواجى ذلك.

(ب) لست مستـعداً للانتقال إلى أى مكان أو القبول بأية تغـييرات تطرأ على حياتى بسبب الزواج.

٣٠ ـ (أ) الزواج علاقة مقدسة.

(ب) كثيراً ما يكون الزواج هو الجحيم بعينه.

٣١ ـ (أ) تسلياتى قائمة على اهتمامات ونشاطات عائلية.

(ب) تسلياتى هى من النوع المقصور على العزاب.

٣٢ ـ (أ) ستروق لى الطمأنينة التى يؤمنها الزواج.

(ب) أفضل الحرية التى تؤمنها العزوبية.

٣٣ ـ (أ) كم سأحب أن أرزق بأطفال.

(ب) لا أريد أن أتحمل مسؤولية عائلة.

٣٤ ـ (أ) الزواج يخفف ضريبة الدخل، ويقدم فوائد مالية أخرى.

(ب) أفضل صرف مالى حسبما أريد.

٣٥ ـ (أ) أفضل خوض الجنس وتبادل العواطف مع زوجتى طيلة الحياة.

(ب) أفضل علاقات غرامية مع نساء متعددات.

٣٦ ـ (أ) أفضل الرفقة الثابتة التى يقدمها الزواج.

(ب) أفضل متعة الرفقة مع حبيبات متعددات.

٣٧ ـ (أ) أتمتع بقضاء وقت الفراغ مع زوجتي.

(ب) أفضل قضاء وقت فراغي حسبما أريد.

٣٨ ـ (أ) إذا كان عليّ الاختيار بين التقدم الوظيفي والزواج، سأختار الزواج.

(ب) إذا كان عليّ الاختيار بين التقدم الوظيفي والزواج سأختار الوظيفة.

٣٩ ـ (أ) باستطاعة المتزوجين أن يعتمدوا على الاكتفاء الجنسي الذي يحصلون عليه في شريك موثوق.

(ب) يستطيع أنصار العزوبية أن يحصلوا على حبيبات من مصادر لا تنضب.

٤٠ ـ (أ) يقتضي الزواج القبول بحلول وسط في قضايا رئيسية، وأنا مستعد لهذا بحلول.

(ب) يقتضي الزواج قبولاً بحلول وسط في قضايا رئيسية، وأنا لست مستعداً لحلول لها.





الزواج قسمة ونصيب

ويأتى الحب فجأة.. فى وقت لم نتوقعه وظروف لم نحسب لها حساباً.. وفى حالات لا نرتجيها ومع أشخاص لم يدر بخلدنا يوماً أننا سنحبّهم ونتزوج منهم.

* لقصتى بداية كئيبة موحشة، كنت ألتقى رجلاً متزوجاً، أحببته حتى الموت. . . أحببت كل ناحية من كيانه، ثم حملت منه، فأرغمنى على الإجهاض، وغادرنى إلى غير رجعة. . خطيئة مميتة، شعرت بعدها بضيعة الآمال.

ثم، فى ليلة، ونزولاً على الإلحاح ذهبت إلى احتفال. ماذا أقول؟ بسرعة خاطفة التقيت رجل أحلامى، رجل ذو عقل راجح وعلم واسع وأخلاق ودماثة. إنه كل ما رجوته، وهو يشعر مثل ما أشعر به من الارتباط.

ج.ك. ٣٦ سنة، موظفة

وقعت فى حب المحامى الذى عهدت إليه بقضية طلاقى. . مرّ بى العام الماضى بسمائه المتلبدة بغيوم الألم والحزن، لما تخلّلها من محاولات الانفصال والطلاق. هذا العام أنا مخطوبة لرجل يشيع الدفء من ثناياه - حسّاس، بارع، يتبوأ قمة مهنته.

لينا ، ٣٧ سنة

التقيت رجل الأحلام بواسطة ركن التعارف فى الجرائد والمجلات كنت أقلّب صفحات مجلة، فاسترعى انتباهى إعلانه. كان يبحث عن امرأة تنطبق أوصافها على أوصافى. فكتبت له جواباً قليل الكلمات كثير المعانى، وأرفقت الجواب بصورتى. بعد أسبوع، اتصل بى ودعانى إلى مطعم فخم. وذهبت وأنا أنتظر أسوأ النتائج، ووجدت أفضلها! ترافقنا بعد العشاء أياماً أثمرت عن زواج تجلُّ سعادته عن الوصف

أميرة، ٢٥ سنة، مزينة شعر

كنت سمينة. لا أقصد مكتنزة الفخذين. أعنى كنت بدينة ككل. لم أدّخر وسعاً في تخفيف وزنى، بالحمية وغيرها من الأساليب ولكن محاولاتى باءت بالفشل. وعشت وحيدة يائسة، ألتهم ما يقع عليه بصرى. أخيراً انضممت إلى معهد خاص بالتمارين يتقاضى الأجور الكبيرة. وكان أحد المدربين شاباً وسيماً، دمث الخلق، مفعماً بالحياة، وقد جعلنى منظره الرائع أشعر بحافز قوى على تحقيق وطرى.. وكان هذا الرجل الهمنى وأوحى إلىّ. لم أفقد من وزنى عشرين كيلوغراماً فحسب، بل فزت بحبيب.

أمانى، ٢٤ سنة، سكرتيرة

الصخب الثقافى صفتى.. إنى أعترف.. والمحاكاة سمتى.. ولكم كان شعورى بالذهول شديداً حينما تولّعت بصاحب مقهى صغير لا يبعد عن منزلى كثيراً. وكان الأساتذة الذين أجالسهم فى المقهى يرتشفون مشروبهم الوحيد ساعات متوالية، وهم يبحثون فى نظرية ما. لم يخالجنى شعور بالسأم إلا بعد شروعى فى مكالمة شريف. كان خريج المدرسة العالية، ولم يلتحق بكلية أو جامعة، ولكن عقله كان يلمع كالماسة..

المفكرون والعقلانيون يتكلمون عن الشعر، ولكن شريف كان بحد ذاته شعراً.

ماغى، ٣٤ سنة، مدّرسة اللغة الانجليزية

أبى كان يموت بمرض السرطان، أحببته وقاسيت من اللوعة أهوالاً. وكنت قد انفصلت عن زوجى بالطلاق، وفكرة خسارته أشد إيلاماً فتّت فى عضدى وطوّحت بى فى وهدة اليأس والقنوط. والشىء الوحيد الذى عزّانى وخفّف من مصيبتى تردد طبيب أبى على بيتنا. كان من أرق الناس فى معاملته، وألطفهم فى كلامه، وكان ذكياً ثاقب الفكر. فى بعد ظهر أحد الأيام اشترى لى فنجان قهوة. وبعد ذلك طفقنا نقضى بعض الأمسيات معاً. وتعمقت جذور الصداقة بيننا، وتحولت إلى ولع، وما عتمنا أن أصبحنا خطيبين قبل وفاة أبى بقليل. وتوفى أبى، وتمنيت لو عاش أياماً إضافية ليرانا متزوجين.

سوزان، ٣٢ سنة، مدرّسة

كنت فى حالة من اليأس يرثى لها، أعيش على العقاقير المسكّنة، والجلسات المتكررة مع الطبيب النفسانى، فى محاولة جمع أنقاض زواج محطم، وطلاق حرمنى من أولادى. وبدافع من يأسى ذهبت فى ليلة إلى احتفال للعزاب والعزباوات، كان هذا آخر فرصة لى. وقد شعرت بذلك. وحين التقيته قاومت فى البدء، فقد تحرقت على نار الأمل حتى استمرأته. ولكنه كان مؤدبا مهذباً، مقنعاً بكلامه. وأخيراً أذعنت، وما هى إلا أيام حتى طلب يدى، فوافقت بقلب يخفق وكأنه يحاول أن يخترق السدود لفرحته.

ساميا، ٣٢ سنة

منحت مؤخراً درجة الدكتوراة، ولكن بدلاً من الشعور بالسعادة لنجاحى، خالجتنى أفكار تحمل الهمّ والغمّ إلى قلبى، الآن أصبح لزاماً علىّ أن أواجه الدنيا، وأسعى إلى الفلاح فى معتركها. تقديرى لقيمتى انحسر مدّة، فخفت وفزعت، ولجأت إلى العلاج النفسى وفى ترددى إلى عيادة الطبيب التقيت هناك رجلاً حوّل مجرى حياتى، فشعرت بزوال المحنة. لقد فهمنى - فهمنى بغريزته، وعرف ما يعوقنى من العوائق بفطرته. وفتنت به، وانجابت غمامة مكفهرة قائمة من سماء حياتى.

سوسن، ٣٢ سنة

قبل شهر من موعد زواجى، قال خطيبى إنه عدل عن الزواج، فأصبت بانهيار عصبى لزمت منزلى أسابيع متوالية. انطويت فيه على نفسى والحزن يمزق كبدى واعتنت بى صديقتى، ترددتْ علىّ وواستنى وخففتْ بكلامها من كارثتى. واتفق أن التقيت أخاها. كان قد انفصل عن زوجته بالطلاق لخلاف لم يتمكّنا من رأب صدعه. فأظهر الميل إلىّ. فى البدء تعذّر علىّ مقابلة ودّه بودّ مثله، فيأسى أوصد جميع أبواب الأمل فى وجهى، ولكنى رويداً رويداً قبلته فى حياتى. والآن أثق أن العلاقة ستدوم وتثمر زواجاً وأسرة.

نيللى، ٢٤ سنة، ممرضة

إنى وجـدت الحب وأنا أبعد مـا يكون عن توقعـه؟ وجدته بين ذراعـى مزيّن الشعر؟ وضـمت ثلاث سنوات كان كلامنا إبّانها مـشوقاً مبهـجاً، ولكنى شككت، ولا أدرى لماذا. . شككت فى انتمـائه إلى زمرة الخلعاء. وأخيراً عـندما دعانى إلى الخروج معـه وتناول طعام العشاء فى مطعم، تلاشى شكّى، ومـعه ذهب عذابى، إنه رجل شريف مستقيم. . إنه الرجل المـوعود. . وقد تقدّم طالباً الزواج. وقبلت وأنا أكاد أطير من شدة السرور.

غلوريا، ٢٨ سنة، راقصة فلكلور

الحقيقة؟ أنا سرقت صديق صـديقتى. أعرف أن هذا ضرب من الخيانة، أو نوع من الفحش الشرير، بيد أن العاطفة طغت على الأخـلاق. التقينا فى وليمة عشاء. كنت جالسة بينه وبين رجل ثقيل الظلّ، فأى خيار كان لى؟ فى أول موعد شاهدنا فيلماً سينمائياً، وتصرفنا كتصرف مراهقين. لم نذكر صديقته، ولكنى لدى خروجنا أبديت أسفـى لما ارتكبته فـى حقّها من خـيانة. فنفى بشـدة أن أكون ناكـثة لعـهد الصداقة، قال إن ما جرى يعتبـره من قبيل الدُّنوّ والبعد، أو الظُّلْمة والضياء، وأن من الجور أن أتهم نفسى، لأنه لما عرفنى شعر بطلوع الفجر وافترار فم الحظ.

وفصم فى اليوم التالى علاقته بها ووضع فى أصبعى خاتم الخطبة.

فاتن، ٣٤ سنة، موظفة

لم أوفق فى اقتناء منزل رائع فى منتجع صيفى، فأغضيت على القذى وتجرّعت الغُصّة. كنت قـد بلغت الثلاثين فى ذلـك الربيع ووطدت العزم على اللجـوء إلى حياة زوجـية هادئة رصينة ولهـذا قرّرت أن أستأجر منزلاً جـميلاً فى بقعـة يقطنها رجال نالوا نصيباً كبيراً من النجاح. وبدلاً من ذلك استأنفت زيارة شقيقتى فى بيتها الصغير الوضيع المطلّ على البحر.

ولكن العجـيب أنى فى وسط هذا الازدحام من المراهقين السـابحين، والمسنّين المتهـالكين على الرمل عثرت على ضـالتى - على رجل مهندس منهـمك فى إعداد

خريطة لفندق قديم قرّروا إعادة بنائه. وعلى الشرفة تارة وعلى الشاطئ طوراً توثّقت علاقتنا، وتحوّلت إلى حب جارف.

سونيا، ٣١ سنة

حبيب حياتى رجل متزوج. ماذا رسم لى الدهر؟ هل تجاوزت ما رسم؟ لا أدرى وأيم الله! ولكن هذا ما جرى: كنت ضجرة، مللت الحياة، وملّتنى. وسئمت الوحدة حتى ضاق ذرعى وعيل صبرى. وأكثرت من ابتلاع حبوب الفاليوم المسكّنة للاضطراب النفسى. كان الرجال كثيرين، فلم أعبأ بهم. ثم أتى.. أتى ليعمل فى الشركة، ومجيئه كان أشبه باختراق الوميض لسجف الظلام.. إنه صديقى وحبيبى.

هل يطلق امرأته؟ ربما، وربما لا يطلقها. الأمر واحد فى نظرى. فقد فعل من أجلى ما لم يفعله أى شخص.. لقد أسعدنى.

جانيت، ٣٢ سنة، مبرمجة كومبيوتر

ذلك النقاش الذى لا تنطفىء جذوته - هل يتحول الصديقين إلى حبيبين؟ إنه الطريق الوحيد الذى تنقلب فى موقع منه الصداقة إلى حبّ. صدمنى تصرف صديقة فبكيت، ذرفت الدمع على كتفه، وبينما أنا أكفكف عبراتى إذا به يمرّر أصابعه فى شعرى، ويربّت وجنتى، فزال ما بى من شجون. وما هى إلا كفتحة عين وغمضتها حتى احتضننى وقبّلنى.. فشدهت ولكنى سرعان ما قبّلته، وجاشت العاطفة فى صدرينا، وأيقنا أننا عاشقان.

روز، ٣١ سنة ، مختزلة

لسبع سنين خلت تورّطت فى حب كاتب، يرقّ ويصفو متى رضى ، ويثور كالمجنون متى حنق ونقم. وكان يصب علىّ جام غضبه. أخيراً قررت أن أتحرر من إساره مهما كان الثمن، وفعلت، ونجحت. وشعرت بعد الفراق أنى أسعد إنسان على وجه البسيطة. غير أنى فى ناحية من أعماق نفسى كنت أتمنى أن يتصل بى.

وفى أحد الأيام أرسل لى رقعة، أتبعها برقع، ثم باتصالات هاتفية. فى البدء

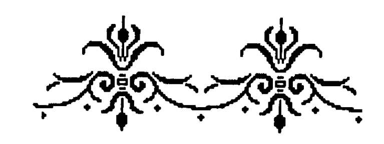
قاومت، فلم أستجب. وأحمد الله على أنى منحته فرصة ثانية. فهو لما تمّ بيننا لقاء كان إنسـاناً آخر - إنساناً متـجدّداً. . فدهشت. . . هل يتـغير الإنسان بهـذا القدر؟ ووجـدت الحب حيث وجـدت اليأس مـن قبل. . وجـدت الحب فى الرجل الذى أشـحت بوجهى عنه لـشراسـته وفظاظـته. . وجـدت الحب بجوار زوج حـدوب عطوف، لا يعرف الغضب إلى قلبه سبيلاً.

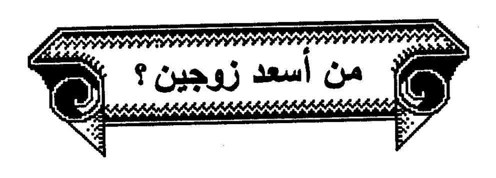
إنها لحقاً معجزة! وما أكثر المعجزات. . بل ما أقلّها!

كاميليا، ٢٤ سنة، طالبة موسيقى

بعد عبـث واستهتار، وبعـد مجون يعقـبه انهيار التـقيته، فـأعجبنى وأعجـبته. وتلاقـينا فى المطاعم، والتـقـينا على خطوط الهـاتف، ودارت بيننا أحـاديث طليّة تنعش الروح، وتحـيى الحسّ الميت. وبدّلت من عاداتى، فـقد هالنى ذلـك الفراغ الذى كنت أتقلب فيه، وذلك الباطل الذى انغمست فيه حتى كدت أغرق. وعندى الآن ما يسمـو بنفسى، ويرتفع بمشاعرى ، عندى زوج حبـيب، أفضّله على الدنيا إن خيرت بينه وبين الدنيا.

جينا، ٢٧ سنة، مدرّسة رياضيات





من أسعد زوجين ؟

قد تفـاجأون بما تؤمن به هذه الطبيبة النفسـية والمعالجـة الجنسانية بغـير العقاقـير والجراحة:

تقول بتوكيد: إن الزوجين اللذين يحتفظان بسعـادتهما هما اللذان اشتهيا القربى من أول نظرة ولازمهما اشتهاؤهما !

* سنون مرت بزواجهمـا، سنون كثيرة ولكنهما ما انفكّا يتصـرفان كزوجين فى شهر العسل. وهما فـيما يبدو عليهما وفى تعاملهما أعظم تقـارباً، وأكثر اندماجاً. إنسانان ذكر وأنثى اتحدا وتعاهدا وكان الوفـاء ديدنهما طوال سنين، وكانت السعادة ترفرف بجـناحيهـا البيـضاوين فوق هامـتيـهما. هذان العـاشقـان زوجان، وبحق ندعوهمـا عاشـقين... فمـا السر؟ مـا سرّهما؟ أنت تتـساءلين، وأنت تتـساءل، والطبيبة هيلين كابلان المعروفة بعمق تفكيرها وسلامة تنظيرها تتساءل هى الأخرى. سنون تصرمت والعلاقة حميمة مـصفّاة منقّاة. وشاءت الطبيبة أن تشارك القراء فى آرائها، وما استقته من معلومات بالغة الأهمية.

أى نوع من الزوجين هما القـادران على نفخ الروح فى حبهمـا رغم انقضاء ٢٠ عاماً على زواجهما، وأكثر من عشرين ؟

ليس عندهما ولا عنهما شىء فريد عجيب. كـثيرون منا يذوى حبهما فى مرحلة ما من مراحل الزواج. نواجه الصعاب فيما نسعى إليـه من استبقاء مشاعر الاشتهاء مشتـعلة. على وجه عام تذبل الرغـبة الجنسية بعـد سنين معدودة، ليحـتل مكانها مشاعر لا تخلو مـن فتور، ولكن الميول تبقى، والمحبة تبـقى - وهذا شىء جميل، ولكن يختلف. أما هذان الفـريدان العجيبان يسـتمران فى الشعور بأنهمـا وقعا فى شرك الحـب فى الأمس القريب... يضـيق ذرعهـما بالفـراق. ولا يذهب هو فى رحلة عمل بعيدة إلا معها. إنه بكل بساطة يفضّل مصاحبتها. وهى تسعد متى لمسها بعد مرور أربعين سنة. أول ثنائى قابلت مضى على زواجـهما ستون عاماً، هو فى

الخامسة والثمانين وهى فى الواحدة والثمانين، وتُقْتُ إلى معرفة الحقيقة عن علاقتهما الجنسية ، لأنهما معمَّران جليلان مبجلان. حدثتنى نفسى بطرح السؤال عليهما برقة ودماثة. لهذا سألت المرأة فى خلوة: «كيف تبدلت حياتكما الجنسية على مرّ السنين؟» فأجابت: «بعد تركيب ضابط الخطى ومنظمها فى جسمه اضطررنا إلى اختصار عدد المطارحات، واكتفينا بوقعة واحدة فى نهاية كل أسبوع». إن هذا النوع من الجاذب الجنسى الذى يتحدى السنين هو ظاهرة قلّما نراها فى المتزوجين.

إن ندر وجود هذين الزوجين، فكيف استطعت كمعالجة جنسانية الاهتداء إليهما والعثور عليهما ؟

بعضهم سمع بدراستى فقصدنى. هذا الثنائى فخور بشقّيه بعلاقتهما الوطيدة، ويتلهفان إلى وصفها وإطرائها وغيرهما أتانى طالباً علاج العجز الأدائى، كالعنة مثلاً. وبما أن للجنس أهمية كبيرة فى رأى هذا الثنائى واعتقادهما، يسعيان فوراً إلى الاستنجاد والاستغاثة. إنهما مفتونان مولعان، هو يغتم ويحزن متى لاقى صعوبة فى الانتصاب، وهى تفزع من إيذاء شعوره أن توقف التزييب فجأة. وفى العادة تكون المشكلة نابعة من مشكلة جسمانية أستطيع مساعدتهما للتغلب عليها.

واشعر بالرضا فى عملى مع هؤلاء. أحياناً، فى غمرة معالجتى لثنائى فرّق بين مشاعرهما غضب طارىء أثاره أمر لم يكن فى الحسبان، يداهمنى شعور بالتوتر والشقاء فى نهاية المقابلة. ولكنى أمتلىء غبطة وأنا أعمل مع ثنائى فريد فى علاقته وتصرفاته. إنهما يثيران فى قلبى فرحاً ومسرة، فأشعر بأنى طبيبة قادرة على بذل المساعدة.

لماذا قررت دراسة الثنائى من الأزواج؟

لأنى أعتقد بأن الكثير يمكن معرفته منهما. فنحن نخطىء فى دراسة الأفراد بدلاً من الثنائى، والتركيز على العلّة بدلاً من الصحة. نفحص عادة أوجه الألم فى علاقات الناس بدلاً من توجيه دفة اهتمامنا إلى ما يحرك العلاقة ويقيل عثراتها. والمعلوم أن اختصاصيى السرطان يميطون اللثام عن مزيد الدلائل عن

احتمال شفاء السرطان ليس بدراسة أشخاص حط المرض من قواهم، بل بدراسة أفراد قلائل يتمتعون بمقاومة طبيعية. وأنا بالطريقة نفسها أقبل على دراسة علاقات فريدة فى متانتها.. الزيجات التى أثبتت صلاحيتها وديمومتها. وأعتقد أن من المتزوجين من يتميز بطاقات كامنة تجعلهم ينعمون بزواج غنى بفضائله الرومانتيكية، وإن فَهمنا ما يجعل الزواج سعيداً، نستطيع فى معظم الظروف مساعدة المتزوجين على إطلاق إمكاناتهم تحقيقاً لمثل هذا النوع من السعادة. معظم المتزوجين يعيشون حياة ناقصة لخوفهم من الحب المحض الشامل - تأميناً لمشاعرهم الجنسية. هم أنشأوا خطوط دفاع ضد احتمال تعرضهم للأضرار، كبحاً لشهوتهم، فلا يدعون تلك الجنسانية القوية تطغى وتبرز برمتها.

هؤلاء المتزوجون يطلقون العنان لبروز مشاعرهم؟

أجل، وفى الواقع كان من أعظم اكتشافاتى المدهشة هو سرعة توثق الرباط أو نشوء العروة الوثقى بين هؤلاء بسرعة مذهلة، ومراراً على الفور - الحب من أول نظرة. الحلم لهؤلاء يتحقق. «فى إحدى الليالى الساحرة» الخيال يضحى واقعاً. وسرعان ما يشعر كلا الزوجين بانجذاب جنسى قاهر، وكذلك بشعور الألفة الآنية. وما أن يلتقيا فقلّما يفترقان. وكثيراً ما يجتمعان تحت ظلال الزواج. فى وليمة عشاء يجلسان متقاربين. وفكرة الانفصال بداع من العمل هو ضرب من الحرمان لهما. يريدان المشاركة فى كل شيء. وندر ما يتخاصمان... ندر ما يتلاحيان. وإذا اتفق أن اختلفا يزول سبب الخلاف فى لمح البصر، هما تواقان إلى حلّ خلافاتهما، لأن النفور المفرق مؤلم لهما، والقرب مكافأة ورضا ومسرة. يريان أخطاء بعضهما البعض، ولا يضربان على وترها. يتقبل الواحد الآخر بقلب مفتوح تقبلاً كاملاً لا ثغرة فيه. إنهما ملتزمان بأحادية الزواج. والوفاء لا يتطلب جهداً وجهاداً لأنهما لا يريان ما يغريهما فى غيرهما، الواحد منهما لا يستطيع التركيز إلاّ على شريكه.

ما مصدر هذه الرابطة المتينة؟

أعتقد أن الرابطة بين اثنين متينة على نحو استثنائى ودائمة، متى حقق الواحد للآخر أعمق تصوراته الجنسية. والغالب أنهما يقضيان العمر فى تحقيق هذه

التصورات. ويبدو أن العنصر الأقوى والأهم فى هذه الرابطة هو الجاذب البدنى المتبادل، وإن كان المظهر البدنى إلى حدّ ما أكثر تأثيراً فى الرجل منه فى المرأة. المرأة تنجذب إلى الرجل بشخصيته، ومقدرته، وأهليته. ويوجد كذلك عنصر شمّى فى هذه الرابطة، كما توجد فى حيوانات أُخر: «الحيوانات تتبادل النظرات، تشمّ غيرها، ثم تتوالف وتتزاوج - وبعضها يكون زواجها أبدياً. والإنسان متى كانت «الكيميائية» صالحة أحب الزوجان منظر بعضهما البعض، ولمسته، ورائحته. ولكى يدوم هذا الرباط البيولوجى يجب أن يعزز بعناية وحساسية وتكرس متواصلة مطردة.

ولكن ألا تتغيّر تصورات وتخيلات الناس فى مجاهل حياة الإنسان، وعندما يسلك معارك الهَرَم والشيخوخة ؟

الناس تتغير، ولكن تصوراتهم تبقى واحدة فى أحيان كثيرة. والتصورات الجنسيّة تحفر برسوخ فى الطفولة الباكرة. لهذا إذا كانت امرأة ما تخيلها زوجها فى سن الثلاثين، تبقى على الأرجح محتفظة بالصورة التى تخيّلها حتى وإن ناهزت السبعين.

إذاً لماذا لا يعقب كل انجذاب فورى زواج طويل الأمد تسوده السعادة ؟

معظم الانجذاب الفورى لا يكتب له الدوام لأنك إن فتنت بشخص مجرد من الرقة واللطف والصفاء والإحساس معك، ومراعاة مشاعرك فلن يكون للرباطة طول بقاء. لن تدوم، بل سرعان ما تنفصم. وحتى متى كان الزواج موفقاً ملائماً للطرفين فما لم ينسجم الزوج مع تصوراتك العميقة الجذور، يحين وقت تنظران فيه إلى بعضكما بعضاً كإنسانين حقيقيين، ولا يعتم الوَجد الجنسى أن يخفّ ويتضاءل بيد أن بعض المتزوجين الذين من نوع مميّز لا يشعران أبداً بخيبة الأمل، وعلى العكس، كلّما ازدادت معرفة الواحد بالآخر، ازداد ولعهما، وفرحهما: إنها حقاً مثله الأعلى، وهو حقاً رجل أحلامها.

والشعور يجب أن يكون مشتركاً متبادلاً، ولكى يدوم الوجد الجنسى وكذلك الألفة الحميمة يجب أن تتشابك تصورات الشريكين. لأنه إن كان الافتتان من

جانب واحد فـالضرر واقع والمتضرر أحـد الشريكين. فإذا كانت امـرأة على سبيل المثال تلاحق رجلاً حتى وإن كان لا يكترث بهـا، فستتعرض للعذاب والألم. وهذا على الأرجح مـا حصل لجين هاريس، التـى حكم عليها بـالسجن ١٥ سنة لقـتلها رجلها الـدكتور هيـرمان. كـان هيرمـان رجل خيالهـا وتصورها، ولكنهـا لم تكن مستأثرة بخياله، وهكذا تحول الوضع إلى كارثة.

وإنى لأقول أن بعض العلاقات الأفضل، وبعض العـلاقات الأسوأ تبدأ كلتاهما بالحب من أول نظرة. والرجل الذى تفتتن به المرأة من أول نظرة قـد يكون شخصاً مرفوضاً سيـئاً، فظاً. فإن جاريت شعورك، ولم تستعـينى برأسك قد تجدين نفسك فى وضعـية مدمـرة، لأن للشخص الذى تحبـين القدرة على إلحـاق الأذى الشديد بك. من ناحية أخرى، إن تجاهلت مشاعرك، واكتفيت بالتوجيه العقلى فى اختيار الإلف، فقد تفقـدين فرصة العيش مع رجل تستطيـعين فعلاً أن تحبيـه. ونصيحتى فى هذا الصـدد هى أن تتـجنبى الاستـرابة بحب أول نظرة إن حـدث هذا، تروّى فقط. ويجب أن تناجى نفسك بقـولك: «هذا كما أشعر أمر عظيم، وقـد يسعدنى حتى آخر يوم من أيام حياتى». عليك أن تقرّى إن كنتما أهلاً للرابطة الدائمة على مستويات أُخَر. يـجب أن تنتبهى لمعاملته لك، لإخلاصـه. ووفائه، إلى القيم التى تشتركان فيها، إلى أن الانجذاب متبادل، وليس من طرف واحد.

ألا تتطلب العلاقة جهداً لتكون ناجحة ؟

إنجاح العـلاقة فى مخـتلف المجالات يتطلب جـهداً ودأباً عظيـمين، ولكنك لا تستطيعين بذل هذا الجهد لخلق الرغـبة الجنسية، فإما أن تكون، وإما أن لا تكون. وإذا وجدت الإمكانية فلا تتلفيها باتخاذ موقف الدفاع أو الخوف.

يؤمن بعض البـاحثـين أن جـميع الزيجـات تمر فى مـحطات ومراحل وإنه أمـر طبيعى لمشـاعر الشهوة أن تأخـذ فى الضعف وتنحسر. أليس كل ثنائى مـتزوج يبقى مغرماً مولعاً يعتبر شاذاً عن المألوف ؟

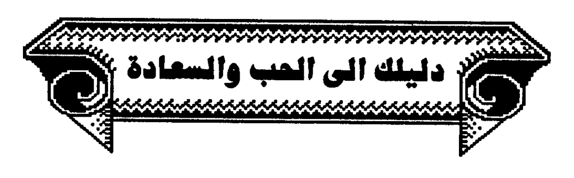
أجل، هؤلاء المتـزوجون المولعون ـ الـزوج بالزوجة والزوجة بـالزوج ـ شاذون عن المألوف من الناحيـة الإحصائية. فـهم لا يمرّون فى المراحل المتنبأ بهـا، يبقون

«موتدين» فى طور رومانتيكى ملتهب أربعين أو خمسين سنة. الأمر ليس طبيعياً ولا مألوفاً ـ ولكنه الأمر الرائع.

إن لم يشترك الاثنان فى هذه المشاعر الشهوانية المضطرمة، أيعنى هذا تفككاً؟ أيعنى فشل الزواج؟

كلا، أبداً. فالحياة الرومانسية حتى نهايتها ليست مطلباً أساسياً لزواج ناجح ممتاز. ففى معظم الزيجات الموفقة، تخفت تلك الشعلة الجنسية الفريدة، ولكن العلاقة تبقى فى أحسن حال ـ تبقى جميلة رائعة. فإن فقدت بعد سنين من الزواج تلك الإثارة التى يبعثها زوجك فى جوارحك، وإن كنت تصبرين على فراقه دون أن يستحوذ عليك شعور بالشوق والتوق، فلا يعنى هذا أن زواجك هزيل. الزواج الجيد الموثق يتألف من عنصرين: الألفة والشهوة، والحب العميق ليس بالضرورة متحداً بدرجة عالية من الإثارة، ومن الطبيعى للشعور العارم المشحون بالوجد فى أول العهد أن تنطفىء ناره مع مرور الأيام. هذا الانفعال يتحول ـ حتى ولو كان الزواج متساوقاً كل التساوق ـ إلى ألفة أعظم، ومشاركة وعناية لا مثيل لهما. على أنه يجب استمرار الممارسة الجنسية، والرغبة الجنسية. ولا يحتمل أن تفتر هذه العلاقة الحميمة متى كان الزواج سعيداً، والرعاية قائمة ـ رعايته هو ورعايتها هى، لأن القلق الأدائى يغيب عن العلاقة متى ظلّت الرعاية قائمة. ومع انحسار الموجة الانفعالية، فلن تتلاشى إلى الأبد تلك النعرة الباكرة. فهى تعود من دون توقع ـ مثلاً، إذا قرّر الزوجان أن يأتيا بطفل، أو يسافرا فى إجازة حب بعيداً عن حياة العمل الروتينية.

وانخفاض الحمية الجنسية لا يعنى على الإطلاق زوال الشعور الجنسى، وفتور العلاقة الجنسية ـ لا يعنى أن حياة الضجر الجنسى قد فرضت عليهما. فهناك طرق كثيرة تحافظ على جودة الزواج. لست مرغمة على الشعور بأنك تعيشين شهر عسل خالد كى يبقى الجنس محتلاً مركز الثقل، مسيطراً على كل الشؤون، مهيمناً على المصير والمستقبل.



«نصائح تناقلتها الأجيال ، ننفض عنها غبار السنين لتصبح إرشادات نقدمها إلى العاشقين، المخلصين منهم والمتقلبين»

* ما هو الحب ؟

يقول معجم وبستر الشهير أن الحب عاطفة وجدانية تنبع من العقل ويثيرها هناك جمال وتقـدير من أى نوع كان. وأمام الحب تسأل: كـيف يحدث أنك لا تجد بين الناس واحداً أكثر جهلاً أو أكثر ذكاء من أن يتأثر به ؟

الحقـيقة أن السعـادة تتبخر دونما حب، ولا يمـكن حتى للثروة مهـما بلغت أن تستطيع شراء ما يأتى به الحب. ذلك أن الحب إحساس ينبع من الروح، ولا مجال لاستـبداله بأى شيء آخر، ان الحب سـمة للكرامة والقـدسية والحق، إنه مفـتاح السـر لما هو أفضل فى الحـياة التى نعـيش. وفى ضوء الحب نرى المـثاليـة أول ما نفعل، وبممارستنا له بحذر، تتضح لنا الحـقيقة. على أن الحب الصحيح حتى يبلغ الكمال ـ لابد أن يكون خليطاً من أرفع المشـاعر ومن العواطف الحيوانية الجـامحة والأقل سمواً، كلاهمـا مهمان مثل بعضهمـا بعضاً فى هذا المجال. ويمكن للحب أن يرتفع بالروح الى أعلى قمم البركـة، أو يهبط بها إلى أعماق المهـانة. كثير إذن هو الذى يتوقـف على هذه العاطفة الجـامحـة. فتعلمـوا أن تصونوا هذا الشـعور العظيم فى قدسيتـه عندما تنبعث براعمه فى قلوبكم، بحيث تـتقون كذلك عذابات عواطف لا يمكن التعويض عنها، وخجل وتعاسة اتحاد مشين.

* ما هى عوارض الحب؟

نحن نعـيش الحب قبل أن نتنـبه الى وجـوده ، وفى هذا تقول إحـدى نظريات علم النفس «إننا غـالبـاً ما نكون مـحبـين للحب قـبل أن نكون محـبين لشـخص معين»، ذلك أنه يدخل علينا بطريقة ماكرة، ويتسلل الى داخل أحاسيسنا بخفة متناهية.

وهكذا يكفى لتورد يظهر على الوجه، أو تنهيدة أو رعشة تصدر من القلب، أن تفضح حبنا أمام معارفنا ونحن أنفسنا لا نكون قد اكتشفنا وجوده بعد. فجأة، تنفجر بنوبات غناء، يعبر دائماً عن مشاعر المودة والحنان. ثم يلى ذلك اعتيادنا على ما يجرى التعبير عنه «بالابتسام فى وجه لا شىء»، حيث تطرأ على أصواتنا نعومة غير معهودة.

يبدو لنا العالم هنا أكثر جمالاً مما كان عليه قبل أن نقع فى الحب، وكأنما لامست عصا سحرية وجه الطبيعة، أو أنه ازداد بهجة بضرب من السحر. ننزع الى عمل الخير وتنفجر طيبة قلوبنا الى أرفع المستويات، ليصبح لأصغر الأمور فى حبنا أهمية جديدة.

ولكن خلال هذا كله، نكون واعين متنبهين لسر لذيذ يسيطر علينا تمام السيطرة. ومع مرور الساعات والأيام، نجد أنفسنا وقد أصبحنا فى شوق جامح لنسمع صوت خطوات معينة، وكلام شخص واحد معين، لأن صاحب هذا الصوت وقائل هذا الكلام هو الذى شاء لنا القدر أن نحبه، وهو الذى تسبب بظهور جميع تلك التغييرات فى حياتنا وتصرفاتنا.

* كيف يتم التعارف فى الحب ؟

ليس التعارف بالكلام ضرورياً للحب، لأن عواطفه تأتى فى غاية الشوق فلا تستطيع انتظار من يُعرِّف الحبيب الى حبيبه رسمياً، بل تندفع من خلال تيار مغناطيسى الى قلب الحبيب مباشرة حتى ولو كان لا يزال غريباً. ولاشك أن الحب من النظرة الأولى هو من الأحداث النادرة، وعندما يكون الحب صحيحاً يحلق بسرعة كبيرة، فإن الحكمة عند ذلك تدعو الى القول أن هناك قطبى مغناطيس عثرا على بعضهما بعضاً فى نهاية المطاف. ولكن الحب يحتاج الى شىء آخر فى أغلب الحالات، أما الزواج فيحتاج الى ما هو أكثر بكثير.

قد يولد الإعجاب فى دقيقة، ولكن التقدير والحب يكونان عادة أكثر تدرجاً، ويتوقفان على ما هو أكثر من مجرد انجذاب جسدى.

ينبغى إرضـاء أحاسيس أخرى غـير حاسة الـنظر وحدها ـ تريد الأذن أن تمتلىء بلهجة ممتعـة، وتريد الأوردة أن تنتعش بلمسة عاطفية قـبل أن ينتهى الأمر وتصبح الأربطة العاطفية مشدودة تماماً.

هنا يأتى التفكير السليم كمرشد للتـعرف الكلى على ما هو مشترك من الأذواق والطباع والرغبـات جنباً الى جنب مع ما تم تحصيله مـن علم وبلوغه من مراتب، ذلك أن على المرأة الشابة التى تجد نفـسها منجذبة نحو شاب مـعين أن تقرر بأسرع ما هو ممكن إذا كان يوازيها عقـلاً وأخلاقاً وموقعاً اجتماعيـاً. فإذا ظهر بعد تقويم توازنه الهـادئ أنه يفتـقر الى بعض من هذه الأمـور، يصبح عليـها أن تبـعده عن أفكارها، متخذة بذلك قراراً شجاعاً فى هذا الصدد. أما إذا نجح فى الاختبار الذى تضعه له من ناحية أخـرى، يصبح لديها مبرر لتتركه يتقـرب اليها. فإذا كان الحب هو الخطوة التالية،ترحب بهذا الحب عقلياً وقلبياً فى آن واحد.

ينبغى تجنب كل ما هـو مصطنع خلال «عملية التـعارف». وأهم ما فى هذا ألا تتكلفى الكبرياء والعـجرفة اللذين يؤديان الى سوء تفسـير مقاصدك أو شخـصيتك الحقـيقـية. فالمـفهوم المغلوط لـلشخصـية يحـمل معـه السم الزعاف الى السـعادة الزوجيـة، فما من زيف يسـتطيع البقـاء على ما هو عليه الـى الأبد. لذلك كونى صادقة مخلصة وطبيعية إذا أردت كسب الحب والمحافظة عليه كزوجة ـ الأمر نفسه ينطبق أيضاً على الرجل ـ لأن الصدق والإخلاص هما السياسة الأكثر حكمة.

* ممن تتزوجون ؟

إذا لم يسبق للرجل أن ادخر بعض المال، فلن يكون اختـيارك له كزوج موفقاً، مهما كـان راتبه كبيراً. لذلك تأكـدى أن حبيبك خبأ القـرش الأبيض لليوم الأسود الذى قد يطل على كل إنـسان، حتى ولو كـان الأكثر حظاً بين أقـرانه. كذلك هو السكير. فـإذا كان سكره إدماناً أو يأتى حيـناً بعد حين، لا ينبغى اعـتباره مرشـحاً جيداً لاتخـاذه زوجاً، طالما أن طبعه لن يأتى إلا بالتـعاسة والأحزان. أمـا محاولة دفع السكيـر الى الإقلاع عن إدمـانه بعد الزواج مـنه فهى الجنون بعـينه. والرجل

الذى لا يحترم نفسه الى حد تحسين أوضاعه قبل الزواج، نادراً ما يجد أى سبب يدعوه الى تكليف نفسه هذا العبء بعد الزواج.

على المرأة عندما تتزوج أن تأخذ الآخرين بعين الاعتبار فلا تظل تعتبر نفسها فقط متجاهلة الآخرين، وواجبها الأول هنا يجب أن يتجه نحو الأرواح البريئة التى تأتى ثمرة هذا الزواج. من هنا يدعوها الواجب الى أن توفر لأولادها المتوقعين والداً محترماً ومستقيماً وموفور الصحة والعافية، مما يعنى عدم التحفظ عندما تناقش أمور الزواج وقضايا الأبوة ومسؤولياتها مع الرجل الذى انجذبت اليه.

أما الرجل المتشوق الى إنجاب الأولاد فلا ينبغى أن يحلم بالزواج من المرأة التى تنفر من مسؤوليات الأمومة. كذلك هى الحال مع المرأة المتشوقة الى الإنجاب، عليها أن تتجنب الرجل الذى يفضل ألا ينجبهم.

لا يصبح الحب أعمى كما يقولون إلا عندما نغمض عيوننا متعمدين الجهل غاضِّين النظر عن سعادتنا الحقيقية الدائمة وسعادة شخص آخر يريد أن يشاركنا الحياة.

* ماذا عن الأشخاص «اللعوبين» فى الحب؟

لا وجود لما يتجاوز بخطره خطر تلك الخطيئة الشائعة بين صغار السن، والمعروفة «بالتلطيش».

فالقيام ببعض الحركات أو الأعمال التى يقصد منها جذب أنظار إنسان ما من الجنس الآخر دون أن يتم التعارف بصورة رسمية، وفى الأماكن العامة على وجه الخصوص، هو عمل سىء ومشين بكل ما فى هاتين الكلمتين من معان، ويحمل معه عقوباته العادلة والمبررة فى حالات لا عد لها ولا حصر، لا مجال لإيرادها فى هذا المكان. لذلك كن متواضعاً فى توجهاتك إذا رغبت كسب ود الآخرين، أو بكلمات أخرى، احترم نفسك إذا أردت أن يحترمك الآخرون.

هنالك من البنات من تبدو لعوبات، ولكن تصرفاتهن فى هذا الصدد بريئة فى الوقت عينه، فالواحدة منهن تكتفى بإغاظة حبيبها على سبيل اختبارها لعواطفه. وهى فى هذا المجال لا تتعدى حدود الأنوثة البريئة، ولا تعنى تصرفاتها أية

معـاداة. أما تلك التى تتـعمـد الظهور لعوبـاً على الملأ ولا تبالى أن تظهـر كذلك بشكل مـفضـوح ودونما رادع رافضـة هكذا كل التقـاليد، فـهى تنتمى الى طائـفة التافهات، فارغات الرؤوس من النساء اللواتى لم يسبق لهن أن تعلمن ما هو أفضل من هذا فى يوم من الأيام، أو أنهن نبذن تعليمهن واحتقرنه تماماً.

* هل الحب متقلب ؟

إن عدم الاستقرار فى الحب أمر شائع جداً تسمع عنه من الأطراف كافة ، فتجد على سبيل المثـال فتاة صغـيرة السن تظن نفسها غـارقة فى الحب، ثم يأتى حبيـبها لخطبتها فـتوافق متلهفة، لتعلم بعد مضى فـترة من الوقت أنها ارتكبت بذلك خطأ فادحاً ، فتـفسخ الخطبة وهى لم تكد تتفوه بكلمة واحـدة تعبر عن الندم بعد. ثم يتكرر معها هذا الحادث مرة بعد أخـرى، حتى يأخذ الناس الى التهامس من حولها ويدعونها بالفتاة اللعوب فيما بينهم.

كذلك هى الحال مع بعض المتزوجات الشابات كثـيراً ما يتبين لهن أن مشاعرهن تبدلت، ولم تعد واحدتهن متعلقة بحب من عقدت قرانها عليه.

* ما هى نتيجة هذه الحال المرعبة ؟

لن نفصل لك الإجـابة على هذا السؤال، ولكن يكفى أن تنظرى حـولك حتى تتوصلى الى الإجابة عليه من تلقاء نفسك.

بعد هذا كله، نرى أن الضرورة تستـدعى المزيد من الحذر والإحكام قبل الإقدام على خطوة الزواج، وتستدعى كذلك اتخاذ القـرار بمزيد من الحكمة والتعقل، كما تستـدعى مزيداً من الثبات والاسـتقرار فى الشخـصية بعد الزواج. فـإذا أخذ هذا الأمر وذاك فى الحسـبان، لا يبقى للتعاسـة باب تدخل منه. لذلك لا تتزوجى عن حب، إلا إذا كنت واثقة من صحة هذا الحب. اعتمـدى شيئاً من الحيطة والحذر، وشيئاً من التفكير السليم، ولا تتركى للحب المزعوم أن يجعلك تتجاهلين وجود ما هو موجود، والعكس بالعكس ـ تأكدى بعـد ذلك من أن النتائج ستكون جديرة بما تكبدته من مشاق.

سـواء أكانا واقـفـين فى صف شـراء التذاكـر، أم جـالسـين فى مطعم فى وضع متـقابل، فإنهمـا يبعثـان ببرقية الود المتـبادل تنبىء الدنيا الحـاسدة أنهما فـريق واحد متحد.

كيف ينتهيان إلى هذا التقارب الحميم ؟ بينما سواهما من الخلق يهرب من باحة الزواج، أو يتلوعان مـن الزواج؟ ماذا يفعل زوجـان عندما يفيـان بعهـدهما «ولن يفرّق بينهما إلاّ الموت؟» بكلام آخر ما سرهما ؟

طرحت الأسئلة على عدد من الخبراء، وكذلك على عدد من المتزوجين السعداء بزواجهم. ما أدلوا به عظيم الفائدة لما تضمنه كـلامهم من المعانى السديدة الصالحة كشعار يعـتنقه الجميع، فيتحـد طريقهم ويجعل من زواجهم نعمة الحـياة، لا نقمة مسلّطة السيف.

(١) سلطى الضوء على النواحى الإيجابية من العلاقة لا على النواحى السلبية :

البرد قـارس فى الخارج. أنت وزوجك تشعران بالضـجر والضيق فى شقـتكما الصغيرة، وكأنكما سجـينان فى زنزانة واحدة. هو يدير التليفزيون ويجلس ليشاهد مباراة فى كرة القدم. وفجأة تشعرين وكأنك تكادين تنفجرين.

حسن.. أمامك عدّة خيـارات: تغضبين عليه.. تتهمينه بتـجاهلك أو بفعل ما يعرف أنك تكرهـينه.. تندفعين إلى حـجرة النوم، وتعلنين المقـاطعة فـلا تكلّمينه بضع ساعـات.. تحدثين ضـجة بقـرع الأوانى فى المطبخ ليشـعر بذنبه.. تـتألمين بصمت مكتـفية بدور الشـهيد الصـوفى.. وكلها خيـارات مدمرة توتر الأعـصاب وتدمى القلوب، بل تدمى القلبين، فأنتما فى البـيت وحيدان لا شريك لكما. من ناحية ثانية، تسـتطيعين أن تنظرى من النافذة، وتتذكريـن أنك ناقمة على الجوّ، لا على زوجك وتستـقرين فى حجـرة النوم لتقرئى كـتاباً ـ معفـية إيّاه من مسـؤولية

التفريج عن كربك، وإزالة ما شاب صفاءك وعكّر مزاجك.

وسواء أدركت أو لم تدركى، فـما تختارين عـمله هو جزء لا يتجزأ من عـملية نشوء عادة تركيز الانتباه على الأمور التى ترضيك فى زوجك - أو على الأمور التى تخيّب رجـاءك وأملك فليس لهذا عـلاقة بما هو حقـيقى ومـا هو زائف. فاختـيار الجانب الإيجـابى هو اختيار الطريقـة الأفعل للحياة فى أعـماقنا مشاعـر من تكافؤ الضدين متى كـانت العلاقة الحميمـة فى ميزان الامتحان. ومن البـدء تسود طائفة معينة من المشاعـر، ولكن الطائفة المضادة لا تنكص على أعقابهـا، إنها باقية، وإن تقـهقـرت خطوات إلى الوراء، أو غارت وكـمنت فى زاوية مظلمـة تنتظر فرصـة الانقضاض.

الزوجان يتخذان لهما بسرعة وظائف وأدواراً، ثم يشعران بالعجز إن لم يستطيعا العثور على حلول للسلبيات. يجدان أن نفسيهما يمثلان «كاريكاتير» شخصيتهما فى حياتهما الزوجية.

وإنى لأذكر لقاءً لى مع قـرينة رجل خاض معركة الرئاسـة قبل سنوات، تكلمنا خـلاله فى مخـتلف المواضـيع، ثم تطرق البـحث إلى مـوضوع الـرجال والنسـاء والزواج، وما نتمناه، ومـا الصحيح وما المنحرف، ولن أنـسى أبداً قولاً لها نطقت به بصوت خافت مفعم حزناً ومرارة. قالت تلك السيدة المتحلّية بمحاسن الأخلاق: «كله يتجمع فى مجرى واحد - فى الرعاية والعناية.. فى التنبه للأمور الرائعة التى تصهر حياة الزوجين فى بوتقة واحدة».

هيّن هذا لو اكتفى الناس بالتفكير فيما يعـجبهم بشريك حياتهم، وأعرضوا عمّا لا يعـجبـهم. لو اكتـفى الناس بهـذا لما انهارت العـلاقات، وفـسدت الزيجـات، وتفككت العائلات، وتشرّد البنون والبنات. لو اكتفوا لغدت القناعة أساس العلاقة ولما شـاهدنا مـا نشاهده من عـادات تتـسلّط علينا ولا تنفك تـطعن قلوبنا، وتمزق صلاتنا.

العادات.. والتـقاليد.. أمور باليـة نتشبث بها كـتشبّث الغريق فى بحـر بقطعة خشب.. عادات وتقـاليد رثّة.. امرأة أعرفـها، تزوجت رجلاً ناجحـاً فى أعماله

التجارية، ولكن من وسط فقير. هذه المرأة المتنفخة إعجاباً بأصالة أسرتها وكريم محتدها وجدت نفسها بين المطرقة والسندان، وجدت نفسها محاصرة بين الإيجابية والسلبية فى شخصية زوجها. أعجبت ببراعته، ونباهته وأخلاقه ونبله، وإقباله بهمّة ونشاط على توطيد مركزه فى دنيا الأعمال، واهتمامه بكل ما تحبه وتبتغيه، لم تستطع بحكم العادة والتقاليد المتوارثة نسيان الفرق بينها وبينه، فالفرق ما برح طافياً على صفحة حياتها.. وتصرفاته أحياناً بعثت الغصّة فى قلبها.. فهو يحبّ المباهاة أمام الأصدقاء بما يقتنيه من تحف... ويحب مرافقتهم لمشاهدة مقتنياته. وهذا عذّبها وآلمها... فلماذا؟ وما الذى يضيرها؟ العادات والتقاليد البالية.. وإلا فلتتركه على سجيته... ليفعل ما يسعده... ليفعل ما يرضى روحه ووجدانه، ولتستجب هى.

ولكنها أبت.. عاداتها صدّتها. وبعد مرور عام على زواجهما، أصبح كلامها يدخل نفق السلبية الطويل ولا يبارحه، إلا إلى نفق سلبية ثان، شرعت تندّد به، وتنعى عليه جهله الأصول الاجتماعية. واتسعت شقة الخلاف رويداً رويداً. واختلطت أمور الرجل، ونمت سلبيتها حتى أصبحت جداراً يفصل بينها وبينه، وعاشا غريبين تحت سقف واحد.

ولما تمّ الطلاق أخيراً، كان طلاقاً محتماً لأن الزوجة توتّدت فى موقف التمييز والمقارنة بحكم عاداتها وتقاليدها، وجرياً مع ضيق آفاق تفكيرها. لهذا ما لم يك الزواج مركزاً على الإيجابية، فالسلبية يتسع نطاقها، والأقوال المتبادلة تنحصر فى نطاق النقد والتجريح.. وبعد مخاض عسير يولد النفور وبعد النفور يحدث الصدع ولا يكون ثمّة مجال لرأبه.

الزواج الناجح نسيج فى طنفسة الحياة العملية.. إيقاع متناغم تعزفه واقعية العلاقة.. اندماج من حبّ، وتقدير، ووفاء، وتساند، وتعاضد، إنه الشركة الكبرى ـ شركة سُداها توافق الأفكار، ولحمتها التأييد والمؤازرة من أول خطوة إلى آخر خطوة.

(٢) وزّعا المسؤوليات بطريقة ترضيكما وتسركما :

كلاهما يعمل، إذن على كليهما أن يساهم مساهمة النصف فى دفع عجلة الحياة خارج العمل، فـالمنزل يجب أن يبقى نظيفاً مرتبـاً، والطعام يجب أن يُعدّ ويطهى، والطفل يجب أن يؤخذ إلى بيت الحضانة، ويعاد به إلى المنزل. فمن يفعل كل هذا إن لم توزع المسؤولية بالتساوى؟ أتسـتطيع الزوجة أن تضطلع بكل هذه الواجبات؟ أيستطيع الزوج؟ كلا. ولابدّ من اتفاق،لابدّ من تفاهم. ويتفاهمان. وتجرى الحياة فى مجراها، دون خصـام، ودون خلاف. ولكن النمط يتغير، فما كـان مستوحى من العدالة أضحى فى حاجة إلى التبديل، والتبديل يعوزه التفاهم والاتفاق.

تبـرز فى الحيـاة العصـرية مشـاكل جديدة كل يوم، فـتضـيف إلى المسؤولـيات مســؤوليات جديدة، وإلى الواجـبات واجبـات جديدة. ويتـرتب على الزوجين أن يكونا متـأهبين دائمـاً لمواجهـتها بالروح نفـسها الـتى واجها بهـا الحياة قـبل سنين معدودة، فـيأخذ هو قسطه من الهمـوم المستحدثة، وتأخـذ هى قسطها، ولا يكون اصطدام، ولا يكون تجـاذب أو تناحر ـ من يفـعل هذا؟ أنتِ. . . لا أنتَ. . . هنا يكمن الخطر، ومن مكمنه تتمدّد زعانفه لتخنق التفاهم، وتقضى على السعادة الزوجية.

إن العمل كـفريق مـتفـاهم هو أفضل ما يلـجأ إليه الزوجـان. إنه الرهان على الدوام ـ دوام المحـبّة والرضـا. . . دوام الزواج. . دوام الفـلاح. . دوام الأسـرة واطّراد تقدمها وتغلبها على الصعاب.

ولكن التحـجر خطر دائم المثول. العـمل اضطر الزوج إلى التأخر، فـهل تترك الزوجة عـملاً غير مـقضى كان المفروض أن يقـوم به الزوج ؟ كلا. . . هنا المرونة تلعب دوراً عظيماً ، المرونة والعقل السلـيم. لتقم الزوجة بالعمل إذاً، لكى يرجع الزوج فى ساعة مـتأخرة فيجـد فى المنزل زوجة وفيّة تعرف واجـباتها الطارئة، ولا تتشبث بمعاهدة التوزيع. .يجد زوجة غير متحجرة !

الإنســان متى تزوج، يتـزوج بضعـة أشخـاص، هو لا يتزوج شـخصـاً واحداً متحجراً فى قوقعة. . بل يتـزوج عدّة أشخاص فى شخص واحد ـ يتزوج المرونة، والليونة، والتجـاوب مع الواقع الذى لا يفتأ يستجدّ ويتـغير. وهذا يحتّم الاطلاع على السرّ الثالث.

(٣) اعلما أنه متى تغير واحد منكما تغيرت العلاقة :

الفكرة السائدة عن الزواج، هو أنه قرار يؤخذ مرّة. وهذا يجافى الواقع، فالزواج استمرار فى الاختيار وإعادة الاختيار. ولا تستطيعين إحداث التغيير بالقوة، أو منعه فى شريك حياتك. والتغيير الوحيد الذى يتمّ يكون من الداخل.

ولعلك أزمعت أن تنشئى أسرة بعد الزواج بوقت قصير - ولكن كعروس ستة شهور أدركت أنّ الشيء الذى تتمنين تحقيقه أكثر من سواه هو العودة إلى الكلية لاستئناف دراستك والتخرج إنساناً له حيثيات مرموقة. ولا مانع من إرجاء تكوين الأسرة، أنت صغيرة بعد، والسنون أمامك تفسح المجال وتمنحك الضوء الأخضر. على أن زوجك يجب أن يقتنع بخطوتك ويجاريك فى تبديل هدفك، أو تأجيله.

أو لعلّ زوجك من ناحية انعكاسية سئم حياة المدن الضّاجة الصاخبة، وطفق يتغنى بجمال الجبل والشجر والهواء الطلق، والسماء اللازّوردية. وتسمعين أنت كلامه بقلب يخفق خوفاً، ورؤية لزلزلة تهوى بآمالك، وشعور بضياع متعة المدينة، وهنا يكون دورك فى امتصاص الأهداف المتبدلة.

ومتى أتى التبدل - مهما كان مظهره ومجْلاه - تراودك النفس على الرفض.. فالشخص إذا بدأ التحرك والابتعاد عن نقطة معينة بالتفاهم، قد يحاول الآخر التقليل من أهمية ما يحدث، أو تجاهل ما يحدث. وعند نقطة الهزيمة، أو الخسارة المباغتة يوافق البعض على التغيير.

وإن أنت هدرت الوقت فى عذل شريك حياتك ولومه، كأنك بمحض إرادتك تضعين الحالة كلّها بعيداً عن السيطرة. المهم أن تواجهى التهديد القائم بجنان ثابت، وجأش رابط، فإذا اتجه شريكك اتجاهاً جديداً، ابحثى أنت أيضاً عن خيارات جديدة تكون متناغمة مع اتجاهه.

والمهم أن يدرك الإنسان من البدء أن لا أحد يأخذ على نفسه عهداً بالبقاء كما هو. ويتزوج الاثنان، وأدنى تغير يظهره الواحد، يعتبره الآخر نكثاً للعهد. رجل مستعد دائماً لتلبية طلبات زوجته، متأهب للتخفيف عنها متى رآها منهارة عاطفياً، أو على وشك الانهيار. هذا الرجل إن اتفق يوماً أن تهاون فلم يستجب لتعب

استحوذ عليه، أو اضطراب خامره، فقد تعتبر الزوجة تقاعسه غدراً بها وخفراً لعهدها. وما لم تعترف لنفسها بأنه من المحال أن يكون دائماً رهن إشارتها، فالخلاف يقع حتماً..

إن الزواج أشبه بركوب دراجة أو مركب. متى تحرك واحد، أو انتقل، يتحرك الآخر وينتقل للإبقاء على التوازن.. هذا ما يهب الحياة إلى العلاقة.

روى أحدهم قصته مع زوجته، قال: «لمعت زوجتى فى المجتمع وتألق نجمها حتى أصبحتُ أدعى زوج لوريتا. كان لها دور فى كل نشاط اجتماعى وسياسى، وكنت التابع لها - زوج لوريتا! ولكنها لما تميزت به من إدراك وحكمة بدأت تنبه الجميع إلى أنها زوجة بريان.. وكان التغيير جذرياً، أنقذنا من الحرج الشديد وما يتبع الحرج من غيرة ربما، ومن حسد ربما، ومن نفور وانعزال، وفراق فى نهاية المطاف.

إذا كان التغيير نتيجة البلوغ والإدراك، فإن كل شىء فى الزواج يصبح قابلاً لإعادة النظر، والتباحث، والتفاوض، والاتفاق. وكل تدخل لفريق ثالث يزيد من اندلاع النار.

والقرار الآنى فى نوع الحياة لا يحمل فى طياته إلا الوبال، والزوال، وتداعى الآمال. والحال تفزع متى عاش زوجان كغريبين. كلنا يرغب فى تجنّب المشاكل، ومواجهة ثورة الزوج أو الزوجة يعوزها الحكمة والأناة والصبر، وإلا لكانت النتائج غامضة منذرة بالشر المستطير.

لا شك فى أن الرجل الذى تتزوجين سترين فيه أموراً غريبة عنك، مزعجة لك.. سترين التناقضات التى لم تحلمى بها فى يوم زفافك، وهو كذلك يختبر الأمور ذاتها فيك.. ويا للهول متى ركب الاثنان رأسيهما، وأصرّا على رأيهما.. ويا للأسى متى افترقا، وفكّرا بعد الفراق بما خسراه كلّه، لأن الواحد منهما أصرّ على التحجّر، وجاراه الآخر فلزم الجمود وآثر التجمد. ويندم الاثنان ولات ساعة ندامة.

والآن إلى السر رقم أربعة.

(٤) اعملى متى يجب التوصل إلى تسوية :

الكلمة هذه تجعل البعض منا تُحرّق الأرم، أتعنى أن أتراجع وأنا على حق وهى فى ضـلال؟ إنه الموقف الذى يـكمن فى قلب المشكلة. الـناس تظن أن التـسـوية تنازل، أى مـسألة مَنْ الغـالب ومن المغلوب. وليس من الضرورى أن يكـون أحد مخطئاً ـ وليس من الضرورى أن يكون أحد خاسراً.

وتقبّل هذه الحكـمة أهم من كل وقت مضى، خـاصة متـى تورّط الزوجان فى عملين مخـتلفين ولهما مطالب مـختلفة تتطلب التسـوية العاجلة. الزوج تسنح له فرصة ذهبـية ولكن فى مدينة بعيدة لا تحـبّها الزوجة لأنها تقصـيها عن المدينة التى أسست فـيهـا مستـقبلهـا فى العمل. لم تمتـعض لما عبّر عنه زوجـها من رغـبة فى النزوح، وفى الوقت نفسه لم تشأ أن تضحى بعملها المزدهر.

وفى النهاية اتفـقا على أن يسافر الـزوج إلى عمله الجديد، ويعود إلى بيـته فى نهاية كل أسبوع. واتفقا أيضاً على مراجعة الترتيبات المتخذة كلما ثار شك، أو برّح بأحدهما شوق. وتفاهما، وتصافيا، وقـرّرا أن يصبرا سنتين على حياة البعاد هذا، عسى أن يجدّ شىء لم يكن فى الحسبـان. ويقول الزوج بافترارة ثغر: «ويخلق الله ما لا تعلمون. . . بعد سنتين نجد الحلّ الأنسب إن شاء الله!».

ليبقى الزواج فى حال جيدة يجب ألا يكون العناد الحكَم بينهما. فالعناد لا يثمر اتفاقـاً، ولا يكتشف حلاً. وإن هما فكّرا فى حـلّ دون أن يعتقدا بأنهـما يتنازلان عن جزء من حياتهما الشخصية، فإنهما يرقيان سلّم العقل إلى أبعاد جديدة.

إن التكبـر لا يفيد الزواج، كـما لا يفـيده اليـقين بأن الحق دائماً فـى جانبك. والتى تظن أنها تفقد هويتـها إن هى تجاوبت بطيبة خاطر، تُبقى الحـزب ناشبة بينها وبين زوجها، فلا يكون بينهما قاسم مـشترك، بل المحبة تفيض، والنفور يفيض، ويبقى الضدّان مفترقين.

أما الـتساهـل فى التنازل كلّما ثارت مـشكلة فعـاقبـته سـيئـة، التنازل المرة تلو الأخرى، وفى آخر مرة تنفجر الزوجة المرنة المطاوعة المتجنبة للمشاحنات، ويدهش الزوج: ماذا انتابها وعهدى بها مسالمة رقيقة الحاشية ؟

وقد يتذكر. . قد يفطن إلى استرساله فـى الصمود، واسترسالها فى التنازل، قد يفطن إلى العادة المتواصلة أصـبحت حكماً وقراراً غير معلـنين إلا فى التصرفات. ولا يفيء إلى نفســه إلا متى واجهتـه الزوجة بالواقع، وأفهـمته صراحـة بأنها لن توافق بعد اليوم على الغبن والتمييز.

جلست مـرة مع صديقـة فى مطعم، وكـان يجلس إلى المائدة المجاورة زوجـان استعـر بينهما الجدال، وحمى وطيس القـتال، وقالت صديقتى: كـيف تكتبين عن الزواج السعيد؟ أما سمعتِ؟ أما أبصرت ؟

فأجبتها بدعة: العلاقة الزوجـية لا تسلم من الانخفاض والارتفاع. . إنها علاقة حميـمة، ولكن الأيام وما تحمله من عقـد ومشكلات تعكّر صفو العلاقـة أحياناً، ولابد لنا من التسليم بهذا الواقع وإن كان ممضاً مكرباً.

وهذا السر رقم خمسة.

(٥) تقبلى النزاع كعنصر من عناصر الزواج :

صديقتى الشاكّة أو الساخرة ـ لا أدرى ـ قد تحدّثهـا نفسها متى اطلعتها على هذا الرأى بشن هجـوم عليه وعلـىّ فتـقول: «وكـيف تتقـبلين النزاع وتشـدّدين على الإيجابية فى الزواج؟ هذا وأيم الحق مهزلة تناقض!».

لا يا صديقتى، الزواج بلا نزاع، بلا خـلاف فى الرأى، بلا غيظ وغضب، لا يكون علاقـة حميمـة بالمعنى الصحيح. وإنكار اشـتعال نار الخلاف أمـر يدعو إلى الأسف، لأن هذا الإنكار يفـرق بين الزوجـين، ويحيـل الزواج إلى علاقـة تزداد فتوراً على مرّ الأيام.

والرجل بطبـعه يخاف، يتـعلّم الاستـقلاليـة وعدم التـعويل، يتعلـم ما يُكرهه بالهشـاشة فلا يعبّر عن خـوفه وألمه. وهذه المسالك تهدم العـلاقة الحميـمة ودوام الانتماء. وعلى الرجل أن ينساها ـ ينسى هذه العادات، فيتطبع بالصراحة، وينفتح على مشـاعر زوجتـه التى يحبّ. ولكن الزوجة تزن ملاحظاتهـا وحيطتهـا بكفتى ميزان، وتعـتقد أن زوجها يروّح عن نفســه أو يكيفها بهذه التـهوية، ويخفض من

غضبه بهذه التسرية، ويتوقع من الزوجة أن توافق، ولكن توقعه لا يصدق.

ومتى ثار الخلاف ينبغى للزوجين أن يتعلّما كيف يعبّران عن امتعاضهما دون إصدار الحكم، أو الخضوع لحكم يصدره أحدهما.

وتقول صديقة لى: عندما نختلف أنا وزوجى على شىء - سواء أكان طريقة إنشاء الصغار، أم نوع الحساء الذى نشترى، أثور فأهاجم، ويتراجع هو. ويؤلمنى عزوفه فأزداد حدّة وهياجاً ثم متى كال الصاع صاعين، ننسى المشكلة، ويصبح همّنا الانتصار فى صراعنا.

والذين ينجون من هذه المعارك، يعبرون فى أصعب مدارس الزواج التدريبية. وعلى الزوجين أن يتبادلا الثقة، إنه أمر أساسى، ولكن المقدرة على الإفضاء بما يخالجهما من شعور متلظ لازم كلّ اللزوم للقرب العاطفى.

وعلى الزوجين متى حَزَبَ الغمّ واشتد عليهما الهم المنبعث من الخلاف أن يتبينا الطريق المباشر. فإذا أغضبت الزوج كلمة جارحة فردّ عليها بكلمة جارحة، على الزوجة - وهى البادئة، أن تكبح جماح غضبها فتجيب برقة، وتقول مثلاً: «أصبت، فانس تسرُّعى!» هى لا تبتلع مشاعرها، وهو لا يبتلعها. . ويتحادثان، وتموت الفتنة. معضلات كبيرة، تصغر. ولكن مهما كان لها من نتائج ومهما تفهمت تفاصيلها، فهى إما أن تكون لبنات الخير يتبيّنها، أو لبنات الشر. . والخيبة شرّ مستطير.

لماذا نتزوج؟ لأننا نرغب فى الارتباط بشخص آخر بطريقة تبشر بحياة أشد عمقاً وأغنى معنىً من تلك المتاحة لنا عن طريق الاستقلال والحرية الفردية. ورغم عقد الزواج فإنه يبقى الرابطة الرائعة التى تدنينا من الاندماج المعقد.

ولأننا نتوقع من الزواج أكثر من توقعات من سبقنا نستمر فى بذل المحاولات كى نتعلم كيف نتكلم، كى نبحث عن الدروب التى تصل بنا إلى سعادتنا الشخصية الخاصة. فماذا ينشىء الزواج السعيد؟ اثنان فقط، بعلاقاتهما الشخصية الفردية يمكنهما أن يقدّما الكلمة الأخيرة الحاسمة، يقدماها لنفسيهما لا لغيرهما، وهذا جوهر السر رقم ستة وروحه.

(٦) شيّدا على أساس ما هو فريد ومعزّز لعلاقتكما :

سمّياه ما شئتما. بعض الناس، خاصة أولئك الذين يشعرون أنه ليس من حسن الرأى التكلم عن سبب نجاح زواجهم، يسمونه الحظ الحسن ـ ذلك المزيج الاستثنائى للظروف التى تدمج عناصر العلاقة. وإنى لأفضل عبارة «العوامل المجهولة» ـ البعد الإضافى الذى يزيد من خصب حياة الذين يحوزونها، ولا يتداولونها، ولا يتحادثون عنها. لكم ذهلنا ونحن نرى زوجين يسرعان الخطى نحو الكارثة، ومع ذلك يبقى زواجهما مزدهراً.

والجزء الحيوى من هذا البعد الإضافى هو تنمية الثقة فى ما يملكه الزوجان دون مقارنته بعصبية مع علاقات غيرهما. سيبرز دائماً تجارب مقلقة بعد الزواج يصعب فهمها. قد تكتشف الزوجة أن زوجها يكثر من الشرب، وتنظر إلى أزواج صديقاتها، وتقارن زوجها بهم لترى الفرق. بل قد تتساءل إن كان زواجها غلطة، ارتكبتها. وتنسى أن زوجها وإن اختلف لا يعنى أن زواجهن أفضل وضعاً.

زوجة أجرت المقارنات المختلفة وانتهت إلى نتيجة محزنة، أيقنت أن صديقاتها يستمتعن بحياة كلها روعة وبهجة، وأن زواجهن فيه دائماً قبس يشعّ بالسعادة.

وبعد وقت طويل أدركت أن كل زواج يختلف عن زواج آخر، وعن زيجات أخريات. وتبادلت الحديث مع الصديقات، فاقتنعت أن فى زواجها حسنات وسيئات وأن فى زواج صديقاتها حسنات وسيئات. وأخيراً رأت ما ملأ قلبها غبطة ورضا ـ رأت الانسجام السائد على زواجها. . وازدادت ثقة بنفسها. وعزفت عن المقارنة والتشبيه. . قالت: «تعلمت كيف أرتاح إلى نوعية ما لدينا. . ومما يدهش أن الإنسان يرى العشب فى فناء جاره أكثر اخضراراً من العشب الذى فى فناء داره». وقالت مختتمة: «يا للوهم، ويا لشناعته وبشاعته!».

إن كان زواجنا موفقاً، فلأنه خليط من أشياء كثيرة، ليس أقلّها شأناً الدأب على رؤية السعادة كبعد مستمر يتكشف عن الحياة المثلى.

مؤخراً سألت صديقة مضى على زواجها عشر سنين ما هو فى رأيها الغراء الأساسى الذى أبقى على العلاقة الحميمة طوال هذه المدّة، فأجابت: «المسألة

هيّنة، إنه الشعور بتاريخ مشترك. نشب بيننا النزاع، واندلعت نيران الخلاف، وانتشينا بالنصر. ولكنى لا أستطيع أن أحيا من دونه. ومن العسير أن تتخلى عن الحلو، لأن المرّ يختلط به أحياناً. . هذا هو سر الزواج السعيد.

* لنحب ونحترم ونكرم :

* لا تشملها عهود الزواج التى نأخذها على أنفسنا. ولا يوجد فى كتاب مصور تفسير لها ووصف لمفعولها. ومع ذلك فإنها مركز الثقل فى زواج دائم محقّق للآمال والأمانى. والعجيب أنها وجدت فى ألحان الرقص الرجراج مكاناً لها، إذ أن إحدى شهيرات المغنّيات رفعت عقيرتها مراراً وردّدت: «كل ما أطلبه هو القليل من الاحترام»!

أجل الاحترام. وتبدو اليوم كلمة طريفة جذّابة، ولكنها الكلمة التى يرددها الأزواج الناجحون بإلحاح وتوكيد.

كاتبة صنّفت كتابها «المتزوجون المتلازمون فى عصر الطلاق» من الكتب الأكثر مبيعاً أجرت حديثاً مع مئات المتزوجين والمتزوجات الذين قضوا فى محراب الزواج خمس عشرة سنة أو يزيد، آملة فى العثور على العوامل التى مكّنتهم من الاتحاد الدائم. وتحقق أملها، إذ تبينت أن الاحترام عنصر فعال فى الإبقاء على صرح الزواج.

قالت فى كتابها: «الأغلبية الساحقة من المستَجْوَبين قالوا: «أنا أحترمها»، أو «أنا أحترمه». وليست مفاجأة إن قلت إن الاحترام كان متبادلاً!».

فما هذا الشىء المسمى احتراماً؟ وكيف نلتقيه، أو نصطدم به؟ وماذا يحلّ بالزواج متى غاب؟ والأجوبة فيها مفاجأة. فالاحترام ليس ما تظن ربما، فهو كثيراً ما يتشابك فى معناه مع قيمة أخرى هى الحب، أو يقوم مقامها فى الفكر والإحساس.

فعندما يبتّ الإنسان مسألة الزواج بإنسان آخر، فجانب من البهجة التى تجتاحه، لأن هناك من يحبه، هو شىء أشبه ما يكون بالاحترام. يرى فى الزوجة المختارة جميع الصفات التى طلبها وتمنى أن تتجسد فى شريكة حياته - تنسب إليها الخاصّيات المثالية وتنسب هى إليك الخاصّيات المثالية. ولكن إن قلت: «إنى

أحترمها جداً»، لا تكون قد اخترت الكلمة بحق وإدراك، فالحب ليس احتراماً، الحب معناه النظر إلى أحد - نظرة الطفل إلى أمه التى يرى فيها جميع عناصر المثالية. أما الاحترام فهو بين النظراء والأنداد.

وهناك فرق آخر بين الاحترام والحب - حاول احترام الوهم - الفكرة سخيفة بحدّ ذاتها. الاحترام يولى لشىء مجرب ومبرهن، ومجسم، وحقيقى. أما الحب فيحيا ويزهر على التوهم بأن المحبوب صُبّ فى قالب تتمناه، ولهذا، لا يدوم. ويأتى يوم ترى فيه أن من تزوجت ليست ما تمنيت. هناك فروق فى الشخصية، فى التعامل مع الحياة، فى الطرق المختلفة فى تأدية الواجبات. وفى هذه النقطة قد تقول بغضب: «لقد فقدت احترامى لها». ولكن ما فقدته فى الحقيقة هو الصورة الخيالية التى رسمتها فى ذهنك لها. هنا فقط يبدأ الاحترام بمعناه الدقيق فى النشوء - أو لا يبدأ.

وهذا يشكّل مفْرق طرق فى كل زواج، وأنت مضطر الآن إلى اختيار طريق من طريقين. فإما أن تسلك الطريق المدمر فتعاقب زوجتك فى محاولة لتحويلها فى اتجاه مجار لتخيلاتك. العديد منا يقطع شوطاً فى هذا الطريق أولاً، لأن حلم المطابقة والانسجام يموت ميتة صعبة. وكثيراً ما لا يكون فى المخاصمات الأولى إلا الاحترام الواهى المتضائل، فالزوجان يتراشقان بالكلام المقزع. وجدير بك إن كنت راغباً فى دوام الزواج، وفى نموّه المتواصل أن تسلك الطريق الثانى: الموافقة على اختلاف الرأى، وعدم المساس بكيان الشخصية. فمعنى الاحترام تقبّل وجهة نظر الفريق الثانى بوصفها وجهة نظر لها قيمتها وأهميتها، حتى لو خالفتها.

والاحترام - أو الافتقار إليه - هما موقف من التصرف. أعرف امرأة لها زوج يعشق الرياضة، بينما تفضّل هى ارتياد دور التمثيل وقاعات السينما، أو ملازمة البيت وإنفاق الوقت فى القراءة. ويمكنها فى هذا الوضع أن تقول ببساطة ورضا: «لكل منا هواية وذوق»، ولكنها عوضاً عن ذلك تقول: «كيف تمالئه نفسه على إهدار وقته ونقوده فى هذه الهواية؟». إنها فى الواقع لا تقدّر نشاطاته. إنها تحقّره وتستخف بمسلكه. والزوج تبعاً لذلك، أو انسياقاً مع موقف زوجته، يستهجن

إقبال زوجته على الأمور التثقيفية.

وعلى نقيض ذلك يتصرف الزوجان اللذان يبقيان على الزواج محترماً. فهما إن اختلفت النزعتان، وأحب هو شيئاً وأحبّت هى شيئاً سواه، يعتبران ذلك أمراً طبيعياً لا يتفتّق عن مَوجدة. اعتقادهما الراسخ بحق الفرد فى شقّ الطريق التى يخططها. ويتمثل الاحترام بينهما فى كلمات من هذا القبيل: «لا أريد الذهاب إلى الاحتفال الموسيقى، أو إلى مشاهدة هذه المباراة، ولكن اذهب أنت واقض وقتاً ممتعاً». أو تقول أحياناً: «سآتى معك، ولكن لا تنزعج إن استسلمت للنوم».

إن هذا النوع من التصرف يكلّل نجاح الزواج بورق الغار. وقد وجدت مؤلفة الكتاب المذكورة فى مستهل البحث أن للاحترام قوة تسوية الفروق واختلافات الرأى مهما تفهت أو اتسع نطاقها. ولقد التقيت زوجين اختلفت آراؤهما الدينية اختلافاً شاسعاً. ومع أنهما عندما اتفقا على الزواج قررا أن ينشأ الأولاد على مذهب أمهم. ونفذ هو القرار، ولكن بقهر واستياء. إلا أنهما يحترمان معتقدات كليهما. يحترمان إيمان كليهما، ولولا ذلك لخاض زواجهما لجّة تفرّقهما فى النهاية، عاشا مع الخلاف فى الرأى زوجين سعيدين طوال ٢٦ عاماً، ولا يزالان متفقين مختلفين، ولكن تحت سحابة من المحبة والوفاء.

وواضح أن الاحترام أو عدمه، يكون متبادلاً على المدى الطويل. فالزوج أو الزوجة متى تقبّل الواحد منهما الآخر، يلهمان بردّ المجاملة بمثلها. ولكن الواحد منهما متى استمر الآخر فى تحقيره وإذلاله، لا يلبث أن يردّ الإهانة بالإهانة. والتحقير هو العارض الرئيسى ـ والسلاح البتّار ـ لقلّة الاحترام، أو الاستخفاف. وهو مدمّر نفسياً ومحطّم معنوياً وصحياً.

الاحتقار شر عناصر العاطفة. بينما الغضب لا يصل إلى درجة الامتهان والإذلال. أما الاحتقار فيتضمن غياب الشعور الرقيق. إنّ الزوج مثلاً لا يقيم وزناً لزوجته، ويعتبرها عادمة العناصر المؤهلة. وفى الزواج الموفق يحافظ الواحد على شعور الثانى بالتقدير الذاتى، ويتجنب كل ما من شأنه جعل الآخر يشعر بأنه معتوه.

مررنا بزيجات لا يدّخر الزوج أو الزوجة جهداً فى مهاجمة الآخر بعنف أدنى إلى الوحشية، ولكن فى إهاب زعم بأنه يفعل ذلك «لخيرها»، أو تفعل ذلك «لمصلحته». وهما لا يدريان أن أى خير وأى مصلحة يتهاوى وتتهاوى إلى أسفل درك بعبارة يزعم قائلها أنها الانتقاد البنّاء، وأصدق مثل على ذلك، زوجة تعير زوجها بقلّة الطموح فتشعره بأنه فاشل، لا يعير المنافسة العملية وزناً. وزوج يتهم امرأته بتبديد الوقت كلما التقت صديقة: «لماذا لا تعمل عملاً منتجاً؟ إنى أحترمك وأحترم إمكاناتك أكثر مما تحترمين نفسك وإمكاناتك». مثل هذا الزوج قد يصرّ. ويكون فى الحقيقة مدفوعاً إلى موقفه هذا بالرغبة النرجسية لتحويل زوجته إلى جزء منه، أو نسخة عنه. وهذا وأيم الحق تمزيق لاحترام حرّية امرأته وشخصيتها المستقلة.

الاحترام إذاً احترام لفردية وحقيقية الشخص الثانى ـ للواقع بأنه ليس جزءاً منّا، وللطرق التى يظهر فيها خاصيّته. وهذه أمور لا تكتشف إلاّ بعد وقت ـ التقبّل، ثم التقدير، ولهذا السبب كان الاحترام صفة النضوج فى الزواج، وليست حرارة الرومانسية. بيد أن هذا لا يعنى أن الزوجين المتبادلين للاحترام يقولان: «أنت اختر طريقتك وطريقك، وأنا أختار وسيلتى وسبيلى». بل نقيض ذلك، فالاحترام هو ما يقرّب بينكما ويوثق عرى العلاقة.

وما أكثر الحالات التى يعمل فيها الاحترام عمل الوسيط.. فهو يساعد على تبين الطريقة الحسنة. ويغرى الشخص الآخر بإنتاجها، وبالتالى يتيح للزوجين أن يتعلما من بعضهما بعضاً، هذا إن كان الاحترام قائماً ومعززاً.

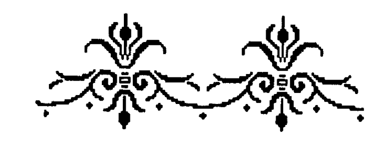
والزواج يقرّب بين الأذواق، ويزيد الشبه بين المواقف.. يصبح الزوجان متمازجين، وكأنهما توأمان، لأنهما تكلما عما يعتمل فى صدر كل منهما، وعما يخالج تفكيره.

كل من مضى على زواجه ردح من الزمن يعرف الحقيقة ويتسنى له ضرب الأمثال. أنا عشت مع زوجى أربعة عشر عاماً. نحن من ديانتين مختلفتين وعصرين مختلفين. هو أوروبى نجا من كوارث الحرب العالمية الثانية، ويكبرنى

بحوالى ثمانى عَشْرَة سنة. وكانت عوامل الخلاف كثيرة - عوامل ثقافية وحضارية وشخصية، لذلك تخاصمنا غير أننا تلقّنا الدرس - درس الاحترام المتبادل فى شؤون تتعلق بالعادات والتقاليد والمفاهيم. . وكنتيجة لما تلقناه، نمونا ودنونا وغدونا شبهين. لقد امتصصت بعض سلطته، ومقاييسه، وهو امتص بعض تعنتى.

هذه صفات الزواج الموفق. بالاحترام وحده للواحد كما جُبل ونشأ، وكما هو - مع ما يتمثل فيه من ضعف إنسانى، يفتح الباب على مصراعيه للتغير.

«الحب أعمى». هذا قول نردّده أحياناً. وحب أعمى ما لم يولد الاحترام. وإلى أن يولد يبقى أعمى. والاحترام هو «إعادة النظر» والاحترام عين ترى بوضوح وتحب. ترى ما هو موجود حقاً، وترى ما يحتمل أن يكون، كرؤية أشعة إكس، وتساعد على تحقيقه. الاحترام فن الحب الذى به يكرم ما هو عزيز على النفس، ويحافظ على ما هو مرغوب فى سجايا الفريق الثانى.





إنه الزوج الذى يجمع الناس وفى مقدمتهم زوجته على أنّ لأقواله معانيها المنجلية للعقل النافذ، ولتصرفاته حافزاً من الحس المرهف... إنه المفكر الجبّار المتجه بكليته إلى الحقيقة والصدق والعدل.

* يقول لك إنك أكثر جمالاً مما كنت عليه يوم تزوجك - إنك تزدادين روعة على مرّ السنين.
* يقبلك.. يعانقك.. يربت ظهرك دائماً.
* لا ينفق من المال على ثيابه أكثر مما تنفقين على ثيابك.
* لا يلازم البيت أربعة أيام بسبب زكام أصابه، ويتصرف كابن الأربع سنين.
* يستطيع مساجلة أمك الحديث. ولا يرافقها إلى العشاء إلا بعد عراك وشجار، وإكراه وإلزام.
* لم يقل قط إن أباك سياسى أحمق مغفل.
* لا يشعر بأنه مهدّد بنجاحك؛ بل يغتبط به أعظم اغتباط.
* لا يبتلع أكثر من ٢٥ قرصاً من الفيتامين يومياً، أو يتوقع أن تطهى بعشب البحر.
* يدرك أن كل زوجة فى حاجة إلى عقد من لؤلؤ حقيقى.
* لا يفتح النوافذ على مصراعيها فى منتصف شهر كانون الأول.
* يستطيع طهو طعام العشاء دون أن يدمّر المطبخ.
* لا ينتظر منك فحص جواربه والعثور على الشارد منها.
* يصغى بانتباه حتى لو كنت تقولين أشياء خلواً من المعانى.
* ينبئك بكل أعماله وصفقاته. يصرّ على أن ترى وصيته التى وقعها وسجلها عند الكاتب العدل.
* يعرف أنك تحببينه حين تقولين له انه يزداد سمنة واكتنازاً.
* يقرأ مجلاتك، خاصة المقالات الباحثة فى الحب والعلاقات.

* عندما تدلفين إلى المنزل بعد يوم عمل طويل يقول: «هل آتيك بشيء تشربينه؟».
* لا يكترث إن لم تبصريه طول الليل فى حفلة - أو إذا كان جالساً قريباً من كاثلين تيرنر على نفس الكنبة.
* يشعر بشيء من الغيرة متى تبادلت الحديث مع رجال غيره.
* لا ينهض فى الرابعة صباحاً ليؤدى تمرين العدو، أو ليمارس هواية الكرة والمضرب، أو سواها من الألعاب، ككرة السلة، أو التنس، أو الجولف.
* يستبقى لياقته، ولكنه لا ينفق حياته فى آلة تجذيف.
* مستعد لمغادرة مقعده أمام مباراة كرة القدم إذا اندلعت النار فى المنزل. ويضمد ذراعك النازفة إن انتظرت استراحة نصف الوقت فى المباراة.
* لا يستعير مجفف شعرك حينما تحتاجين إليه.
* يلتقط ثيابه عن الأرض خلال أربعة أيام.
* ليس بخيلاً... يقول: هلمّى، اطلبى الكركند.
* يحب تقديم الهدايا.
* رائع فى كلامه مع رئيسك.
* يعيّن مواعيد للغداء معك.
* يلاحظ دائماً ثيابك الجديدة.
* يحمل قمصانه إلى المصبغة.
* يأخذ الكلب فى جولة متى أمطرت.
* لا ينبس بكلمة عن إشارة التوقف التى لم تعيريها التفاتاً وواصلت المرور. لا يضغط قدمه أبداً على كابح وهمى، بل يستطيع أن يغفو وأنت تقودين السيارة.
* يتوقف عند محطة خدمة السيارات ويسأل عن الاتجاه الصحيح متى تاه عن الطريق.
* يشجعك على إجراء جراحة تجميلية إن رغبت فيها، ولكنه يقول إنك فى غنى عنها.
* يعرف متى يتكلم، ومتى يلمس،ومتى يضحك، ومتى يبكى... نوع من الحياة الكهنوتية.
* له أمٌ تقيم فى استراليا.
* يمسك بيدك فى قاعة السينما.

* لا يجيء بالكعك والحليب وأنت متقيدة بالحمية.
* مخلص بطريقة قديمة، من دون فترة انغماس فى علاقة جديدة.
* شفوق، معبّر بتوكيد، ليس لك فقط، بل لغيرك أيضاً.
* يظنك رائعة فى الفراش.
* يحب العبث بعد الممارسة.

خمس طرق للتشاحن بشكل أفضل :

صدق أو لا تصدق: إن المشاحنة بين الزوجين هى واحدة من أشكال التفاهم - التفاهم القوى. تقول الدكتورة النفسانية «ساندرا ساما نايغو»: «تعود بكما المشاحنة إلى معرفة حاجات ورغبات ومشاعر بعضكما البعض». إلا أننا كثيراً جداً ما نعلق فى شراك المشاحنة بحد ذاتها فنتغافل عن عنصر التفاهم فيها إليكما هنا حقائق تساعدكما على التشاحن الذى يساعد على التفاهم بشكل أكثر فعالية:

* تشاحنا على انفراد. ليس المقصود هنا تبادل إهانات أو إحراجات؛ كل ما فى الأمر أن ما تتناقشان بخصوصه أثناء المشاحنة هو شيء لا علاقة لأحد به، غيركما.

* لا تخافا من الصراخ أو رفع الصوت إذا كان هذا هو سبيلكما للتعبير عن الغضب. فلإخراج مشاعر الغضب من الصدر، على أحدنا أن يتصرف على طبيعته.

* إذا لم يكن باستطاعة أحدكما أن يصرخ أو يرفع صوته، فليعبر عن مشاعر غضبه كتابة. وليشجع الآخر على ذلك. ثم يقرأ كل واحد منكما ملاحظات الآخر. ذلك أن قراءة أفكار واضحة منظمة قد تكون إحدى السبل حتى «يستمع» أحدكما إلى الآخر بشكل أفضل.

* ليس على أحدكما أن يدير ظهره للآخر - فليواجهه مبقياً العين بالعين. تذكرا أنكما تحاولان التفاهم.

* تذكرا أن تنهيا المشاحنة. فحالما تشعران أنكما تبادلتما ما تريدان تبادله، يقول أحدكما للآخر «لقد تحسنت مشاعرى الآن». ثم تغيران الموقف - تتعانقان وتضحكان وتسترخيان معاً. بل قد تفضلان الابتعاد عن بعضكما لبعض الوقت - لا بأس، طالما أن الفكرة مشتركة.



أى الرجال أفضل الأزواج ؟

الأطباء والمحللون النفسانيون؟
البائعون؟
السياسيون؟
المعلمون؟
سماسرة البورصة؟
رجال الأعمال الصغار؟
المحامون؟
عمّال المنشآت؟

فى هذا البحث القيم، القائم على دراسات عملية، ووقائع حسية، يقدم الباحث صوراً من حقائق ودقائق الحياة الزوجية، بحيث يمكنك من خلالها تكوين هذه الفكرة: أى طراز من الرجال تفضل المرأة الاقتران به ليكون شريك حياتها. . .

وبمعنى أكثر تحديداً، أنت من أى صنف فى هؤلاء الرجال، الأطباء، أم البائعين، أم السياسيين، أم المعلمين، أم سماسرة البورصة، أم رجال الأعمال الصغار أم المحامين أم عمال المنشآت؟

* الطبيب والمحلل النفسانى :

قالت جانيت م. محذرة: «حذار من أن تتزوجى طبيباً إذا كنت تنشدين حياة جنسية سعيدة!. . حينما يعود زوجى الى البيت بعد يوم مرهق من مشاهدة الأجساد العارية، فإنى لا أضطر الى ابتكار الحيل لإثارة دماء الرغبة فى شرايينه!. . . ولست أنسى ذلك اليوم الذى استرعى نظرى فيه دم تلطخت به أذنه اليسرى، فشعرت بتبدل يطرأ علىّ ولم أستعد حالتى السابقة إلا بعد مضى عدة أشهر!».

وتبلغ جانيت الحادية والأربعين من عمرها، فيما يبلغ زوجها الخامسة والأربعين وهو أخصائى مشهور بأمراض الجهاز السمعى. ويعيش هذان الزوجان فى بلدة متوسطة، حيث يقيمان فى بيت واسع جميل مع أطفالهما الأربعة السعداء والخادمة. وكان حلم والدة جانيت أن تتزوج ابنتها من طبيب. ولقد كان ذلك.

أما جانيت فـلا تشكو من مركزها الاجتماعى الذى تتـمتع به تمتعاً كبيـراً، وبخاصة حينمـا يشار اليهـا بأنها «زوجـة الدكتور. . .» وهى تجـد متعـة فى اعتزاز زوجـها بمظهـرها الأنيق، واستـعـدادها لتكريس بعض الوقت لحلقـة زوجات الأطبـاء فى الجمعية الطبية بالمدينة. كما يطيب لها ما يتوفر لأسرتها من عناية طبية مجانية، الى جانب الهدايا التى يتلقاها زوجها من مرضاه.

لكن «جيم» لـيس حالة استـثنائية، بل انه يشـبه معظم زمـلائه أصحـاب مهنة الطب. إذ يبلغ مـعدل دخل الطبـيب نحـو ٣٠ ألـف دولار فى السنة. ومع أنهم يتأخرون عن غـيرهم فى الزواج بنحو ثلاث سنوات فإنهم أكثـر من الآخرين انجاباً للأطفال كذلك.

ومع ذلك فإننا نجـد زوجة الطبيب غـير قانعة بحـياتها الخـاصة. ذلك بأن المهنة تخلق تشـوهاتهـا الخـاصـة، إذ تتطلب مـن المرء أن يكون شـديد الطمـوح، بالغ الإرادة، ليتـمكن من المرور بالسنوات الطويلة الباهظة التكـاليف من الدراسة، الى جانب العـمل الشاق المرهق أثناء التدريب الداخلى وبعـد التخرج، حـتى إذا انتهى من ذلك كله أصبح أشبه ما يكون بالانسان الآلى. وقـد عبرت زوجة أحد الأطباء عن خيـبة أملها لحـال زوجها بقولهـا: «لم يعد الطبيـب، فى أيامنا، ذلك الانسان العظيم. . . فقد أصبح جل همه أن يملك القوة والمال والمزيد من القوة».

ولقـد اعـترف الدكـتـور لومـون كـلارك، فى مقـال نشـره بمجلة «مـيـديكال ايكونوميكس»، بوجود «مـرض الطبيب» الذى عرَّفه بأنه «انهـماك وانقطاع مرضى للعمل». ويؤدى هذا المرض الـى الإصابة بنوبات قلبيـة وانهيار نفـسانى وربما أدى الى إدمان المخدرات فى بعض الأحيان.

قالت لنا أم فى مقتبل العمر: بل إن هذا المرض ليؤدى الى اختفاء الاب كذلك. فقد وجدت أن أطفـال الأطباء، ومنهم أطفالى، يعجبون لاخـتفائه. وهكذا تمضى بهم الأيام فلا يدركون سبب اختفائه الطارىء، حتى بلوغهم الخامسة أو السادسة من أعمارهم!

والطبيب لا يعرف الهدوء حتى بعدما يكون قد وفر لنفسه ثروة كبيرة ورغب فى الاستراحة. اذ يبدو أنه نسى كيف يمكن للمرء أن يسـتريح. فمطالعاته تقتصر على

الكتب والمقالات الطبية، أما اللحظات القليلة المتوفرة للراحة فيقضيها فى كتابة التقارير، وغالباً ما يقضى عطلاته فى المؤتمرات الطبية أو بالقرب منها. وتجدينه يشترى زورقاً أو يختاً، اعتقاداً منه بأن هذا سوف يبعده عن رنين الهاتف، وبذلك يستطيع الخلود الى الراحة، لكنه يمضى نصف النهار فى القلق حول احتمال وجود حالة طارئة فى حال غيابه. وهو لا يختار من الهوايات، ولا يقتنى من الأشياء، إلا ما يكون من شأنه إبراز مكانته الاجتماعية.

ولقد تحدثت الينا إحدى الزوجات بقصد تهشيم هذه الصورة فقالت: «إذا شئت الصدق، فإنه لا يعدو كونه حرفياً... إذ هو ليس بالرجل المثقف أو الإنسانى، وإنما مجرد رجل تعلم حرفته. لكنه يعتقد بأن ليس ثمة من يعلو على مكانته سوى الله تعالى. ولما كنت ابنة صانع ساعات، فإنى أعلم مدى صعوبة إصلاح الساعة. أما زوجى فريد فهو أخصائى فى إصلاح صحة البشر ـ لكن مهنته لا تنطوى على صعوبة تزيد على صعوبة مهنة إصلاح الساعات. ومع ذلك فإنه يعتقد بأن مهنته تسمح له باحتلال مكانة متفوقة، على المرضى والممرضات، بل وعلىَّ أنا شخصياً. وبالرغم من اعتقاد الأطباء بأنهم ملمون بكل شيء، فانهم لا يجدون الوقت لتلقين أبنائهم مبادئ المعرفة. وهم يتوقعون، عموماً، بأن تهتم زوجاتهم بأمر تدريس أطفالهم وتربيتهم وتنشئتهم. يضاف الى ذلك أنهم نادراً ما يقيمون فى البيت، تفادياً لمضايقتهم بالمشكلات المنزلية، وهذا ما يشمل صحة الزوجة كذلك: فإذا كانت تشعر بالمرض فإنها تتعلم عدم التذمر أو الشكوى.

وسرعان ما تتعلم الزوجة أيضاً أن زوجها لن يهتم بأية مشكلة من مشاكل البيت، ولو كانت تتعلق بمسألة دق مسمار فى حائط. وقد علقت زوجة أحد الأطباء ساخرة: «وهل شاهدت فى حياتك طبيباً يحمل كيساً من الخضار؟».

وهذا ما ينتقل عدواه الى زوجات الأطباء بعد سنوات قليلة. وعندئذ لن تجد زوجة طبيب تهتم برعاية المنزل شأن بقية الزوجات. بل إنها لتتعلم سبيل الإفادة من جميع الخدمات المتوفرة فى المدينة مما تحتمله ميزانية الزوج. وإذا كانت ثروة الزوج وفيرة فإن الحياة تصبح سهلة من هذه الناحية.

* مشكلات الجنس :

وكما هو متوقع، كشفت إحدى الدراسات التى أجريت مؤخراً عن أن ٨٠ بالمئة من الأطباء الذين أجابوا عن الأسئلة الموجهة اليهم بأن مهنتهم تتعارض مع حياتهم الجنسية. كما تفيد التقارير أن الطلاق أشد شيوعاً بين أبناء مهنة الطب من أية مهنة أخرى. ومع أن نسبـة الطلاق فى المدن الكبرى هى نسبة عالية جـداً، فإن الأطباء هم أقل الناس مبادرة الى البحث عن حلول لمشكلاتهم الزوجية.

ان «بولاس» زوجة طبيب نفسانى جاد فى منـتصف الثلاثينات من عمره. وكان جون ـ اسم الزوج ـ بدأ حيـاته المهنية قبل أربع سنوات، وهو الآن يمـضى ستين ساعة من العمل فى الأسبـوع، يكرس نصفها للخدمة فى مصحـة مجانية. وجدير بالذكر أن سبب اختـيار جون دراسة الطب النفسانى إنما يعود الى رغـبته فى دراسة مشكلاته النفـسانية، شـأنه فى ذلك شأن مـعظم زملائه الآخرين. ولما كـان جون يفوق زملاءه فى الدراسة عمقاً فى التفكير، فقد بدا أنه خلق للتحليل النفسانى.

أما بولا فقد انتقلت اليها شائعات كثـيرة عن اتصال الأطباء النفسانيين، جنسياً، بمرضاهم من النساء. بل لقد أخبرها جون بأن ثمة فئة من الأطباء النفسانيين يدعون الى هذه الطريقة لاعتقـادهم بفعاليتها فى التغلب على العقـد النفسانية. ومع ذلك فإن القلق لا ينتـابها لهذا الأمر. ذلك أنهـا تدرك، كما يدرك زوجهـا، أنه إذا كان للطبيب النفسانى أن ينجح فى مهنته ـ ولا بد له من النجاح ـ فيتحتم عليه أن يقيم علاقاته مع مرضاه على أساس موضوعى لا أثر فيه للعاطفة. وتبقى شكوى بولا، بعد، من أنها تود لو كان أشد اهتماماً بها، من الناحية العاطفية.

والحياة مع «جون» تتطلب الصبر والتـفهم. ذلك أنه يشعر بواجب المهنة يفرض عليه إنتاج «الأسرة المثالية». فإذا صرخت بولا فى وجه رضيعها، أو أهملت طفلها البالغ من العمر سنتين أثناء وجود جون، فإنها سوف تكون عرضة لسماع محاضرة طويلة عن تربية الأطفال. كمـا أنه كثيراً ما يعمد الى تحليلها نفـسانياً. بل إنه ليبدو منفصلاً موضـوعياً حتى فى الفراش، لذلك فـإننا نسمع بولا تشكو قائلة: «إنه لا يجد متعة فى ممارسة الحب».

كما ينتابها القلق كذلك حيال مـرضى زوجها. ذلك أن معظم الأطباء النفسانيين حقـاً يبذلون أقصـى جهدهم لحـماية أسرهم من مـرضاهم، بالحـرص على سرية الهاتف المنزلى. لكن هذا يفقد مبـرراته فى الضواحى، حيث يكون بوسع أى كان العثـور على عنوان منزل جون بسهولة فـائقة. وهكذا فإن بولا تتـوقع أعظم الشر كلما رن جرس الباب، فتقفز من مكانها بحركة لا إرادية!

ويراود بولا وجون، أحياناً، حلم بشراء بيت ريفى، لكنهـما سرعان ما ينفضان عنهما الحلـم، لإدراكهما بأن دخل الطبيب النفـسانى لا يزيد على ٣٠ ألف دولار إلا قليلاً، فى المدن الكبـرى. وهكذا يجدان أن عليهمـا أن يظلا قانعين بحالتـهما الراهنة. . . إنها حياة متـواضعة للطموح فيها سقف محدد والتـعويض فيها، بعد، يظل فى حدود الصورة الاجتماعية الممتازة.

فلا عجب إذن إذا وجدنـا العديد من الأطباء النفسانيين يلجـأون الى الانتحار، ولا عجب أن تكون النوبات القلبية شائعة بين الأطباء.

* البائع المتجول :

«ارتفاع ضـغط الدم مرض يكاد يكون مـقصوراً على البـاعة المتجـولين. التوتر العصبى مرض البائع المتجول. البـاعة المتجولون يتعرضون للقلق والكآبة التى تبلغ حد الجنون!»

نجاح البائع الجائل فى مهنته يكسبه دائماً صفة المقامر. . . ولهذا يغلب أن تتولى زوجته مهمة التخطيط. . . لضبط الأرباح .

لما كان البائع المتجول يعمل على أسـاس «الربح حسب التصريف»، فإنه مضطر للعـمل بلا انقطاع. وعلى الرغم من أن بعـضهم يـتقـاضون الرواتب الى جـانب عمولتهم، لتـسديد نفقات أسرهم، فإن عملهم الحـقيقى يبلغ ذروته بين المواسم، مما يجعلهم يقـضون فتـرات طويلة فى شبه بطالة عن العـمل. يضاف الى ذلك أن النجـاح فى هذه المهنة يكسب المـرء صفـات المقـامـر. وهذا ما يفـرض على أحـد الزوجين أن يقوم بأعمال التخطيط. . . وغالبـاً ما تقوم الزوجة بهذه المهمة. فتتعلم

ضبط أرباحه التى تتراوح بين ١٠ آلاف دولار و ٣٥ ألف دولار سنوياً حسب الجهد الذى يبذله الزوج، والطلب على بضاعته، وموقع عمله. وللزمن دوره فى هذا أيضاً.

وفى الأيام التى يبلغ فيها العمل ذروته، كما يحدث مع أصناف كثيرة من البضائع، وكلما طرح صنف جديد فى الأسواق، فإن البائع المتجول لن يجد وقتاً لتناول الطعام. لذلك ترتفع نسبة استهلاك الكحول بين أبناء هذه المهنة، فيصبح المرء مهدداً بالإصابة بالإدمان.

وإذا كانت منطقة عمل البائع المتجول هى مدينته هو بالذات، فإن الزوجة تعتاد اصطحابها معه لتناول العشاء فى المطاعم الفاخرة. ومع ذلك فإن الحذر يقتضى أن تحرص على الاحتفاظ ببعض شرائح اللحم، لمواجهة الطوارىء، حينما يضطر الزوج الى دعوة أحد العملاء الى بيته فى آخر لحظة.

كما أن الضغط على الزوج ليشتد وقد لا ينقطع عنه - إبان ذروة موسم البيع. لذلك عرف التوتر النفسى بأنه «مرض البائع»، كما أن ارتفاع ضغط الدم شديد الشيوع بين الباعة المتجولين. ولنا أن نأخذ بالتقرير الذى وضعته مصلحة الخدمات الطبية فى الولايات المتحدة، إذ تبين أن الذين يمتهنون الترويج للبضائع قوم معرضون لردود الفعل العصبية، والإصابة بالكآبة العقلية والعصبية. ومع ذلك فإن معظمهم آباء طيبون، وغالباً ما يلتفتون الى تربية أطفالهم، أثناء وجودهم فى البيت.

والباعة المتجولون يقيمون أهمية كبرى للشخصية. وهذا ما اكتشفته جينا فبالرغم من أن أسرته وأصدقاءه يعجبون بسحره ولطفه، وإجادته لدور المضيف، فإنهم لا يمحضونه كل الثقة... قالت جينا: لقد كشفت لى شقيقتى أن ثمة شعوراً لا ترتاح اليه يراودها دائماً بأنه سيفاجئها بالاعتراف بأن الأبيض أسود إذا لم تلتزم الحذر. بل ولقد أقنعها بالانضمام الى الكنيسة بعدما كانت الشكوك تراودها طيلة حياتها».

والبائع الناجح قادر على تقدير الناس بسرعة. وهذه موهبة لابد وأن تتوفر لديه

ليستطيع تقدير ما ينبغى عليه قوله للزبون. لذلك فهو يطالع صفحات الرياضة، إذا كان عملاؤه من الشباب، وتجده ينضم الى المراكز الروحية ونوادى الرجال ليجد أرضاً مشتركة لمناقشة هؤلاء العملاء، دون أن يكون ذلك تلبية لهوى فى نفسه. وهو يحكم على زبائنه بأنهم سطحيون فى معظم الأحيان، شأن كل من لهم به علاقة عمل، مما يشمل السكرتيرات والعميلات اللواتى يلتقى بهن على الطريق.

قالت إحدى الزوجات: «ان الزوجات لا يصدقن تلك الصورة عن البائع المتجول ذى القلب الطيب والأريحية المنقطعة النظير... فنحن نعلم أن أزواجنا يعملون ساعات طوالاً حتى لا يبقى لديهم متسع من الوقت لتبديده فى العبث».

ومع ذلك فقد كشفت لنا استقصاءاتنا وتحرياتنا أن أفضل الصفقات تتم على عكس ما تعتقد زوجاتهم. إذ أوضحت الاستجوابات التى أجريناها مع الزبائن أنه غالباً ما تجرى الصفقات على يد «صديقة طيبة القلب»، وغنى عن البيان أن ثمة أوساطاً تجد أنه من غير اللائق ألا يصطحب العميل زوجته معه فى مثل هذه المناسبات. وحينما يضطر البائع الجائل الى التغيب أسبوعين أو ثلاثة عن المنزل، فإن تبدلاً كاملاً يطرأ على حياة زوجته، إذ تتوقف عن قضاء الأمسيات بصحبة الجيران، وتزداد اعتماداً على النساء والصديقات فى مساعدتها أثناء النهار. كما ينعدم حماسه لطهى وجبات الغذاء، حينما لا يبقى من يهتم بمسألة الطعام سوى أطفالهم الصغار. يضاف الى ذلك أنها تجد نفسها، فجأة، وسط الفراغ. فاذا لم تجد مجالاً لتصريف طاقتها فإنها تصبح عرضة للشعور بالكآبة، وحتى الضياع. أما إذا كانت تتمتع بهواية ما فإنها قد ترحب بمزيد من أوقات الفراغ لتنصرف اليها.

ومع ذلك فإن الكثيرين من أبناء هذه المهنة يضطرون لاستبدال مهنتهم بأخرى نظراً لعدم مقدرة زوجاتهم على التكيف مع حياة الوحدة واضطرارهم لأخذ زمام أمور البيت بأيديهم. لذلك فإن الانهيار العصبى أشد شيوعاً بين الزوجات منه بين أزواجهن ذاتهم. وهذا ما عبرت جينا عنه بقولها: «إن المرأة أمام وضعين لا ثالث لهما: فإما أن تنهار، وإما أن تزداد قوة. فاذا انهارت الزوجة أصبح الزوج أمام احتمالين: فإما أن يتخلى عن مهنته، وإما أن يسعى الى الطلاق، ولست أعرف

طريقاً ثالثاً لحل هذه المشكلة».

أما النساء اللواتى يتعلمن تقبل فترات الفراق، فقد يستمتعن بها على المدى الطويل. ذلك بأنهن يجدن الغياب لفترات قصيرة عاملاً فى ازدياد الحب حقاً. فإذا عاد الزوج بعد غياب كان الجنس ألذ مذاقاً والحب أقوى، وبذلك تتجدد الحياة فى أوصال الحياة الزوجية. فالأمر كما عبرت عنه إحداهن: «ثمة نساء عديدات لا يجدن فرصة للابتعاد عن أزواجهن ولو ليوم واحد. أما الآن، وقد اعتدت الأمر، فإنى أصبحت أتلهف لاقتراب موعد سفر زوجى».

وهكذا تجد أن ليس ثمة مجال للدعوة الى «تحرر المرأة» بين زوجات الباعة المتجولين. بل لقد قالت إحداهن: «إننا لا نجد ثمة مبرراً لذلك».

* رجل السياسة :

«جيم نموذج مثالى للحيوان السياسى. إنه يتمتع بطاقة حيوية هائلة وهو يبلغ ذروة تألقه حينما ينتابه الغضب أو يتعرض للهجوم... وهوايته السيطرة على الآخرين»

نصيحة زوجة للزوجات: إذا كنت ذات حساسية تجاه شخصك وشخصيتك فحذار من أن تتركى لزوجك العنان ليدخل السياسة!

إن واجب الزوجة يقتضيها أن تكون أنموذجاً طبق الأصل للمرأة المساعدة التقليدية، إذا شاءت أن تستمتع بحياتها... ومع ذلك فهى فى حيرة: فإذا لم تكن جزءاً من العاصفة... انفصلت حياتهما! وإذا لم تحافظ على استقلال شخصيتها فستجد نفسها مجرد تابع... ظل... لزوجها.

كانت صورة سلبية تلك التى رسمتها مارى ت مصورة لحياة النائب جون ت: «كنت أشعر بنفسى إنسانة، فى الماضى. فقد كنا نرتاد الحفلات بصفتنا زوجين، فيقوم جون بنزع المعطف عن كتفى ويحمل الكأس ليقدمها الى ويقدمنى الى معارفه باعتزاز. أما الآن، فإننا لا نكاد نعبر الباب حتى يقوده المضيف ليقدمه الى «الجماعة». فأقوم أنا بتعليق معطفى، وأتناول كأسى بنفسى، وأنا أكاد أشعر بعدم

اهتمام الآخرين بوجودى. لذلك تنتابنى الرغبة، أحياناً، فى الصراخ: «إنى صاحبة حق فى التصويت كذلك» فإذا كنت ذات حساسية حيال شخصك فحذار من أن تتركى لزوجك العنان ليدخل حلبة «السياسة»

إن وليام، أحد أبناء الجيل الجديد، من السياسيين الذين لم يدخلوا معترك السياسة إلا لاعتقادهم بأنهم يستطيعون القيام بعمل ما لننسحب من فيتنام. ولكن مارى تقول: بصراحة، لقد أصيب بخيبة أمل... فلقد مضى على احتلاله المقعد فى الكونغرس سبع سنوات أمضاها حتى الآن فى دراسة مشاريع القوانين المطروحة للمناقشة والتصويت، نظراً لأنها موضوعة بلغة فنية دقيقة، حتى أن النائب العادى لا يدرك على أى شىء يصوت. لذلك تجد زوجى مشغولاً بحضور طعام الإفطار وحفلات العشاء والغداء كلما عدنا الى بلدتنا، حتى إنه لا تتاح لى فرصة مقابلته على انفراد إلا بعد إلحاح متواصل منى»

وجدير بالذكر أن حياة جون ومارى الزوجية تعرضت للاهتزاز بعض الوقت، بسبب إقامته فى الفندق لمدة أربعة أيام أو خمسة على مدى خمسة شهور فى السنة، فى حين كانت مارى مضطرة الى ملازمة البيت للعناية بأبنائها. لكن أصغرهم دخل الجامعة فى السنة الماضية، فاستطاعا الإقامة فى شقة استأجراها فى العاصمة، لتستطيع هى أن تكون بجانب زوجها. وقد عقبت مارى قائلة: ليس ثمة مجال آخر، فإما البقاء فى البيت وحيدة شقية، وإما البقاء الى جانبه فأصاب بالسأم... لقد أصبحت أشعر بأننى موزعة بين بيتين، لذلك أعانى من صعوبة الفصل بينهما، فتجدنى أدخل البيت وأنا أفكر فى فتح تلك العلبة من السمك اللذيذ، والتى كنت قد اشتريتها قبل يومين، لأتذكر فجأة أن العلبة موجودة فى بيتى بالمدينة. أما عندما يتعلق الأمر بالمحافظة على كى ملابسه، لتكون جاهزة لحالات الطوارىء، فإن جمهور زوجى لا يفكر فى زوجته المسكينة، وهى تهرع حاملة قمصانه النظيفة، وتعنى بمواعيده التى يحددها فى البيت!

إن جون نموذج مثالى للحيوان السياسى. فهو يتمتع بطاقة حيوية هائلة، ولا يبلغ أوج تألقه إلا حينما يثور غضبه أو يتعرض لهجوم. انه يهوى السيطرة على

الناس، واكتساب النفوذ بالخطابة، ويتيه إعجاباً بنفسه حينما تنتظم الأسرة حوله. وهنا تقول ماري: «إن مهمتي هي حمل الكرافتة، فيما يقوم ابننا جيم بتهيئة السيارة، أما نانسي فتودعه عند الباب ـ وهو يتمتع بقابلية مذهلة تستطيع احتمال كل هذا الاهتمام»

كما أنه يعطي انطباعاً بالكمال. ومع ذلك، وبالرغم من ادراك ماري لكل نقاط ضعف زوجها، فإن ولديهما يجدان صعوبة في الحياة معه. وقد علقت ماري على ذلك بمثال فقالت: إن جيمي الصغير كان يشعر بالحرج، حتى ليكاد يبكي وهو يجد أباه محور اهتمام زملائه في الدراسة، وهم يدرسون مادة الحكم المحلي... فليس ثمة أحد من أفراد العائلة، سوى جون، استطاع أن يكون هدفا للأضواء»

وعلى الرغم من أن معظم عائلات السياسيين يكونون هدفاً لتسليط الأضواء عليهم، فإنه نادراً ما يلتقي الأبناء الصغار بآبائهم. أما الدخل فيختلف باختلاف المنصب الذي يتمتع به، إذ أن ما يتقاضاه عضو الولاية من التعويضات لا يجاوز الخمسة عشر ألفاً من الدولارات. هذا بالإضافة الى تعويضاته التي يتقاضاها عن عضوية اللجان. أما عضو الكونغرس فيتقاضى ٤٢ ألف دولار، الى جانب تعويضات السفر. لكن الجلسات لا تدور طول السنة دائماً، وإن تكن السرعة المذهلة التي تجري فيها المناقشات، والتوتر العصبي الناجم عن ذلك، كفيلين باستنفاذ طاقة أي رجل، وبخاصة إذا أدرك المرء أن الجلسات لا تتقيد بحدود زمنية. أما أوقات العطلات فالسياسي يقضيها في تنظيم الحملات السياسية، أو إدارة شؤون البلدة، كما لا تخلو أسرته من المهمات التي يعهد بها اليهم لمساعدته على أدائها.

لقد قالت لنا زوجة أحد أعضاء الكونغرس! لم أستطع طيلة السنوات الست عشرة الماضية اعتياد تلقي المكالمات الهاتفية في الساعة الثانية بعد منتصف الليل... حقاً إني لا أكترث بوسائل التهديد التي ترد الينا، لكنني أصاب بذعر شديد كلما رن جرس الهاتف ليلاً.» وجدير بالذكر أن معظم هذه المكالمات تتعلق بأمور تجاوز صلاحيات السياسي تماماً. إذ يبدو أن مؤيدي السياسي يعتقدون أنه معني بكل

صغيرة وكبيرة من مشاكلهم، كترميم طريق فرعى، أو التعطيل الذى يطرأ على مولد الكهرباء فى المدينة. وما ذلك إلا لأن اسمه يتداعى الى ذاكرة الناخبين.

والسياسى، بعد، يهوى عمله. وهذا أمر ضرورى لابد منه، إذا كان يريد الاستمرار فى سلطته. «فلا عجب إذا كانت أمراض القلب متفشية بين كبار المسؤولين الحكوميين». وإذا شاءت الزوجة أن تهنأ بحياتها، فعليها أن تكون نموذج المرأة المطيعة التقليدية، وعندئذ ستجد نفسها أمام مأزق فإذا لم تشأ أن تكون جزءاً من هذه الدوامة فقد انفصلت حياتهما بحاجز كثيف. وإذا لم تحافظ على استقلال شخصيتها فستجد نفسها تابعاً له. إذن فلابد من أن تتقبل برحابة صدر الدعوات الطارئة التى ترد اليهما فى لحظة غير متوقعة، كما ينبغى عليها ألا تتكدر من اجتماع حلقات النساء حول زوجها.

إن جون ت ليجد نفسه محاطاً بالنساء، حتى مجلس نواب الولاية، إذ لابد له من حضور حفلات الكوكتيل التى تقام على شرف النواب، بدعوة من هذه الفئة أو تلك من رواد الأروقة فى المجلس «أى السياسيين الذين لا يظهرون أمام الرأى العام». ولابد من الإشارة هنا الى أن ثمة عدداً كبيراً من السيدات الذكيات النشيطات، اللائى يعملن فى هذا الحقل. يضاف الى ذلك الموظفات والمساعدات والسكرتيرات اللوائى لن يتلكأن فى استضافة زوجها. وهناك أيضاً احتمال بالترويح عن نفسه بعيداً عنها، وبخاصة حينما تكون هى فى منزلها تشرف على شؤون ولديهما. وهذا ما علقت عليه مارى بقولها: «ثمة مجال واسع للعبث. لكن المتزوجين لا يحاولون تجاوز الحدود، رهبة من السلاح الفعال الذى قد تشهره الزوجة، وهو الطلاق. ذلك أن آثار ذلك أكبر من أن تحصى حينما يتعلق الأمر بسمعتهم ومكانتهم».

لطالما كان جون وزوجته يقولان، على مدى السنوات السبع التى أمضاها فى المجلس، بأنه سوف يتخلى عن مقعده فى الانتخابات القادمة، من أجل الأسرة. لكن مارى تعلم مدى حبه للسياسة، لذلك لن تحاول من طرفها جره الى التقاعد عن مزاولة هوايته الأولى.

وكما صرحت لنا زوجة أحد السياسيين القدامى: أن المرأة تعتاد هذه الحياة بعد فترة. كما أنه مدعاة لشعور المرأة بالاعتزاز حينما يشار إليها بالبنان: «هذه زوجة فلان السياسى».

* المدرس :

«كشفت دراسة أجرتها مجلة «بيجانت» الأمريكية أن نسبة الطلاق بين المدرسين أقل من نسبتها بين أصحاب المهن الأخرى... المدرسون بعيدون عن الأنانية ويحتاجون الى رعاية مستمرة».

كانت عقارب الساعة تشير الى الواحدة بعد منتصف الليل، حينما هب «توم ب» وزوجته نانسى من نومهما العميق. على صوت رنين جرس الباب. والتقط توم ثوبه وارتداه، ثم هرول الى الباب ليستطلع الخبر. وما هى إلا لحظات حتى كانت نانسى فى أثره. وأمامهما اندفعت فتاة فى ربيع العمر، باكية، بين ذراعيه، قائلة: «ينبغى أن تساعدنى. فليس لى من اتجه اليه سواك يا مستر ب. لقد عاد صديقى من رحلته وهددنى بقتل جميع الذين اتصلوا بى أثناء غيابه. إنه يدبر أمراً... إننى واثقة من هذا!».

إن توم ب مدرس رياضيات فى احدى الثانويات، وهو يهوى مهنته. وهذا ما يدركه تلامذته حتى اكتسب لقب «الصديق» بينهم. وكان توم قد التقى هذه المراهقة الصغيرة قبل بضعة أسابيع، وهى تجهش بالبكاء عند الدرج، وأدرك السبب فى حينه ذلك أن الفتاة تنتمى الى أسرة ثرية، وقد انفصل والداها عن بعضهما، ولكنها لم تكن على وفاق مع والدتها، لذلك سمح لها بالعيش فى أحد بيوت الطالبات. وفى تلك البيئة كان يتم لقاؤها بصديقها. لكنه سرعان ما كان ضيف الإصلاحية بعد اعتقاله لحيازته المكيفات، ثم أبعدته أسرته عن الجو حتى زوال تلك الغيمة. لكنه لم يكد يغادر البلدة حتى سارع أصدقاؤه الى احتلال مكانه. ولما كانت الفتاة لا تزال تفتقر للخبرة بحكم صغر سنها، فإنها لم تستطع أن تتدبر أمرها مع هؤلاء الفتيان.

ولقد حاول توم مساعدتها لكن دون جدوى إذ لم يكن ثمة من يأبه بأمر الطفلة، كما كان يقول لزوجته نانسى. ذلك أن والدتها كانت قد أبرأت نفسها من مسؤوليتها عن ابنتها. أما والدها فكان يبعد عنها مسافة طويلة جداً، ليأخذ أمر معونته فى الحسبان.

لكن نانسى اعتادت هذه المشكلات فمنذ أن اتخذ توم التعليم مهنة له لم يكن رنين الهاتف لينقطع فى أيام العطلة الأسبوعية، ليتلقى مكالمات من تلامذته الذين يشكون الوحدة، أو اليافعين الذين يدعونه الى تناول الشراب معهم فى بعض الليالى. كما لم يكن سيل الأطفال لينقطع عن البيت، اذ يأتونه حاملين معهم هذه المشكلة أو تلك. وفى اليوم التالى تجده يتصل بإحدى العائلات يسألها أن تستضيف هذا الطفل أو ذاك. وبعد ذلك يعود ليواجه مشكلة أخرى غير متوقعة.

فأن يكون المرء مدرساً فى إحدى الثانويات أمر أشبه ما يكون بمسلسل تليفزيونى حى. ولكن الأمر لا يخلو من مكافآت بالنسبة للزوجة أو الأسرة على أن المال لا يدخل فى عدادها. بل إن دخل المدرس لا يزيد على ١٣ ألف دولار سنوياً، بالرغم من الشهادات العالية التى يحملها. وهذا، يعد، هو نفس الدخل الذى يتمتع به الموظف العادى الذى لا يحمل مثل شهادته العلمية.

ومع ذلك فإن المدرسين أزواج صالحون حقاً، إذ يساعدون زوجاتهم فى غسيل الصحون، ويستيقظون من نومهم للعناية بالرضيع، ويعتزون بتماسك الأسرة. وبالمقابل فإن قلة مواردهم تضطر زوجاتهم الى العمل، فى معظم الأحيان للمساعدة فى ميزانية البيت، وهم لا يتأخرون فى إبداء تقديرهم وامتنانهم لهذه المساعدة. يضاف الى ذلك أن المدرسين قوم يعتمدون الدقة فى مواعيدهم، ونادراً ما يقومون بأية أعمال فى أيام العطلة الأسبوعية. أما الأمسيات فإنهم غالباً ما يقضونها فى القيام بأعمال إضافية لزيادة ميزانية البيت.

ومن جهة أخرى كشفت دراسة ميدانية أجرتها مجلة «بيجانت» الاميركية أن نسبة الطلاق بين المدرسين هى أقل منها بين أبناء أية مهنة أخرى، إذ يبدو أن المدرسين قوم بعيدون عن الأنانية، ويحتاجون الى رعاية مستمرة ومن هنا يختلفون

عن الأطباء والمحامـين ورجال السياسة. وقد جـرت العادة على أن ينزع المدرسون الى الاتجاهات السـياسية المعـتدلة. وهم لا يختلفـون فى هذا من حيث اختـيارهم مهنتهم المستقرة بطبيعتها. أما هوايتهم فهى مشاهدة البرامج التلفزيونية التى يقبلون عليها إقبالاً شديداً ويهوون آخر الصيحات فى عالم الهوايات، ككرة القدم مثلاً.

والمدرس «الممتاز» كـصاحبنا توم، يشعر بقلق دائم حـيال انقطاع حبل الود بين المدرسين الآخرين والتلامذة. ومع ذلك فإن نانسى تشكو من انعدام اهتمام زوجها بمدى تفـهمـه لاحتـياجات أطـفاله. فـقد شكت من أنهـا هى التى تقوم بتـدريس الأطفال، كلما شعروا بحاجتهم الى استيعاب المواد الدراسية «انه ليخشى أن يفلت زمام الأمر من يده، فيبادر الى تقريع أبنائه لعدم جديتهم. بل إنه لا يقدم يد المعونة الى أبنائه حينما يقومون بإنجاز واجباتهم المنزلية».

ولكن الأطفال يعـتزون بوجود أبيهم فى المـدرسة. فكثيراً مـا يلتقى الأبناء مع أبيهم فى المدرسة نفسها. وهنا يحـتل الأطفال، والزوجة كذلك، مكانة خاصة فى المجتمع.

والمدرسـون يقـفون، بدورهم، فى رهـبة أمـام السلطات فى المدرسـة. فكمـا يمكنكم أن تتوقعوا، يؤثر المدرسون اتخاذ سـبيل السلامة فى علاقاتهم برؤسائهم. ففى إحدى المدن الصغرى ترأس مدرس مندفـع جماعة من المدرسين الذين يدعون الى الإضراب عن العمل أثناء المفـاوضات حول تجديد عقـود العمل. ولكن ما أن أصبحت الجماعة على وشك دخول اجتماع مع رئيس هيئة تفتيش المدرسين، حتى التفت الرجل الى زملائه محذراً: «لا تصفقوا حينما يدخل المفتش على الاجتماع. تذكروا هذا جيداً» ولكن ما ان أطل المفتش حتى كان هذا الرجل أول المصفقين!

والمدرسون، عموماً، يتـمتعون بلياقة صحيـة جيدة. ولا يبدو أنهم يشكون إلا من تصلب الشرايين وضعف القلب، كـما جاء فى أحد التقارير الرسـمية. وبذلك ربما كان المدرسون أفضل الأزواج وأشدهم نزوعاً الى الاستقرار.

*** الفنان :**

روجـة فنّان تقـــول: زوجى لا يخـتلف عـن الأطفـال إلا فى أنّه أصعَب مراساً!

«الفنانون، عادة، فئتان: المندفعون الى العمل... والمتعطلون عن العمل».

ينشد الفنانون إرضـاء غرورهم باستمرار، بسـبب تضخم الأنا... وغالباً ما ينافسون الأطفال على حب الزوجة.

قالت سوزان (٢٢ سنة)، باعـتزاز، لأمها: «لقد أخـذ والد اندريا يتلقى معونة من الحكومة.»... وعندئذ أطلقت والـدتها ضحكة ساخـرة وهى تقول: «يتلقى معونـة من الحكومة!» وكان مرد سـخريتها أنهـا سمعت لتوها بأن أسـرة اندريا قد اشترت بيتاً ريفياً «نقداً»!

قـالت سوزان بلهـجة الإصـرار: «إننى واثقـة من كلامى، فلقـد ظللت أتردد عليهم طيلة الأيام الثـلاثة الماضية، وكان والدها حاضـراً فى البيت طيلة هذه الأيام أيضاً. وعندمـا سألتهـا عما إذا كان الرجـل مريضاً، أجابتنـى بأن والدها يعمل فى البيت. وعندما اصطحبتنى لمشاهدة غرفة عمل والدها وجدتها غرفة عادية ليس فيها غير طاولة وكرسى وأوراق متناثرة فى أرجاء الغـرفة. وعندما سمحت لى باختلاس النظر الى الغرفة، وجدت الرجل جالساً يحدق عـبر النافذة. ولما سألتها عن مصدر دخل والدها، أجابتنى بأنه يتلقى نقوده كل شهر بواسطة البريد»!

وهكذا يجـد أبناء الخلاقـين - الكتّاب والفنانين وأمـثالهم - أنفـسهم مـضطرين للإسفاف فى التفـسير والإكثار من الاعتذارات، وبخـاصة اذا كان الوالد يعمل فى منزله، وليس فى مرسم أو غـرفة مأجورة. ولـعل أكثر العبـارات ترددا على لسان الأم، وأشدها تكراراً على مسامع الصغار: «صه! إن «البابا» منقطع للعمل».

وجدير بالإشارة أن معظـم المبدعين لا ينالون أجوراً عالية، إلا بعـد كفاح مرير يدوم سنوات، مما يجعل الأم تضطر الى العمل لمساعدة الأب على تحمل أعباء إعالة الأسرة، تاركـة للأب أمر غـسيل الصحـون والأوانى، وإلا اضطر هذا الزوج الى

البحث عن وسيلة لجنى المال أثناء سعيه. وهذا يشمل العمل فى البار أو العثور على وظيفة فى المكتب... أية وظيفة لا تؤدى الى إرهاق الفكر الذى يكرسه صاحبه للأعمال الخلاقة. لذلك فإنه لا يصلح لأن يكون الممول صاحب الرصيد الذى يحلم به مدير البنك. اذ من المعروف عن أمثال هذا الرجل عدم تقديرهم للمال. فاذا اشترى بيتاً أو سيارة أو آلة غسيل، فإنه يفضل دفع الثمن نقداً. يضاف الى ذلك أنه لا يحسن ضبط ميزانيته. فبالرغم من أنه لا يدرى متى سيصل اليه الشيك التالى، فإنه غالباً ما يبدد الأموال على الضروريات الباهظة الثمن.

ولكن مما لا ريب فيه أن ثمة سحراً يحيط بالأعمال الخلاقة، مما يقيم لزوجة الفنان اعتباراً كبيراً، وان كان زوجها كاتباً متواضعاً أو فناناً لا تتسم أعماله بأهمية فنية كبيرة. ومع ذلك فإن الحياة مع الفنان أشبه ما تكون بالجحيم!

ولقد جرت العادة على أن ينتمى المبدعون الى إحدى الفئتين، فهم إما من النوع الذى لا ينقطع عن العمل، وإما من النوع الكسول الذى لا يحتمل. أما الكاتب أو الفنان الدؤوب فلا يستطيع الانقطاع عن ممارسة موهبته، بدءاً من لحظة هبوط الوحى الذى يملى عليه عمله حتى اللحظة التى ينتهى فيها من إنجاز ما كان بصدد إنجازه.

أما النوع الآخر من المبدعين، أى النموذج الشارد، فيظل جالساً أمام الورقة البيضاء، طيلة أيام يخوض فيها حرباً مع نفسه، فلا يستطيع تجسيد إلهامه على الورقة، حتى تتم الغلبة لذلك الجزء من نفسه الذى يريد الإنجاز، وبعدما يندحر ذلك النصف الآخر من نفسه الذى كان يخشى إلزامه بشىء محدد. وفى غضون ذلك يبدو الرجل متوتر الأعصاب بشكل لا تطاق الحياة معه، وفى حالة من البطالة التامة.

والفنانون (ونعنى بذلك الكُتّاب والرسامين، الممثلين والموسيقيين... الخ) قوم انطوائيون، عموماً. إذ يطيب لهم قضاء ساعات طويلة وحيدين، يبحثون فى أعماقهم، بل إنهم ينفرون أحياناً من صحبة حتى زوجاتهم وأطفالهم. وهم لا يعرفون ساعة محددة للعمل، فيعملون - أو يحاولون العمل - بقدر ما تسمح لهم

أسـرهم بذلك، حتى إنهـم نادراً ما يخلدون الى الراحـة فى إجـازة، مالم تهـدد الزوجة بالطلاق.

ولعل الفنانين أقل الناس تحفظاً فى حديثـهم. وما نسمعه من ألفاظ تعـتبر نابية اليوم، هى من مفردات الفنانين المنسيـة، بل إنهم لا يعرفون التحفظ فى الألفاظ، حتى لتصبح حـرية التعبير لديهم، عامل خطر فى نطاق الأسرة. فـتذكر لنا سوزان يوم استدعـتها ناظرة مدرسة الحـضانة التى يدرس ابنها فيهـا قولها: «لم تكن لدىَّ فكرة عما يمكن أن يكون ابنى قد أقدم عليه». فقد ظلت هذه السيدة اللطيفة تلقى علىَّ محـاضرة طويلة عن لغـته - التى اعتـقد أنها لغـة متقـدمة بالنسـبة لطفل فى الخامسة من عمره - حتى أدركت أخيـراً أنها لم تكن تعترض على ما يجهله الطفل من المفردات، وانما كان اعتـراضها منصباً على المفردات التى يعرفهـا فعلاً. وأخيراً فهـمت من الناظرة أن ابنى خـاطب الصف قائلاً: «إن قـضيبى يزعـجنى». ولكم شعرت بالراحـة عندئذ! اذ من حسن الحظ انه لم يستخـدم إلا هذه الجملة من بين العبارات التى لا ينقطع عن سماعها فى البيت!.

والفنانون، بعد، لا ينقطعون عن البحث عن الإطراء والإعجاب، بسبب تضخم الغرور لديهم. بل إنهم لينافسـون أطفالهم لاسترعاء اهتمـام الزوجة. ولقد عبَّرت زوجة أحد الرسامين عن ذلك بقولهـا: «ان الأمر أشبه ما يكون بوجود طفل آخر حـولى طول الوقت. ذلك أن زوجى لا يختـلف عن الأطفال فى شىء سـوى أنه أصعب مراساً». لذلك فإن الـفنانين كثيراً ما يسعون الى المغامـرات الغرامية خارج نطاق الحياة الزوجية. وليس ذلك حباً فى الغرام، ولكن لمجرد إشباع الغرور.

كان قد مضى على زواج «مارى ب» وزوجها الكاتب خمسة عشر عاماً، أمضت الزوجة الأعوام الأربعة عشر الأخيرة فى دراسة احتمال الطلاق. ذلك أنها وجدت البون شاسعاً بين مشاهد العرى المثـيرة الملتهبة التى يصورها بالكلمات وبين سلوكه الجنسى البارد المتزمت فى الفـراش. أما أفكاره عن ترتيب البيت وتأثيثه فـلا تفتقر للإبداع، لكنها لا تستطيع استدعـاءه لوضع رف واحد فيه.. ومع أنه يحلو لها أن تستمتع بصحـبته، فإنه ينغلق على نفسه فى معظم الأوقات، حـتى لتشعر هى بأنها

لا ترتبط بزواج. ومع ذلك فهى تحبه حتى أصبحت تدرك الحقيقة الواقعة وهى أنها لن تسعى الى تنفيذ ما يجول فى عقلها حول الانفصال عنه. اذ تساءلت أمامنا: «كيف سيتمكن من ترتيب أموره بدونى؟ فهو لن يقدر على الدقة فى مواعيد تسديد الفواتير، كما لن يقدر على غسل جواربه أو نفض الغبار عن مقعده!».

لكن حقيقة الأمر هى أن هؤلاء المبدعين أبعد الناس عن العجز. ذلك أن صورة الابن الضائع التى يظهرون بها تجتذب اليهم النساء زرافات ووحداناً. فإذا عمدت الزوجة الى الطلاق، فإن ثمة نساء غيرها ينتظرن الدور للحلول مكانها. حقاً إنها حياة العوز والدخل فيها ضئيل، ولكن هناك أملاً فى هبوط الثروة والشهرة على مثل هذه الأسرة.

* مضارب البورصة :

«المضارب، عادة، رجل متوسط الذكاء والإمكانات... محافظ فى ذوقه ونظرته الى الحياة... ومتوسط الثقافة على الأرجح».

عاش «ستانلى» عشر سنوات من النجاح الخارق فى المضاربة بسوق البورصة فى نيويورك. فلقد تصاعدت ثروته طيلة هذه السنوات، حتى اذا حل عام ١٩٦٨ بلغ معدل أرباحه ٥٠ ألف دولار فى السنة. وكان قد اشترى بيتاً يبلغ ثمنه ١٠٠ ألف دولار فى إحدى الضواحى الراقية، كما ابتاع يختاً وأصبح شريكاً فى إحدى الطائرات. أما بقية ثروته فقد عاد الى استثمارها فى السندات نفسها التى كان ينصح عملاءه بشرائها.

ولقد وقعت الواقعة بعدئذ، اذ انخفضت أسعار السندات فانهارت البورصة وستانلى معها. ولقد أخطأ حينما لم يتحوط للأيام السوداء، فلم يدخر لها شيئاً فى البنك، فأصبح يمسك سندات فقدت نصف قيمتها، شأنه فى ذلك شأن أفضل عملائه. وهكذا وجد نفسه مضطراً لبيع البيت واليخت وحصته من الطائرة. وبذلك عادت عائلة ستانلى الى نقطة الصفر، حيث كانوا قبل عشر سنوات.

أن تكون المرأة زوجة مضارب أو «سمسار» - وهو الاسم الذى يعرف به الرجل الذى لا يحتل مقعداً فى البورصة - هو وضع قريب من وضع زوجة البائع المتجول. ذلك بأن المضارب لا يعتمد على راتب محدد، وإنما ينفق من عمولاته الشهرية عن المبيعات، وغالباً ما يكون مضطراً لمشاركة عملائه فى موائد العشاء أو الشراب، كما قد يفترض فيه مشاركتهم لعب التنس والجولف.

ومعظم المضاربين يعملون بالقرب من بلدهم الأصلى، ويعتمدون على معارفهم وأصدقائهم وجيرانهم فى أعمالهم. لذلك تجدهم ينخرطون فى النشاطات الدينية وينتسبون الى النوادى الرجالية، حيث يمكن التعرف الى «عملاء» محتملين. لذلك فإن المضاربين لا ينقطعون يرددون على مسامع زوجاتهم أنهم، دائماً، قاب قوسين أو أدنى من صفقة العمر.

وإذا كنت، يا سيدتى، تهوين معاشرة الناس، فإن المضاربين أفضل من يوفر لك هذه الفرصة، اذ يحلو لهم إقامة الحفلات الاجتماعية وحضورها، لما لذلك من أثر طيب فى الأعمال. كما يحلو لهم قضاء العطلات الأسبوعية بعيداً عن أماكن عملهم، كلما استطاعوا ذلك، لأنهم كثيراً ما يتعرفون الى عملاء جدد بهذه الطريقة. ومع ذلك فإنهم، كقاعدة عامة، لا ينطوون على أنانية، وينزعون الى الاستقرار فى حياتهم العائلية، فلا يحبذون الخيانة الزوجية ولا الطلاق. كما أنهم لا يجدون غضاضة فى غسل الصحون والأوانى أو تشذيب أعشاب الحديقة، ويحلو لهم مشاهدة الأفلام التلفزيونية، وبخاصة البرامج الرياضية.

يضاف الى ذلك أن المضارب محب للنظام، فلا ينزع الى العمل خارج أوقات الدوام، إلا إذا كان يستضيف أحد عملائه، أحياناً. ولعل مما يساعده فى ذلك انتظام ساعات العمل فى سوق البورصة، حيث يندر أن تفتح أبوابها فى أيام العطلات الأسبوعية.

وبالمقابل، يبدو المضارب رجلاً عادياً فى جميع مظاهره، فهو متوسط الذكاء والحيوية. وبالتالى فهو محافظ فى ذوقه ونظرته الى الحياة. ولقد أصبح من المألوف فى أيامنا هذه أن يكون المضارب متمتعاً بقسط من الثقافة تتراوح بين

الثانوية والدرجة العلمية العالية نسبياً ـ البكالوريوس ـ فى مجال التجارة والأعمال.

وإذا كان مضاربو البورصة على قدر كبير من الثقة بالنفس، حتى سنوات قليلة ماضية، فإن انحدار الأعمال قد أدى الى انهيار ثقة الكثيرين. ولقد استهدفت الضربة مضاربى البورصة أولاً، فكانت ضربة أقسى عليهم مما وجه الى أصحاب المهن الأخرى. ولقد عبرت السيدة « T » عن ذلك أحسن تعبير إذ قالت: «لقد اعتاد زوجى اتخاذ القرارات فيما يتعلق بشؤون العائلة. أما الآن فقد أصبح يكثر من الاعتماد علىَّ فى اتخاذ القرارات. وإذا اضطر الى اتخاذ قرار ما، فإنه يصبح شديد التردد، ولا يصدر قراره إلا بعد لأى، ومن ثم تجده منطوياً على نفسه أحياناً، وعصبياً أحياناً اخرى، وعلى العموم فهو رجل مثبط العزائم فى هذه الأيام. لذلك فقد أصبح تشجيعه شغلى الشاغل».

ومع ذلك فإن الأمور لم تكن لتخلو من المخاطر، حتى أيام كانت هذه المهنة الأنيقة فى ظاهرها، فى أوج مجدها. وهذه زوجة أحد المضاربين تصارحنا بقولها: «إن المرء يفقد الاعتبار للإنسانية، حينما يتصرف بأموال الناس... فلقد صدم زوجى حينما اكتشف مدى بشاعة الناس وشراستهم، عندما تتعلق الأمور باستثماراتهم». وهنا تجد من بين أفضل عملاء المضارب، الأطباء. ومع ذلك فهؤلاء من أصعب الناس عند التعامل معهم، اذ علمنا أن الطبيب يعتقد بأنه محق دائماً وأن غيره على خطأ، ولا يتردد فى تبديد وقتك واهتماماتك، حينما يتعلق الأمر بصالحه.

فلا عجب أن كان مضاربو البورصة عرضة للإصابة بالقرحة، لما يتعرضون له من قلق وخوف وتهديد بالأخطار والخسارة.

* التاجر الصغير :

صغار التجّار يعملون أطول وَقت وينالون اقل اجر وَمع ذلك فزوجاتهم سعيدات وقانعات بنصيبهن!

«تبلغ أرباح التاجر الصغير نحو عشرة آلاف وخمسمئة دولار

سنوياً، مقابل ١٢ ألف دولار لجميع الناس... التاجـر الصغير أكثر الناس دأباً على العمل»

تتطلب المـصلحـة من صـاحب المخــزن العـمل طول اليــوم، وإبداء اللطف للجميع.. حتى حيال أشـد الزبائن صلفاً. ومع ذلك فهو لا يكاد ينال من الدخل ما يناله الآخـرون. فلقد كشـفت التقاريـر الرسميـة، فى عام ١٩٧٠، أن التـاجر الصغير يعمل بمعدل ستة أيام فى الأسبوع لقاء عشرة آلاف وخمسمئة دولار سنوياً، بينما يحصل الآخرون على ١٥ ألف دولار.

ومع ذلك فـقد تبـين لنا، فى سيـاق هذا البـحث، أن معظم زوجـات التجـار الصغار سعيدات بزيجاتهن وقانعات بنصيبهن.

إن السيدة «تيريز و.» مثال نموذجى لزوجة صاحـب متجر اختار مهنته بدافع من رغبتـه فى ذلك. فقد بدأ زوجهـا «رئيس قسم» فى مخزن كـبير، وظل يرأس هذا القسم سنوات عديدة، حـتى سئم العمل وهو يرى راتبه جامداً، فـيما كانت أرباح المخزن تتزايد ازدياداً مسـتمراً. وأخيراً عزم الرجل على افتتاح مـخزنه الخاص لبيع الملابس.

وهنا تتذكر تيريز ما قاله زوجها لها يومئذ وهو: «لم أعد مضطراً لأن أكون تابعاً لأحـد بعد الآن. فـفى هذا العمل يصـبح الرجل سـيد نفـسه، ومن ثم لم أعـد مضطراً للتقيد بدوام، اذ أصبحت أملك الحق فى فتح أبواب المخزن وإغلاقها حين أشاء. وهكذا فأنا سيد مصيرى!».

ولقد كـان ذلك، وان اضطر السيـد (و) للتقيـد بمواعيد الـعمل، شأن جـميع المخازن الكبـرى، ليتمكن من جنى الأرباح. ولكن لما كان مـخزنه قريباً من بـيته، فإن زوجته كثيراً ما كانت تأتى لتنوب عنه فى فترة العصر ليروح عن نفسه قليلاً من عناء العمل.

وتقول السيدة تيريز فى هذا الصدد: «ان المـناوبة توفر لى مجالاً لقضاء الوقت، وبخاصـة أن أبناءنا أصبـحوا أقل اعـتمـاداً علينا... وانى لأشعـر فى الواقع بأنى شريكة فى هذا المخـزن، نظراً لأن زوجى يشاورنى فى كل أمر، ويـصطحبنى عند

شراء البضائع. وإنى لأعتقد بأن هذا المخزن قد وفر لنا فرصة الحديث مع بعضنا، ولولاه لما كانت لدينا موضوعات عديدة نتشاور بشأنها».

ومع أن النساء لا يجدن قيمة اجتماعية خاصة لكونهن زوجات أصحاب مخازن، فإن الأمر يختلف بالنسبة للأطفال. ذلك انه إذا كان والد الطفل يملك دكاناً لبيع حلوى الصغار، نظر اليه رفاقه نظرة احترام. ومثل هذا الاحترام تحظى به الفتاة حينما تغسل شعرها وتزينه فى الصالون الذى يمتلكه والدها.

ويحلو للزوجات، من جهة أخرى، الصحبة المتواصلة التى توفرها الأعمال الحرة التى يديرها أزواجهن. ومع ذلك فقد اخبرتنا إحداهن، سراً، إذ قالت: «ثمة أوقات ينتابنى فيها الضيق، فأتمنى لو أننا نمضى مثل هذه الأوقات الطويلة بصحبة بعضنا البعض. فعندئذ تجاوز معرفتنا ببعضنا الحد المرغوب»

إن أصحاب المحال يمضون فى أعمالهم نحو ٣٢ ـ ٤٠ ساعة من العمل الفعلى، مما يتوقف على نوع المحل وتقاليد البلد ومبلغ الإقبال المتوقع على الشراء. وقد جرت عادة أصحاب المحال على قضاء أوقات الفراغ فى مشاهدة البرامج التلفزيونية والقيام بنزهات فى السيارة ـ أى النشاطات التى لا تستدعى وقوفهم على الأقدام وهكذا فإن حياتهم لا تتسم بطابع الإثارة. فحاجاتهم وأهدافهم بسيطة. وهم يتزعون الى البطء، عموماً. ومع ذلك فإن الإصابة بالقرحة نادرة بين التجار الصغار، كما أنهم نادراً ما يقدمون على الانتحار أو يصابون بالغرور كما هو شأن الطبيب ورجل السياسة والفنان، مما يجعل الحياة سهلة مع أولئك.

* المحامى :

الخيانة الزوجية والطلاق أمران مألوفان بين أبناء مهنة المحاماة

«المحامى الجنائى ومحامى الشركات ينتميان الى فصيلتين مختلفتين... أفضل المحامين يتسمون بالغرور الشديد والحاجة المستمرة لاهتمام الآخرين»

محامو الشركات، والمحامون الصُلْحيـون المختصون بقضايا الوصايا والعقارات وغيرها ـ هم قـوم محافظون، يلتزمـون الدقة، وجادون. . . إنهم يحبـون مهنتهم لأنها توفـر لهم الحيـاة المريحة والمركـز الاجتمـاعى والشعـور بالقوة. . . وفـرصة الاختلاط بالناجحين.

ولقد كـشف بحث أجرته مجلة «بيجـانت» ان الخيانة الزوجيـة والطلاق أمران مألوفان بيـن أبناء مهنة المحاماة. فإلى جـانب توفر الموكلات، هناك العـلاقة القوية الوشائج بين المحامين وسكرتيـراتهم اللواتى يتمتعن عادة بنسبة من الثـقافة والذكاء لا تتوفر لدى سكرتيرات رجال الأعمال الآخرين.

لكن الزواج من المحامى، كقاعدة أشـبه ما يكون بالزواج من «بغل الطاحون»، بصرف النظر عن السكرتيرات والأفكار الرومانتيكيـة. فهؤلاء الرجال أشبه بالأطباء من هذه الناحية، مع الفارق الذى هو أن الأطباء يعـملون بصورة مستقلة، اذ ليس ثمـة مرجع أعلى منهم. هذا فى حـين أن المحامى مـرتبط بشـريك أو محـامٍ آخر يشـرف على تدريبه. ومع ذلك فـإن ضغط الـتوتر لا ينقطع حـتى بعد اسـتقـلال المحامى بعمله. والأمـر كما عبرت عنه زوجة أحـدهم اذ قالت: «انه لا يعرف الى الراحة سبيلاً. فلا يستطيع التوقف عند حد»

وقد ينزع المحامى الـى التبرع فى شبابه، وبخـاصة فى مرحلة ما بعـد التخرج. لكن هذه الغيرة لا تدوم أكـثر من ست سنوات ـ أى حتى تأتى فرصـة المرافعة عن وكيل محترم ومليئ. وعندئذ ينضم المحامى الى الحظيرة.

والمحامون المختـصون فى القضايا الصلحية (الوصـايا والعقارات الخ. . .) قوم محـافظون ودقيقـون وذوو وجدان. وهم يعشـقون مهنتـهم لأنها توفر لهم حـياة رغيدة ومـركزاً اجتماعـياً وإحساساً بالقـوة وفرصة للاختلاط بالرجـال الناجحين. والى هذا وذاك يكن المحامون حبـاً عميقاً للقانون، مما جعلهم موضع احـترام كبير من قبل زوجاتهم.

والمحامون، بعد، يعتـزون بضميرهم الاجتماعى واهتمـامهم بأحداث العالم من حولهم. وعلـى العموم هم قـوم من اليسيـر العيش مـعهم، نظراً لأنهم يلتـزمون

بالمنطق والحس السليم فـى سلوكهم. وإذا ارتفـعت مكانتهم الاجـتمـاعيـة وازداد دخلهم (يقدر دخل المحامى الناجح بنحو ٣٠ ـ ٦٠ ألف دولار سنوياً) التفتوا الى رياضة التنس والجولف والنوادى الاجـتماعية ـ بقصـد الاختلاط بالموكلين الاثرياء والترويح عن النفس فى آن واحد. وهم يتوقعـون من زوجاتهم أن يحسن الضيافة فى بيوتهم، وأن يكن على قدر كـبير من الجاذبية والثقافـة، ولكن دون أية مبالغة فى الفصاحة لئلا يشعر الموكل بالتواضع أو المهانة.

يضاف الى ما تقدم أن المحامين يتوقـعون من زوجاتهم أن يُقِمْنَ اعتباراً لقدرهم الذى يقيـمونه لأنفسهم. وهذا مـا عبرت عنه زوجـة أحد المحامين المرمـوقين، اذ قالت: يعتـقد زوجى وزملاؤه أنهم الحكمة ذاتها مـجسدة فيهم، ولذلك يتـوقعون من الناس احترام آرائهم. ولعلك تستطيع القول أنهم يعتقدون بأن سليمان الحكيم قد بُعِثَ حياً فى أشخاصهم»

أما المحامون الجزائيون ـ أى الذين يترافعـون أمام المحاكم ـ فينتمون الى فصيلة غير الفصيلة التى ينتمى اليها المحامـون المختصون فى القضايا الصلحية. ذلك أنهم ينطوون على أنانيـة بالغة، وبهم حـاجة لا تنقطع الى اهـتمام الآخـرين بهم، فى البيت كـما فى العـمل. لكنهم قوم على درجـة كبيـرة من الكفاءة والمبـادرة وقوة الشخـصيـة. لذلك فإنهم يبـذلون جهـوداً جبارة فى كـسب قضـاياهم. فتـجدهم يطرحون أنفسهم بقـوة، كل يوم، أمام القوس. فالمسألة بالنسبة اليهم مـسألة انتصار أو اندحار. لذلك فلا مجال للمساومة فى قضاياهم ولكنهم غالباً ما يعرفون الطريق الى المساومة فى شؤونهم العائلية.

لقد أسـرَّت الينا زوجة أحـد المحامين الجـزائيين بقـولها: «إنه أشـد من عرفت كراهية للمرأة. لكنه ليس أحسن ظناً بمعظم الرجال كذلك».

إن المحامى الجزائى طاغية فى البيت، وصـارم فى تربية أبنائه، لا تعرف الرحمة سـبـيـلاً الى قلبـه فى هذا الأمـر وهـو متـصـلـب فى آرائه، يحب الاسـتـشـار بالإعجاب. . . «ولكنه يظل رَجلاً. . . إنساناً. . . وأبناؤه يعـرفون ذلك كما أعرف أنا هذه الحقيقة. . . وأنا فخورة. . فخورة جداً. . .» على حد تعبير إحدى الزوجات.

*** عامل البناء :**

إن عمال المنشآت قوم محافظون. إنهم يعتقدون أن هناك صنفين من النساء: الصنف القابل للزواج، والصنف الذى ليس من اللائق الزواج منه. لكنهم نادراً ما يعمدون الى الطلاق.

يعمل زوج سوزى «سائق ونش». ولقد ظلت قرابة العشرين سنة التى مضت على زواجها منه تتلقى ذات المبلغ كل أسبوع، بالإضافة الى زيادة تبلغ عشرة دولارات أسبوعياً كل عام. أما فى هذه السنة فقد اصطحبها زوجها معه الى الحفلة السنوية التى تقيمها نقابته، لكى تتعرف الى زوجات زملائه الآخرين.

ويا لها من صدمة تلك التى تلقتها، عندئذ، حينما علمت من معارفها الجدد أن زوجها ينال أجره بالساعة، وليس أسبوعياً. وها هى ذى سوزى تروى لنا بقية القصة: «. . . وهكذا وجدتنى أفكر فيما كان يبدده زوجى أيدى من الأموال التى لم يخبرنى عنها شيئاً، وفى أى مجال كان ينفقها؟ لست أدرى! وهكذا واجهته بالمعلومات التى توفرت لدى. فثارت ثائرته، وشرع يصرخ قائلاً: وكيف تعتقدين أننا كنا نتمكن من الإنفاق طوال مدة الاضراب الذى استغرق ١٢ أسبوعاً؟ وكيف تعتقدين أننا استطعنا دفع سلفة البيت؟ وماذا عن السيارة المستعملة التى اشتريتها لكى تتنزهى بها أنت والأطفال؟ كان صراخه كهدير البحر، وأسئلته تتلاحق كالأمواج. فلما أنهى حسبتنى ذبت خجلاً»

إن زوج سوزى واحد من عمال البناء الذين يدركون مخاطر المهنة، وليس أقلها عدم استقرار الدخل، اذ يتفاوت الدخل الأسبوعى، فى هذه الصناعة، بنسبة ٦٠ دولاراً فى الأسبوع. ولكن حدوث إضراب مفاجئ، سواء بمبادرة من النقابة، أو نقابة عمال النقل والسيارات، أو أية من الصناعات الأخرى المتعلقة بمهنة الإنشاء والتعمير، كالصلب أو الأسمنت كفيل بدفع العامل الى البطالة وانقطاع أجوره، بل وفى حالات عديدة انقطاع الضمان الاجتماعى: يضاف الى ذلك أن هناك الخطر المتمثل فى ارتفاع نسبة إصابات العمل على نحو غير متوفر فى أية مهنة أخرى.

أما الزواج من أحد أبناء هذه المهنة فقضية أخرى كذلك. إذ جرت القاعدة على أن يكون العامل على رأس عمله فى الساعة السابعة والنصف صباحاً. لذلك فإن عليه الاستيقاظ فى الساعة السادسة تقريباً. ولما كان العمل يبعد عن المطاعم، عادة، فإن العامل يضطر الى اصطحاب غذائه معه. ولما كان سير العمل يتوقف على آراء المهندسين والمقاولين، فإنه لا يستطيع التنبؤ بوقت عودته الى البيت. وبما أن الزوجة تدرك مبلغ طوارىء العمل فى هذه المهنة فإنها تمضى وقت غيابه فى القلق من احتمال تعرضه لمكروه، فلا يزول هذا القلق عنها إلا عندما تشاهده يدخل الباب. وهذه إحدى الزوجات تصف لنا حالتها بقولها: «إن الأطفال لا ينقطعون عن تقريعى بسبب خوفى الدائم، قائلين ان زملاءه لن يتأخروا عن الاتصال بى، اذا ما حدث له مكروه. ومع أنى أدرك ذلك، فإنى لا أستطيع تفادى هذا الشعور بالقلق على زوجى»

وإنه لمن النادر أن يقوم العامل باجازة طويلة. وقد بررت إحدى الزوجات هذه الظاهرة بقولها: ان زوجى يخشى فقدان عمله، اذا غاب عنه مدة أسبوعين. وإذا كان يبحث عن عقد جديد، فإن الإجازة تفقد مبرراتها. ذلك أن المرء لا يستطيع أن يهنأ باجازة وهو متعطل العمل».

لقد كان العمال، فى الماضى، يستريحون من عناء العمل فى الشتاء. أما اليوم فان العمل يستمر على مدار فصول السنة، بعد اختراع الأسمنت الجديد. ولكن الأسرة تعوض ذلك بالعطلة الأسبوعية، اذ من النادر أن يقوم العمال بأعمال إضافية فى هذه الفترة، لذلك يقضون ذلك اليوم بين أبناء أسرهم.

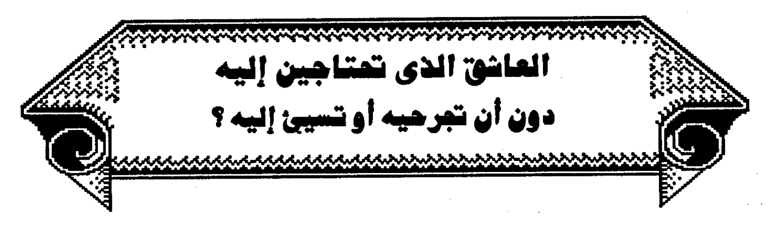
أما هوايات أبناء هذه المهنة، فمتفاوتة، إذ منهم من يحلو له الاسترخاء ومشاهدة البرامج التلفزيونية. لكن الغالبية العظمى منهم يميلون الى الأعمال النشيطة. وقد عبرت إحداهن عن حالة زوجها بقولها: إنه لا يستطيع الخلود الى الهدوء. فلقد شرع زوجى مبكراً فى اكتساب قوة الجسد ومرونته. إنه فى الثامنة والخمسين من عمره. ومع ذلك فإنه يحلو له الاعتقاد بأنه لم يفارق الشباب ولا عجب، ذلك أنه نادراً ما يتقاعد هؤلاء العمال قبل سن الخامسة والستين، ما لم

يضطروا الى ذلك. أما السبب فى هذا فهو حاجتهم الى المدخرات، ما لم يتوفر لهم إلا القليل منه. وجدير بالملاحظة أنه غالباً ما يتوارث الأبناء هذه المهنة عن آبائهم وجدودهم مما يرجع، الى حد ما، لصعوبة الانتساب الى النقابة بدون انتماء أحد الأقارب اليها. يضاف الى ذلك تأثير الأب فى ابنه فى مجال اختيار العمل. لذلك فإن العامل يبدأ حياته المهنية وهو لا يزال ابن العشرين.

ويبدو أن العمال يحاولون تعويض عدم وجود إناث فى هذه المهنة، بالبحث عنهن بعد العمل. فقد كشف تقرير وضعته دائرة الصحة الأمريكية أن العمال غير المهرة وشبه المهرة غالباً ما يصابون بأمراض القلب وجهاز التنفس. أما سبب إصابتهم بأمراض القلب فهو تفشى السفلس بين العمال غير المهرة.

والعمال فئة محافظة من عدة نواح. فتجدهم يعتقدون عن يقين، بأن ثمة صنفين من النساء: الصنف الذى يتزوج المرء منه، والصنف الذى لا يرضى بالزواج منه. لكنهم لا ينزعون الى الطلاق. وهناك نسبة عالية من المتدينين أو يريدون لأسرهم أن تكون كذلك. إضافة الى ذلك فإنهم يحرصون على استبعاد الكلمات النابية من أحاديث زوجاتهم، وبخاصة فى حضور الأطفال.

أما حينما يتعلق الأمر بالأسرة، فإن عامل البناء أفضل الأزواج قاطبة. فهو لا يعتقد بقدرة المرأة على الأعمال اليدوية، مما يشمل تعليق الستائر ودق المسامير، لذلك فإنه يؤثر أن يقوم هو بهذه الأعمال، ولقد أخبرتنا زوجة أحد هؤلاء العمال عن تجربتها فى هذا المضمار بقولها: كاد زوجى يصاب بانهيار عصبى، حينما حاولت تعليق صورة على الحائط لأول مرة... وعندئذ قال لى إن ثمة طريقة علمية لتعليق الصورة وإلا لما ثبتت فى مكانها. ولقد أدركت مغزى قوله. ومنذ ذلك الحين وأنا أترك له آداء هذه المهمات. وعندئذ يشعر بالاعتزاز، بعد قيامه بأى عمل فى البيت، فيسألنى مزهواً: أليس هذا عظيماً؟ ولا تسل عن شعوره حينما أربت على ظهره مُطْرِية عمله... إنه لن يتردد عن تسلق ناطحات السحاب فى سبيل كلمة ثناء منى.



الزوج بحاجة دائمة الى شريكة تسمع أحلامه وآماله فحققى له ذلك تفوزى بأروع جائزة.

تستطيع أشياء بسيطة، بل بسيطة جداً... أن تهز ثقة الرجل بنفسه، أسرع وأشد، مما يستطيع شك الزوج فى قدرته على إشباع الرغبة الجنسية ! جميع الرجال فى حاجة دائمة الى الاعتقاد بأنهم «ذكور» ناشطون قادرون على منح المرأة حباً تشبع منه وتغنى به:

ولا أستطيع ياسيدتى هنا التأكيد بشدة على أهمية الدور الذى تلعبينه كزوجة فى زرع هذا الشعور بالثقة فى نفس الزوج. كما لا أستطيع زيادة التأكيد على الضرر الذى يمكن أن تلحقيه بالزوج إذا أظهرت - دون قصد أو تعمد، وبطريقة أو بأخرى - أنك تعتبرينه غير متفوق جنسياً !

ذلك أنك يا سيدتى، كامرأة وزوجة، تمتلكين قوة هائلة، تستطيعين بها أن تجعلى شريك حياتك سعيداً، هانئاً، مسروراً... تماماً كالعاشق الولهان الذى تشعرين بأنك فى حاجة اليه. كما يمكنك أن تكونى مسؤولة، بصورة غير مباشرة، عن جعله تعيساً غير راض، وفاشلاً فى الحياة كرجل وكزوج معاً !

* الندم والإحساس بالذنب :

إن الزوجة الشابة، التى تصيبها خيبة الأمل فى رغبتها فى التنفيس الجنسى، قد تظهر عدم رضائها بصورة صريحة فى بعض الأحيان: قد لا تجسد الأمر فى كلمات منطوقة مسموعة، لكن كل حركة من حركاتها تكاد تقول لزوجها - بصورة أبلغ من الكلمة - أنها لا تضعه فى مرتبة عالية جداً كعاشق! فما الذى يحدث عند ذلك؟ إن

الرجل الشاب يشعر بالندم والإحساس بالذنب! انه يلوم نفسه، وتزداد مخاوفه من العجز الجنسى، الأمر الذى يخلق فيه عقبة أو عقدة عاطفية أكبر وأعمق، ويصبح أرجح الاحتمالات أن يفشل مرة ثانية... وإذا فشل ازداد بالتالى رفض زوجته، وقبل مرور فترة طويلة من الزواج تبدأ شركة الحياة فى التأرجح والترنح!

على أن هناك مجموعة من دروس أخرى نافعة مفيدة، تستطيعين كزوجة أن تستخلصى منها الكثير المجدى عن الجنس.

* الإنسان ليس «آلة»!

* السواد الأعظم من الأزواج قادرون على ممارسة الجنس بصورة مرضية، وفى استطاعتهم أن يتصرفوا تماماً كما تريد معظم الزوجات أن يكونوا حيالهن، حتى فى السنوات المتأخرة من الزواج. لكن على الزوجة التى تنشد من الحياة الجنسية ما تتمنى أن يتحقق عملياً مع شريكها أن تضع نصب عينيها شيئاً غاية فى الأهمية، وأن تتذكره وتعيه دائماً، وهو أن الزوج ليس «إنساناً آلياً» وبالتالى ليس «آلة» وحسب! انه كائن بشرى معرض لعوامل كثيرة متنوعة وغير طبية، ليقال ان فى الإمكان علاجها طبياً بالادوية والمستحضرات! هذه العوامل يمكن أن يكون لها تأثير هام فى طاقته وقدرته. فمثلاً: قد يواجه مشكلات فى العمل... أو يكون حزيناً متأثراً لمرض قريب له أو صديق عزيز عليه... أو قد يكون مرهقاً جسدياً... أو قد لا تكون له خبرة سابقة... أو قد يكون قلقاً جداً ومتوتر الأعصاب لأنه يرغب فى منح زوجته تجربة جنسية ترضيها وتسرها... أو قد يشعر بأن زوجته لا تظهر نحوه ما كان يأمل من حب واحترام واهتمام!

* وإذا كانت طريقة الممارسة الجنسية من جانب زوجك لا تبلغ المستوى الذى تتوقعينه فى كل مرة، فعليك أن تدركى للحال أن مثل هذا الأمر إنما يكون، فى أغلب الأحايين، من الحالات الموقتة الطارئة، بدلاً من أن تظهرى خيبة الأمل، أو تركنى الى الضيق واليأس والبرم بالحياة... بل عليك أن تسرعى فتمنحيه المزيد من الدفء والحنان، وتشجعيه بكل وسيلة، بل بكل حيلة، للتغلب على عجزه الجنسى «الموقت» هذا!

* تصرف للمرأة يدمرها !

حدث ذات مرة أن تصرفت إحـدى الزوجات تصرفاً خاطئاً تمامـاً، عندما شعرت بأنها لا تحصل على المتـعة الكافية، اذ قالت لزوجهـا: «من الأفضل لك أن تعرض نفسك على طبيب وأن تتعاطى بعض حقن الهرمون» ! وهنا لم يشعر الزوج بالمهانة والتحطم وحسب ، بل أصابه جرح عمـيق فى الوقت نفسه: إن صورته عن نفسه كرجل قد اهتـزت تماماً، وكان أن أصيب بأعراض عـصبية كاد أن يتردى مـعها الى حافـة الانهيـار ! مثل هذا الزوج لم يكـن بحاجة الـى هرمونات. . . كل مـا كان يحتاج اليـه هو: الحب المتفهم، والتشـجيع من جانب زوجة تسـرعت فزرعت فى قلبه ذلك اليأس المرير، وذلك الشعور بما ليس فيه من ضعف أو عجز !

على أن هناك بالطبع حالات تحتاج الى مساعدة الأخصائيين: فمثلاً يوجد بعض رجال تكون دوافعهم الجنسـية غير متحفزة، وآخـرون قد يصلون دائماً الى القذف السريع. وفريق ثالث قد يعانون درجات مختلفـة من العجز الذى لا يعتبر ذا طبيعة مؤقتة. وفى معظم الحالات يمكن تصحيح مثل هذه المشكلات الطارئة فى الممارسة الجنسية وعـملياتها المختلفة. وفى كل أولئك أيضـاً يجب أن يكون موقف الزوجة المؤكد هو موقف التعاطف والتشجيع، أكثر منه موقف الانتقاد وتصيد نقاط الضعف.

** زوجة أخرى، سأسـميها «بربارة». . . تتحمل مسـؤولية خطأ مدمر، بنفس القدر الذى أدى اليه اقتراح الهرمون، عندما شعرت بربارة بعدم الرضا من قلة عدد المرات التى يمـارس فيـها الزوج العـملية الجنسـية مـعها، فـقد اشـتكت ذلك الى صديقاتها، وبالطبع وصل أنين الشكوى ورنينها الى الزوج، فشعر بالمذلة والمهانة، بحيث هدد بهجران الزوجة التى شعر - بعد الذى كـشفت عنه - بأنها جعلته صغيراً عاجزاً أمام عيون الآخرين !

* مستعد لملاقاة النمر !

والسؤال الذى يتبادر الى الذهن الآن هو: ماذا يجب على الزوجة أن تفعله إذن كى تساعد زوجها حتى يصبح «فتى أحلامها» وفارس ميدانها، دون أن يبدو منها ما يجرحه أو يهينه أو يسئ الى رجولته؟ انك هنا ، يا سيـدتى ، تستطيعين أن تنشئيه

من جديد بالتدريج ، وفى كل خطوة أخرى على درب الحياة الزوجية:

* دعيه يشعر بأنه رجل، وذلك عن طريق تصرفك كامرأة محبة ورقيقة. ليس خطأ على الإطلاق أن تلتصقى بالرجل، بعد ممارسة الحب عملياً، وتهمسى فى أذنيه: حبيبى... لقد كنت رائعاً رائعاً ! ان تعبيراً مثل هذا يرضى الرجل تماماً، ويعطيه قوة وحافزاً يشعر معهما بأنه يستطيع ان ينطلق ليلاقى نمراً ويصارعه فيصرعه... من أجلك ! يضاف الى ذلك أن ثقة الرجل بنفسه كمحب ومحبوب ترتفع حتى لتقارب النجوم والكواكب، حينما تجعله زوجته يشعر بوضوح، ودون أى التباس، بأنها تريد أن تستلقى بين يديه القويتين الحاميتين. إن كثيرات جداً من النساء اللائى ما زلن يمتنعن عن إظهار مثل هذه الرغبة التى تعتمل بها نفوسهن، فيخجلن من الإعراب عن مشاعرهن وإحساساتهن !

قال لى زوج شاب كان يستشيرنى حول بعض مشاكل الجنس: ذات ليلة، بينما كنا نغسل الأطباق معاً، همست زوجتى «حبيبى لنصعد الى غرفتنا مبكرين الليلة» هذه الهمسة منها جعلتنى أشعر وكأن طولى أصبح خمسة أمتار ! إذن فأحبى زوجك، وارغبى فيه، وشجعيه. فليس ثمة شىء أفضل أو أهم من تعليمه وترويضه، ليتمكن فى النهاية من إرضائك، ومن إشباع رغباتك كما تريدين وتشتهين !

* اهتمى بعمل زوجك...

وهنالك أيضاً، جانب آخر من حياة الرجل، يجب على كل زوجة أن تدركه وتتفهمه، إذا كانت تريد أن تحقق «إرضاء كاملاً» لرغباتها من الزواج. ذلك أن أهمية العمل والوظيفة مفروضة على الولد منذ طفولته: كل فرد حوله يقول له «عليك أن تصنع شيئاً من نفسك». أفراد عائلته، معلموه، المشرفون عليه، كل أولئك يحدثونه باستمرار عن أهمية إعداد نفسه لكسب عيشه. فلا عجب إذن إذا كبر وبقى الحافز على العمل مزروع بقوة فى عقله ! لكن، بينما يحصل الرجل على متعة كبيرة من العمل وتحقيق النجاح، إلا أنه يحتاج فى الوقت نفسه الى مستمع ذكى «ومتجاوب» معه فى المنزل، ليفهم كفاحه للوصول الى هدفه.

واليك هذه الملاحظة التى أرجو تسجيلها جيداً: المرأة التى تصم أذنيها عن سماع حديث زوجها حول عمل ما، تكون وكأنها تقول له «عملك ليس مهماً بالنسبة لى. إننى لا أرغب فى معرفة ما يجرى فى الشركة. اهتمامى فقط «بالنقود» التى تربحها» !

* ان استمرار تثبيط همة الرجل بمثل هذا النوع من التفكير والمعاملة هو بمثابة «وضع لغم» تحت أقدام الرجل نفسه. ذلك أنه، مع مرور الوقت، سيشعر بأنه مهزوم، وأنه غير مهم... والأسوأ من ذلك أنه بلا رجولة ! ولسوف يعرب عن رفضه بعدة وسائل: فقد يصبح بارداً ويبتعد عن زوجته، ويبدأ بالشجار «والنرفزة»، وتطول فترات بقائه خارج المنزل ! ان أية امرأة تظهر هذا النوع من «اللامبالاة» تجاه هذه الناحية الحساسة والهامة جداً من حياة زوجها، لا يمكن أن تأمل بأن تجد فيه عاشقاً نشطاً يرضيها !

ولمثل هذه الزوجة أوجه نصيحتى هذه:

* تعلمى وافهمى شيئاً عن عمل زوجك. حاولى الاطلاع، ما استطعت، على «نوعية» عمله عن طريق استعارة كتاب من المكتبة. واذا لم يكن شىء من ذلك متوافراً فحاولى توجيه الأسئلة الى زوجك لتعرفى وتفهمى وتدركى !

أخرجيه من صمته. شجعيه على الحديث عن «نوعية» العمل الذى تقوم به شركته، وعن دوره هو فى ذلك العمل. وأنا واثقة بعد ذلك من أنك، خلال فترة قصيرة، ستجدين نفسك أكثر اهتماماً بأمره وأمر عمله أكثر مما كنت تعتقدين فى يوم من الأيام !

ولم لا؟ ان الكثير الكثير من جوانب العمل، وفى حياة المصانع والمعامل والشركات، قد يكون مثيراً جداً لاهتمام المرأة لو أنها سمحت فقط لنفسها بمعرفته والوقوف على تفصيلاته. انظرى الى الأمر بهذه الطريقة: عمل زوجك ليس منفصلاً عن طريقتك أنت فى الحياة، لكنه جزء محدد منها. اذا كان يعمل فى صناعة البلاستيك مثلاً، كان عليك أن تدركى أن منتجات البلاستيك هى من حولك فى كل مكان، وأثناء قيامك بأعمالك المنزلية: فى المفروشات والأثاث

ولعب الأطفال وأدوات المطبخ... حتى فى ثيابك وثياب عائلتك ! وإذا كان يعمل فى صناعة الطائرات فإنه لا يتعامل فقط مع آلات، لكنه جزء من فريق هام يعمل على تقصير المسافات، وربما حتى على غزو الفضاء !

** وهناك أيضاً نوع من الإثارة والمتعة فى صناعة الأغذية والسيارات، وكذلك فى قيادتها. هذه كلها أمور حيوية بالنسبة الى وجودك وحياتك. لكن لاشك فى أن أحلى ثمار ستقطفينها، وأكبر إنتاج ستحصدينه هو قدرتك على مناقشة زوجك فى تفاصيل عمله، الأمر الذى يقرب مسافات الفكر والتفكير بينكما، ويجعل كل واحد يشعر بأن الآخر يشاركه فى جانب كبير مما تقوم عليه شركة الحياة. ان اهتمامك بما يفعله زوجك، وموافقتك على ما يؤديه، يقولان له بأسلوب لا يقبل الخطأ أنه فى المستوى الذى تتوقعينه من الرجل. ان معنوياته وثقته بنفسه سترتفع بلا ريب، كما أن متعته بالحياة والعمل ستزداد، وفى الوقت نفسه ستتضاعف رغبته وقدرته على ارضائك بصورة تجعل منك امرأة «شبعانة» ومرتوية تماماً !

*** الرجل «سيد نفسه» :**

شىء آخر هو من الأهمية بمكان: عليك، كزوجة، الا تنسى أبداً أن زوجك بحاجة دائماً لان يكون سيد نفسه، فيشعر بالحرية وعدم السيطرة، إذا كنت تتوقعين منه أن يتصرف كما تتمنين منه أن يتصرف كرجل.

يجب أن يحس فى أعماق نفسه أنه هو الذى يتخذ قراراته... ذلك أن الزوج الذى يظل متأرجحاً على حافة شريط تحركه زوجته هو عرضة للسقوط ! فهل ترضين يا سيدتى (ربما دون أن تدركى ذلك) بأن يتعرض شريك حياتك لمثل هذا النوع من السخافات والترهات القاتلة ؟

* ان الزوجة التى تصر على أن تكون لها الرئاسة فوق زوجها، أو السيطرة على الحياة الزوجية، لن توقع الضرر بذلك على نفسها فقط، بل تقوض أساس اتحادهما نفسه. طبيعى أن هناك رجالاً وأزواجاً من هذا الصنف الذى يفضل مثل هذه المعاملة، لكن هذا غير منتشر كثيراً، وليس هو القاعدة الأصيلة، وإنما هو شذوذ القاعدة... غير أننى لا أستطيع أن أحث الزوجات بقوة لتفادى أية كلمة أو

عمل قد يعطى للزوج الإحساس بأنه ليس سيد نفسه. لكن، على كل حال، لا تدعيه أبداً يشعر بأنه «تحت الوصاية». انه، فى أعماق داخله، سيرفض ذلك حتماً. لا تصرى أبداً على اختيار ثيابه، ما لم يطلب هو منك بالتحديد أن تفعلى له ذلك. وحذار أن يعرف الناس أبداً، وعلناً، أنك أنت التى تتخذين القرارات الهامة فى حياة العائلة !

* حق الاختيار واتخاذ القرار :

* طبعاً... كل الزوجات يشعرن أحياناً بضرورة تقديم النصيحة الى رجالهن، لكن هذه النصيحة يجب أن تقدم بدفء، وتعرض بحنان، ودون اى اعتداء أو افتئات على حقه فى الاختيار أو وضع القرار ! ان الرجل لا يحب أبداً، مهما يكن حبه لزوجته، أن تعامله كدمية أو طفل تقوده أمامها حسب أوامرها وتعليماتها وتوجيهاتها !

سيدتى :

* أنت كزوجة يجب أن تعرفى أيضاً أنه، لكى يكون زوجك الرجل المثالى الذى تتصورين، ينبغى أن يشعر بأنه «ممول جيد». ففى كثير من الأحيان لا تتورع الزوجات الطموحات من جرح كبرياء أزواجهن، وذلك بإظهار خيبة أملهن فى قدرة رجالهن على توفير الأموال !

* كانت «هيلين» من هذا النوع من الزوجات، وكان زوجها «هارى» يملك محلاً صغيراً للدهان، يعمل فيه الساعات الطوال لتوفير الإمكانيات لحياة هانئة مريحة. ولكن هيلين كانت تريد المزيد من المال ! كانت تحسد جاراتها على بيوتهم الأكبر، وسياراتهم الأحدث... بل كانت تبكى بكاء لأن أختها تستطيع أن تتحمل نفقات إرسال أولادها الى مخيمات صيفية غالية، فى حين لا تستطيع هى شيئاً من ذلك !

* حذار من مقارنته بغيره !

ولقد كانت «هيلين»، بوسائل كثيرة، مؤذية وشريرة، تعبر عن استيائها من عدم قدرة هارى على توفير الكماليات لأفراد أسرته، وكان كل حديثها منصباً على

شقيقتها الغنية الموسرة، وحياتها الاجتماعية المرحة، وتقارن ذلك بحالتها هى! كانت تقيم الدنيا ولا تقعدها ضجيجاً من الكلام عن معطف الفرو الذى تلقته جارتها هدية من زوجها فى عيد ميلادها! هذا النوع من الهدايا لا يستطيع هارى تقديم مثله اليها! ولم يمر وقت طويل قبل أن يبدأ هارى الذى هو فى الأساس ممول جيد للعائلة ـ فى الشعور بأنه ليس جيداً كما ينبغى... لا كزوج، ولا كوالد، ولا حتى كرجل! ونتيجة لتقليل زوجته المستمر من قدره وقيمته، أصابه نوع من تثبيط الهمة، والانهيار النفسى، الأمر الذى كان يتطلب شهوراً من الراحة والعلاج!

ومن هنا تنبع نصيحتى التى أحب أن أوجهها الى الزوجات وهى :

** إياك أن تقارنى بين زوجك وبين أى زوج آخر أكثر منه نجاحاً فى الناحية المادية. حذار أن تعطيه، ولو بصورة غير مباشرة، أية فكرة بأنك تحسدين الأخريات، وتغارين منهن، لأن أزواجهن يكسبن ويربحن أكثر. شددى على الجوانب الإيجابية التى تستند الى قدرة زوجك على الكسب. إذا لم يكن عمله بصورة حسنة فى الوقت الحاضر، فاجعليه يشعر بأنك متأكدة تماماً من أن الظروف القادمة ستكون أفضل. ان منحك إياه الإحساس بالنجاح كممول، سيكون عنصر تشجيع محقق له على التقدم فى طريق العمل الذى اختاره لكسب عيشه وعيش أسرته. وبذلك لن تحصلى فقط على شكره وامتنانه لتفهمك، بل ستفوزين أيضاً بكل الإخلاص والحب اللذين يستطيع الرجل أن يسبغهما على المرأة...

* المغامرة بين الخيال والحقيقة :

وأخيراً، وليس آخراً... لا تقللى أبداً من حاجة زوجك لأن يكون مغامراً، ودعينى هنا أشرح لك ما أعنيه بالضبط:

على الرغم من توافر وسائل الراحة والامكانيات الحديثة، فإن فى أعماق معظم الرجال حافزاً خفياً يدفعهم دائماً للتصرف مثل فرسان العصور القديمة، أو للمغامرة فى عالم المجهول: حينما يجلس زوجك، ويدير جهاز التليفزيون، لا ترتابى أو تشكى أبداً فى أنه ـ سواء أدرك ذلك أو لم يدركه ـ يتصور نفسه مكان «الشريف» أو «المارشال» وهو يقاتل عصابة الأشقياء!

على أن الغـالبية الـعظمى من الرجال، لم يعـد باستطاعـتهم طبـعاً أن يقـوموا بمغامرات. انهم يـدركون جيداً أن أخطر شيء يمكن أن يصـادفوه هو الإسراع الى اللحاق بـالقطار فى الصبـاح، أو التزاحم فى الشـوارع، ومن هنا فإن الرغـبة فى الاستكشاف، والسير فى طرق غير معروفة، يتخذان الآن اتجاهات أخرى متباينة..

مثـال ذلك: بدلاً من الاشتراك فى رحلة بالغة الـتكاليف الى مجاهل أفريقـيا، يستطيع زوجك أن «يغامـر» بفتح فرع جديد لعمله حـيث يوجد خطر من الفشل، لكن اذا تم النجاح فسيكون نصراً مبيناً ! أو قد يكون راغباً باستثمار بعض المال فى شراء أجـهزة رياضيـة غاليـة، أو تجربة شيء جديد يكون ذا أثر جـذرى فى تغيـير أسلوب حياة العائلة.

* دعيه يحلم قليلاً...

* طبيعى أنك يا سـيدتى، كامرأة، أشد حذراً بـكثير من الرجل، لأنك تريدين الاستقرار والأمن والأمان لعائلتك، وستقاومـين بالغريزة أى تغيير قد يهدد بيتك. ومن المؤكد أننى لا أقترح أن تطيرى فرحاً مع كل فكرة خـيالية قد تهفو على خاطر زوجك. لا. لا... اننى أول مـن يعتـرف بأن بعض الرجـال يطلعـون عـلينا بمشروعـات غير معـقولة بين الحين والحـين، وهم فى حاجة من غـير شك لروح الاستقرار التى للمرأة من أجل الطمأنينة لحياة الأسرة.

* ومع كل أولئك أقولها لك بصراحة: ان مثل أفكار «الخيال» هذه ستظل تنبع فى رأس الرجل، بسـبب افتـقاره الأساسـى للمغـامرة. واذا كانت هـذه هى حال زوجك فـلا تبتـعـدى عن مـشاريعـه بإطلاق العـبارات الجـارية القـاسـية، مـثل «عزيزى... ان فى رأسك عصافير طائرة.. انزل الى الأرض» !

* أنصتى الى شوق زوجك للمـغامرة والمخاطرة. دعيه يطلق كل ما فى جـعبته من مشروعـات وخطط ومحاولات: فاذا كـانت غير معقـولة أو غير مقـبولة، فإن إدراكه لمن عنده من زوجة وأولاد لابد من إعالتهم، سيجعله فى الأغلب يعود الى جادة المنطق، واذا هو نفسه يرفض بالتالى أن يغرق فى أحلامه الذهبية. واذا أصر على مشروع تحسين أنت أنه من الخطورة بمكان، فـتحدثى اليه عنه بهدوء ومنطق،

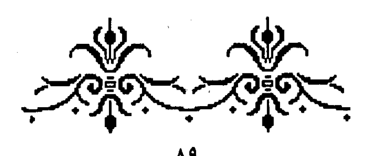
ثم اقنعيه بأنه من الأفضل الحصول على نصيحة موثوق بها من مصادر أخرى ذات علم ومعرفة وتجربة. . .

وأخيراً: انظرى الى نفسك بدقة وعناية: هل أنت محافظة كثيراً ؟ القليل جداً من الناس هم الذين يحققون هدفاً أو غاية ذات قيمة فى الحياة بدون المغامرة أو المخاطرة. . . لكن النقطة الهامة، والتى يجب تذكرها دائماً، هى أن الرجل بحاجة الى أن يحلم قليلاً. انه يريد أن يخطط ويحلم. وفى استطاعتك أنت أن تراقبى أنه لا يطير معصوب العينين، لكن لا تقيديه بالأغلال كثيراً أيضاً ! ان إلقاء الماء البارد من التحقير والسخف على أحلامه بالمغامرات، سيجعله يشعر فقط بأنك تسخرين منه وتهزئين !

* وستكونين أخيراً أسعد امرأة !

وختاماً: هل لى أن أقول لك، يا سيدتى، ان القواعد الأساسية بسيطة جداً، اذا كنت تريدين حقاً أن تعرفى كيف تعلمين زوجك أن يكون العاشق الذى تحتاجين اليه، ويتمثل فيه «فارس الأحلام» الذى كنت تتصورينه دائماً، بدون أن تجرحيه أو تسيئى اليه. عليك فقط أن تعرفى كيف تعطينه ما يحتاج اليه هو ! ولنعلنها معاً مختصرة صريحة.

زوجك فى حاجة لأن تقدريه كشريك حيوى فى فراش الزوجية. انه يفتقر دائماً الى موافقتك واهتمامك بالعمل الذى يقوم به ويكسب منه معاشه. كذلك هو بحاجة لأن يشعر بأنك تعتقدين أنه «ممول جيد» كما يحتاج الى الدفء والحنان والتشجيع فى الأوقات الصعبة، احتياجه اليها فى الأوقات السهلة. انه أيضاً بحاجة الى شريك ليستمع لأحلامه وآماله وأمانيه ! فساعديه بقدر الإمكان على تحقيق هذه الحاجات، وستحصلين بعدئذ على جائزة قيمة جداً: أى شىء فى الوجود أغلى وأحلى للمرأة من أن تكون أسعد بنات حواء، بين ذراعى رجل حقيقى ؟!



هكذا تضعف المرأة أمام شريك حياتها

المرأة التى تحب الاعتماد على الغيـر ترى نفسها مشدودة الى رجل يحب الاعتماد على نفسه.

يجب على الرجل أن يتمـتع بصفات عـشر ، سنوردها فى الأسطر القادمة ، ليمكنه الصمود والبقاء فى مركز القوة حيال المرأة. فكيف يحدث ذلك مع الرجال ؟ لماذا لا تستطيع المرأة مقاومة الواحد منهم، ولماذا يبقى الرجل هو المفضل لمدى الحياة ؟

على المرء هنا أن يفرق بكل بساطة بين نوعين رئيسيين من الرجال:

* الذين يتمتـعون بجاذبية حادة، أو الذين نطلق على جـاذبيتهم «سكس ابيل» الجاذبية الجنسية.

* الذين يتمتـعون بجاذبية دائمة، ونعنى بذلك الشـخصية المحببـة بكل ما لهذه الكلمة من معنى.

هذا العنصـر الملتهب، الذى يتكون بسـهولة عند المرأة ليسـتـولى عليهـا نفسـياً وجـسدياً، هو على الأغلب مـزيج من اعـتبـارات وإشارات مـخـتلفة تصـدر عن الرجل: منها الصـوت،أو حركة معـينة تبدر منه أو الطريقة التى يمسـك بها كأس الشراب، أو روح مـرحة خاصـة به يتمتع بهـا. غير أن الجـاذبية التى تقتـرن بهذه الصفات لن يطول أمدها، طالما أن ما يدعى بالشخصية المحببة للرجل ليس بالمستوى الذى تنشده المرأة.

أما الجاذبية الدائمة، التى تساعد على ربط الرجل بالمرأة الى أجل طويل، والتى تستغرق هذه العـلاقة، فيجب أن تكون مبنية على عدة أسـباب، ولكنها تتوقف فى جانبها الأكبر على طبع المرأة نفسها، وعلى طبيعتها فى الوقت نفسه.

أما المرأة التى تحب الاعتمـاد على الغير، فترى نفسـها مشدودة الى رجل يحب

الاعتماد على نفسه. والمرأة التى تشعر وتتذكر حنان أمها دائماً، ترى نفسها مشدودة الى رجل يحب أن يظل غاصاً فى أحلام الطفولة. والمرأة التى ينتابها الخوف غالباً، تشعر بالانجذاب نحو رجل اجتماعى لا يخاف من التعامل وإقامة العلاقات الاجتماعية مع الغير.

ومما لاشك فيه على الإطلاق أنه تتوافر هناك علامات مميزة يجب أن يتمتع بها الذكر، وتعتبر فى نظر معظم النساء من المقومات الأساسية التى لا غنى عنها، والتى تجعلها جزءاً لا يتجزأ من جاذبية الذكر، فضلاً عن تقدير المرأة لها حق قدرها.

ونستطيع أن نوجز هذه المقومات الأساسية فى الصفات العشر التالية :

١ ـ المظهر الخارجي: لا مراء فى أن المظهر الخارجى يرفع من عامل الانجذاب فى نفس المرأة. هذا اذا ما أضفنا الى ذلك القيم الأخلاقية التى يجب أن يتمتع بها الرجل، اذ تساعد على دوام الجاذبية التى تشد المرأة الى الرجل. وعندما تركز المرأة وتشدد على أهمية العنصر الخارجى فى اختيارها للرجل، فكأننا بها تدعو الآخرين الى التركيز على الشيء الذى يهمها هى فى هذا المجال.

أما الرجل الذى يشبه فى أناقته ومظهره الخارجى نجوم السينما، فالكل يعرف أنه يتمتع بقدر كاف من الجاذبية التى غالباً ما تعشقها المرأة.

وعندما تبدأ الفتاة بتخطى سنوات مرحلة النشوة والتوق الى الرجل، سينتابها شعور بالانجذاب أولاً الى الرجال الذين يتمتعون بالمركز الاجتماعى أكثر من انجذابها الى الرجال الذين هم على قسط وافر من الجمال والأناقة، فيغدو الوجه القاسى والمعبر فى نظرها مظهراً من مظاهر الرجولة، ويصبح محور اهتمامها ما قالته بلسانها إحدى النساء: «لا أستطيع تدبير أمور نفسى فقط، لكن عليّ أن أدبر أمور نفسينا معاً».

غير أن المرأة التى تؤخذ بهذه المظاهر الطفولية، تستطيع أن تدرك بساطة تفكيرها، وتفتح بذلك الطريق لتعلم امكانية النضج وكيفية النضج مع فتى أحلامها.

قد يحدث أن تتعلق المرأة برجل يشبه والدها الى حد بعيد، أو قد يشبه أول

رجل وقعت فى غرامه، ويناسب هذا الواقع أولئك النساء اللواتى كن يحببن والدهن حتى العبادة. هذا الميل نحو صورة الشخص المحبوب، الذى عفا عليه الزمن، يمكن أن يظهر الى السطح دون أن يعى المرء ذلك اطلاقاً، وغالباً ما تتزوج المرأة رجلاً يشبه والدها ، حتى ولو أظهرت ميلاً للاعتراض ضد صواب هذا الرأى.

٢ ـ اهتمامه بالعائلة: والعامل المهم فى الجاذبية التى يتمتع بها الرجل هو اهتمامه الحقيقى وإحاطة زوجته وأطفاله بالرعاية الكافية. والرجل الجدير بالمحبة والاحترام سوف يتخلى عن تكريس وقته الكلى، وقوته، وإحساسه بالنهاية لعمله الذى كسب منه عيشه، إذ عليه ان يأخذ بعين الاعتبار تكريس وقت معين لزوجته وعائلته وللمناسبات الاجتماعية ولأصدقائه وأقاربه، حتى يستطيع على هذا النحو أن يشركهم فى عمله وسعادته ومشاكله.

كل امرأة بحاجة من وقت الى آخر لأن تستمتع بعطلة مع زوجها تكون فيها بعيدة عن العمل والأطفال والمشاكل.

٣ ـ الرجل الذى لا يقاوم: مستعد دائماً لأن يتعلم، ويتعلم المزيد فى حقل الحب. ومن الواضح كل الوضوح أن الزوجة هى شخص معقد لأن حاجاتها الجنسية وتصرفاتها بكل ما تنطوى عليه من مشاعر تكون جزءاً من شخصيتها ومن حالتها الصحية العامة، وتتعلق أيضاً بحالتها النفسية. وعلى عكس الرجل لا تستطيع المرأة أن تهزأ بالمشاعر والمشاكل المتنوعة، لكنها تقدر على الانتظار حتى تفرغ منها، وما أن ينتهى أمرها حتى يصبح بإمكانها أن تكرس نفسها للمغامرات الجنسية.

والرجل الجدير بالمحبة صبور جلود على متاعب الحياة، يحس بالسرور يفعم قلبه عندما يتعلم أشياء جديدة يستسيغ أن يعلمها. إنه كثير التفنن، وغنى بالاثارة عندما يريد إضفاء الحنان وإحلال الوفاء على قلب شريكته. ويعتقد أن التقرب منها فى جميع الجوانب يدخل السرور الى قلبيهما، ويكون ذلك موضع فخر واعتزاز شخصى له فهو لا يقف عند حدود معرفة الذات والإدراك، بل يعرف حق المعرفة

أن الكلمات التى تفيض بالمحبة، والحركات الناعمة المهضومة، هى مهمة جداً فى حياة المرأة العاطفية. وهو لا يخاف من إسماعها مثل عبارة «أنا أحبك» ولا يتردد فى مفاتحتها بمشاعره.

ذلك أنه لا يعتقد بأن الإفصاح عن المشاعر هو عنصر خارج عن عناصر الرجولة، بل إنه ليعلم حق العلم أن القدرة فى التعبير عن المشاعر هى علامة من علامات الرجولة الحقة. وهو لا يستمر فى مغازلتها على الدوام. ومن المؤكد بأن بعض النساء لديهن مكانة مرموقة فى نظره ويقدرهن حق التقدير. ولكن توجيه كلمات العطف والشكر محفوظ فى النهاية لشريكة عمره.

٤ ـ **الصراحة**. وهذا الرجل الذى لا يقاوم لا ينطق إلا بالصراحة، ولا يمشى إلا على طريق الاستقامة. يقول ما يجول بخاطره. يواجه المشاكل بكل طيبة خاطر، دون أن تترك الانطباع السىء على وجهه. يتمتع بالكفاءة ويبدو دائم الاستعداد لاتخاذ القرارات التى تهم حياة العائلة بعد الاستئناس برأى زوجته. وفوق ذلك كله، يبدو دائم الاستعداد لأن يفتح قلبه ويفصح عن كل شىء. وعندما يستبد به الغضب، يعطى لهذا الغضب فى خاتمة المطاف نهاية سعيدة. وهكذا يصبح التفاهم بين أفراد العائلة شيئاً ظاهراً للعيان، وبالطبع يبقى دائم الاستعداد لأن يذعن للأمر، وأن ينسى ما جرى!

٥ ـ **النضج**: الرجل الجدير بالمحبة يرى فى زوجته إنساناً ناضجاً. ولا يقلل من اعتبارها إذا أظهرت بساطة فى الأمور المالية. يجب عليه أن ينمى عندها القدرة على التصرف بحرية فيما يختص بالأمور المالية التى تتعلق بحياة العائلة، حتى تستطيع لوحدها أن تدبر شؤونها إذا ما أجبر هو على تحويل اهتمامه عن هذه الأمور لأى سبب من الأسباب.

٦ ـ **تحمل المسؤولية**: الرجل الذى يتمتع بنسبة عالية من «الجدارة فى المحبة»، يبقى ذلك بالنسبة اليه أكبر فرض واجب تعلق عليه المرأة الأهمية الكبرى، حتى يبقى فى نظرها ذلك الرجل الذى يستطيع الهيمنة عليها، ولا يغرب عن باله أنه لا شىء أهم وأصعب من مسؤولية تربية الأولاد وتنشئتهم. إنه يعلم ذلك ولا يتورع

عن مفاتحة زوجته فى ثقل هذه المسؤولية.

٧ ـ **رعاية العائلة**: الرجل الجديد بالمحبة يقدر زوجتـه، ليس فقط عندما تتجسد مسـؤوليتهـا فى تربية الأولاد، والمحافظة علـى البيت طول النهار، فـهو يدرك أن المكتب والأولاد والمشاكل كلهـا أمور مهـمة، لكنه يدرك أيضاً مـا هى قيمة قـضاء عطلة أسـبوعـية مـعهـا من وقت لآخر، بعـيـدين عن كل شىء، حتى يسـتطيعـا الاستمتاع بالوقت معاً، وقد تركا العالم كله خلفهما.

٨ ـ **مشاركة الأحاسيس**: وسيتملك قلب المرأة السرور عندما ترى رجلها يحاول الاهتمـام بكل المشاكل، لـتأمين جـو من الراحة والرخـاء لعائلتـه. ولابد للرجل الجديد بالمحـبة أن يتعلم على مـر الأيام كيف ينسجم مع شـريكة حياته ويشاركـها إحساسهـا، فيكون سريع الملاحظة عندما لا تجرى الأمور علـى ما يرام، يعمد الى إبعادها بفطنة عن كل ما يعكر صفو حياتها، خصوصاً عندما تبوح بها. فعليه عندئذ أن يكون أذناً صاغية حتى تستطيع أن تلمس أنه يتحسس معها كل المشاكل، وعندما تمر الزوجة بأزمـة نفسيـة أو جسدية، فى وقت من الأوقـات، لا يجب أن يتملكه الغضب، أو يكون مـهملاً فيـتركهـا تعانى المرض وحيـدة فى السرير. ولكن، على العكس، يجب أن يكون من النضـج بحيث يسـتوى الى جـانبهـا ليكون لها بمثـابة «العكازة».

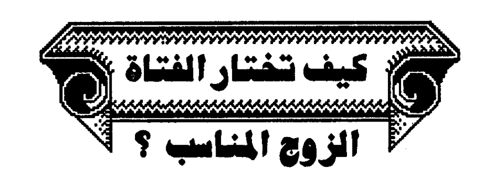
٩ ـ **عائلته أهم شىء فى حياته**: والرجل الجديد بالمحبـة لا يتأثر بحنان أمه، ولا يبقى مـرتمياً فى أحضان والديـه وإخوته، ولا يحاول وضع أى شك فى اعتـبار أن زوجته وعائلتـه تحتل المقام الأول فى نفسه كما ولا ينبس ببنت شـفة أمام الآخرين عن الأشياء التى تهمه هو وزوجتـه فقط. ولا يحاول أن يشكو أموره وهمومه الى والدته وأصدقائه عندمـا يمر مع زوجته بمشـاكل شخصية، ولا يجـمل به التحدث فيها ومناقشتها إلا مع شريكة حياته. وحـينما تتعقد المشاكل ولا يتوصل الى نتيجة مرضية لحلها، عليه أن يكون ناضجاً بما فيه الكفاية، طويل الأناة، أو يحاول طلب المساعدة من أصحاب الاختصاص فقط.

١٠ ـ الرجل الذى لا يقاوم يميل الى جنس النساء عامة ويقدرهن. لكن لا يجب أن ننسى أنه إنما تزوج من امرأته لأنه وقع فى غرامها، وليس لأنه يعتبرها آخر همومه. لقد تزوجها لأنه يرتاح اليها، ولأنه كوّن الانطباعات الحسنة فى زوجة المستقبل . فهو لم يتزوجها لاقتناء مدبرة منزل، أو للحصول على عشيقة تكرس له جانباً من الليل . ولم يتزوجها لمجرد إنجاب الأولاد، وتخليد ذكراه على وجه هذه البسيطة.

ولكن الرجل الحقيقى الجدير بالمحبة يعرف جيداً ـ كما تعرف المرأة الجديرة بالمحبة أيضاً ـ أن العلاقة بين الرجل والمرأة، حتى تاريخ انعقاد الزواج، ليست الحلقة الكاملة للقصة، فما ذلك إلا بداية لتلك الحلقة. وابتداء من مرحلة الصفر هذه، يجب عليهما أن يكونا مستعدين للنضج معاً، ولتعود كل منهما على طباع الآخر. أما العلاقة الفضلى بينهما لاستمرار نمو هذا الزواج فهى أن يعيش الواحد منهما لإرضاء الآخر، وإلا كان مصير هذا الزواج الى الانحطاط ثم الزوال. ولكن عندما يتبلور هذا الزواج، ويتصاعد فى النمو، يصبح الزوجان معاً جديرين بالمحبة الى الأبد.

هذا ما يجب أن ينشأ الأطفال ويترعرعوا عليه، حتى يكونوا فى المستقبل أشخاصاً جديرين بالمحبة والاحترام معاً، كما سار آباؤهم من قبلهم على هذه الطريق.





مجموعة من آراء ونصائح الأطباء النفسانيين المفيدة لكل فتاة تطمح للزواج قبل فوات الأوان

جلست امرأة شابة أنيقة جذابة، أمام الطبيب النفسانى، وبادرته قائلة: «لقد بلغت الرابعة والثلاثين من عمرى، وأرغب فى الزواج. لكن المشكلة هى أننى لا أثير اهتمام الرجل الذى ينتمى لنوع الرجال الذين أفضلهم. فقل لى إن كنت قد أخطأت فى شىء ؟ أو أن شكلى يدفع الرجال الى النفور منى ؟»

إن مثل هذه الرغبة الملحة فى الزواج.. هى من أكثر الأمور التى تواجه الأطباء النفسانيين وعلماء النفس ومستشارى الزواج. ولكن الغريب أن تكون المرأة على هذه الدرجة من الصراحة، لأن العادة جرت على لجوء «صيادة الزوج» الى اللف والدوران للوصول الى جوهر الموضوع، فتقول مثلاً: (دكتور، إننى أشكو من إحساسى بالخجل. فأنا لا أقوى على التفوه ببنت شفة، حينما أكون بين جمع من الناس. لذلك أجد صعوبة شديدة فى جذب الأصدقاء. ولا أكتمك سراً فى أننى أتقدم بالعمر، ويفوتنى قطار الحياة، بينما أعمل طيلة النهار فى المكتب، وأظل أرقب الليل لأقضيه وحيدة أمام شاشة التلفزيون).

إن طرح الموضوع على هذا النحو مرهق للطبيب النفسانى، طبعاً، غير أنه يستحيل على المرأة، سواء كانت خجولة أو جريئة، أن تطرحه على النحو الذى يجعلها تبدو ذليلة لأنها بقيت دون زواج حتى هذه السن المتقدمة.

ولكن لابد للفتاة التى تنشد المشورة المهنية من أن تطرح رغبتها الطبيعية فى الحب والزواج، إن عاجلاً أو آجلاً.

* العوانس ... والأطباء !

إن مثل هذه المرأة ستفاجأ عندما تجد «الطبيب» لا يملك علاجاً سريعاً، أو

دروساً سهلة فى موضوع «اصطياد الزوج». ذلك أن هذه الأمور لا تشبه معالجة العلل والأمراض الجسدية. فليس هناك عقار لمعالجة الخجل أو عقد النقص، أو الخوف من الرفض، وما شابه ذلك من الأمراض النفسية.

وستجد هذه المرأة أن كل المقالات والكتب التى تتناول مثل هذه المواضيع - وهى جميعاً هامة - غير قادرة على حل المشكلة. فليس المهم أن تعرف أخطاءها، وبخاصة عندما تكون المشكلة متعلقة بالخجل، أو بفقدان المقدرة على المبادهة، بقدر رغبتها فى التبدل. وهذا، بعد كل شيء، من اختصاصات الأخصائى النفسانى.

وينصح الأطباء المرأة بالإسراع فى طلب مشورة الأخصائى، لأن الزمن لا يسير فى صالحها كلما تقدمت فى العمر. وعندئذ لا يحق لها أن تطلب من الطبيب القيام بالمعجزات.

فالطبيب ليس بالساحر الذى يستطيع أن يحول فتاة ما الى فاتنة شبيهة بنجمات الشاشة، كما أنه لا يملك الضمانات لتوفير الزوج. ولكنه قادر حقاً على أن يجعلها تدرك إمكاناتها، فتتعلم شيئاً فشيئاً كيفية معالجة المشكلات، واجتذاب الناس اليها.

والوصول الى هذه المرحلة.. يتطلب بطبيعة الحال التردد على الطبيب فترة من الزمن، ليستطيع مراقبة ردود أفعالها حيال مختلف الأمور والمواقف. فالطبيب لا يستطيع التوصل الى حل مشكلة المرأة إلا عبر سلسلة من المقابلات، يصل بها الى أغوار ماضيها، بدءاً من الطفولة وحتى تلك اللحظة، فيقوم بتحليل تصرفاتها حيال الناس، وعلاقاتها مع أبويها بشكل خاص.

* فتى أحلام كل فتاة :

إن الآباء بوجه خاص يطرحون صورة الزوج المثالى أمام فتياتهم. إذ تقول الإحصاءات أن ٩٠ بالمئة من النساء يتزوجن من رجال يشبهون آباءهن، وفى هذا لا يختلف الأب الطيب عن الأب السيء فى مسلكه. فكثيرات هن الفتيات اللواتى

تزوجن من سكيرين لأنهم يشبهون آباءهن فى هذا المسلك، على الرغم من أنهن قد يكرهن مسلك الأب وإدمانه. وليس فى الأمر سر، بل كل ما فيه أنهن قد اعتدن رؤية صورة السكير هذه، فتعلمن التلاؤم والتكيف مع هذا الوضع بعد الزواج !

ولكن ثمة فتيات يثرن على آبائهن، وينتهى بهن الأمر الى الزواج من رجال يختلفون عن هؤلاء الآباء الى أبعد حد.

فقد تتزوج ابنة السكير من رجل سليم الأخلاق، قوى الإرادة، مثلاً، لكنها قد تعيش بائسة معه لأنها لم تتعلم أسلوب التعامل مع رجل من هذا الطراز. لذلك لن يتردد الطبيب فى نصح مثل هذه الفتاة بأن تختار رجلاً يتوسط هذين النموذجين المتطرفين.

ولعل من الغريب أن تكون الفتاة اللاهية التى لا تتمتع بحس المسؤولية.. أكثر الفتيات حظاً فى الزواج، على الرغم من افتقارها للشخصية وللفكر العميق اللازمين لكل زوجة ناجحة. ولكن بعضهن ينجحن فى زواجهن، لسبب بسيط، هو تلك الرغبة والنزوع الشديد لإرضاء الرجل، مما يخلق لديه شعوراً بالأهمية، لاسيما عندما يكون الزوج من النوع الذى يحب السيطرة ويرغب فى أن تكون المرأة ظلاً تابعاً له !

* مصير المرأة «المسترجلة» !

هناك نوع من النساء لا يستهوى الرجال، ونعنى به تلك المرأة ذات «التفكير الرجالى»، أى المرأة التى تتمتع بحس عملى، وكفاءة مهنية، وتتصرف بشكل مباشر لا يعرف الالتواء. ويبدو أن الرجال يخطئون إذ يعرضون عن مثل هذه المرأة، فيفوتهم التمتع بمزاياها التى تتفوق بها على المرأة المغناج (ذات الدلال) . فالمرأة التى تنتمى الى هذا النوع من النساء... هى سيدة بيت مدبرة، ويمكنها أن تكون ذات عون كبير لزوجها فى مهنته.

وبعد .. أليس من الأفضل للرجل أن تصرخ المرأة بين حين وآخر، من أن تتأوه وتتلوى طول الوقت؟

يرى الطبيب النفسانى أن الحب الزوجى يقوم، بادىء ذى بدء، على أساس من

الجاذبية الجنسية.

والآن نتساءل ما الذى يجعل الرجل أكثر «ذكورة» من الرجال الآخرين غير مهارته ومرونته وقدرته على اتخاذ القرارات؟ ولكن مثل هذا المقياس لا ينطبق على المرأة. فأنوثة المرأة تعتمد على جسدها أكثر من أى عنصر آخر. ولا يفوتنا أن نذكر فى هذا المجال تلك المرأة الحولاء العينين، النافرة الأسنان، المشوهة الوجه.. التى لم تدع هذه النقاط السلبية تفسد عليها حياتها الزوجية، فعملت على تعويض نقصها بتطوير ورعاية إمكاناتها الطبيعية، فعرفت كيف تتسلل الى قلب زوجها.

ولكن هل يضير الفتاة أن تعتنى بقوامها وأناقتها ؟

من المؤسف أن بعض الفتيات لا يولين هذه الناحية أدنى اهتمام، فيقبلن على الطعام بصورة تفسد قاماتهن وقوامهن، بينما لا تجرؤ الفتيات الخجولات، من جهة أخرى، على الاهتمام بأناقتهن، لئلا يصبحن محط أنظار الرجال.

* النساء الخجولات..

وتجدر الإشارة، هنا، الى أن أغلب أولئك النساء الخجولات.. يتمتعن بذوق سليم عند اختيارهن لثيابهن، ويتميزن - دائماً - بالنظافة، ولكنهن ينزعن - بالمقابل - الى إخفاء جمال قاماتهن بدافع من هذا الخجل، مما يحجب أنوثتهن عن عيون الرجال.

إن سر جاذبية المرأة فى نظر الرجل يكمن دائماً فى وجهها، وحينما تعرض عن استعمال اللون فى إبراز جمال وجهها.. فإنها تكون قد بددت سحرها وجاذبيتها دون مبرر. وربما كان من المفيد أن نذكر المرأة التى تهمل تجميل وجهها والعناية بشعرها، بأن غريمتها ليست بالجميلة الفتانة كما تبدو، بل لعلها أقل جمالاً. ولكن هذه «الغريمة الشاطرة» قد عرفت كيف تفيد من فنون التجميل والأناقة، بينما أهملت الخجولة إمكاناتها الحقيقية، فسمحت لغريمتها بالتغلب عليها والاستئثار بنظر زوجها.

أخيراً.. هل ينبغى تذكير المرأة الخجولة بأن بعض الأسماك تشرق وتتألق فى

موسم اللقاح، وأن اسم الزهرة ولونها مرتبطان بالأنوثة والرقة ؟

ما دمنا بصدد الحديث عن الأزهار والورود.. فالزهرة تجذب الناس اليها، وإن كانت مخبأة فى الظلام.. ويكمن السر هنا فى أريجها. وهذه هى الحال مع الرجال، فكم منهم ذهب فؤاده بمجرد أن داعبت أنفه رائحة خاصة !

لقد عرف المصريون القدماء هذا السر فى السحر، وأكثروا من الحديث عنه فى كتبهم التى حفظها الزمن حتى الآن، وجعلوا منه صناعة رائجة فى العصور القديمة. ولابد للمرأة الذكية أن تعرف كيف تفيد من اللون والرائحة، فتمزج بينهما بمهارة ومعرفة، لتخرج بالمركب السحرى الذى جعل منها قبلة عيون الرجال.

إن نصائحى لن تتعدى هذه الحدود، إلا فى حالات معينة، ذلك أن المهم للمرأة الخجولة أن (تريد) ـ وأنا أعنى، هنا، فعل الإرادة ـ اجتذاب انتباه الرجال، وأن (تعرف) كيف تتصرف بهذا الاهتمام.

* الأذن تعشق قبل العين أحياناً !

يقول الطبيب النفسانى «ونستون بوردين»: إن معظم الناس الخجولين لا يجيدون المناقشة، كأن فى لسانهم عرجاً، أو فى كلامهم عوجاً ! وهذا يعود فى الحقيقة الى عدم اهتمامهم بأية هواية، ذلك أن عدم توفر الهواية يفقد الانسان الأرض المشتركة التى يلتقى عليها مع الآخرين. لذلك فانى أعمل لتشجيع مريضاتى على الاهتمام بإحدى الهوايات مهما يكن نوعها، ابتداءاً بالسياسة والأحداث الجارية.. وانتهاءا بالرياضة.

لقد عرفت العيادات النفسية كثيرات من النساء اللائى يتمتعن بالجاذبية والذكاء الحاد، ومع ذلك فقد بقين محرومات من الحب والسعادة الزوجية، لأنهن أسرفن فى استخدام كلمة (لا). فقد كن جاهزات، دائماً، للرد بـ (لا) كلما تقدم رجل يطلب الزواج، بحجة أنه ليس الرجل (الكامل الأوصاف) !

وتثبت الأحداث.. أن سبب هذا التمنع يرجع الى صورة تحملها المرأة من ماضيها، حين كانت تقيم علاقة مع رجل يبدو فى نظرها كأنه فارس الأحلام.

ولكن لا بأس من أن ترى الصفات الطيبة التى يتحلى بها الرجال الآخرون، طالما أن هذا لن يأتى. ولعلها ستنجح فى لقاء الرجل الذى سيهتم بها ويرعاها، إذا ما توقفت عن مقارنته بفارسها الكامل الصفات. . المجهول!

إن أى طبيب نفسانى يدرك أن للسلبية أكثر من وجه. فلا يكفى أن تبدى المرأة قبولاً أول الأمر لتتخلص من هذه الصبغة فهناك نساء يبدين اهتماماً بالرجل ليعرضن عنه بعد قليل، ومثل هذه المرأة لا تختلف عن مثال المرأة السلبية إلا بالأسلوب الذى تتبعه للتخلص من ارتباطها بالرجل، مهما يكن أمره. وبالتالى لن يكون هذا الأسلوب إلا سلبية مقنعة فى أحسن الأحوال.

ويجدر بهذه المرأة أن تبحث عن الصلة فى أعماقها. . وستجدها على الأرجح، كامنة فى أعماق شعورها، راسية على شكل ذكرى علاقة قديمة فاشلة. ولابد عندئذ من النظر الى الأمور بعين واقعية، فلا تبخس أى رجل حقه، بل تستجيب له دون خوف أو شعور بالإشفاق على الذات.

ولعل المرأة لا تدرك أن التطرف فى هذه المشاعر يؤدى الى البرود العاطفى الذى يفقدها كل أمل فى الاستمتاع بحياتها الطبيعية.

ويشدد الطبيب النفسانى على ضرورة توفر التجاذب العاطفى. فبدون إحساس الزوجين بالراحة واستجابتهما للحرارة ومنحها، الواحد للآخر، لن يعمر الزواج طويلاً.

* على المرأة أن تثق بالناس :

وطبعاً، لا يمكن معالجة النواحى السلبية التى طرحها هذا البحث، إلا إذا توفرت لدى المرأة الثقة بالناس. ولا بأس فى أن تبدأ علاقتها الجديدة مع العالم. . فى تحديد ثقتها بأناس مقربين اليها، كالأم، أو الأب، أو الخطيب، ثم تبدأ فى توسيع دائرة علاقاتها على أساس الثقة والإيمان.

إن بريد القراء فى الصحف والمجلات. . يحفل باستفسارات عن حالة شائعة، هى حالة (الخطيب الذى لا يرغب فى الزواج). ونعتقد أنه لا ينبغى إغفال أهمية

هذه الحالة، إذ تقود فى أغلب الأحيان الى تعقيد شخصية الفتاة.

ولكن لا ينبغى فى جميع الأحوال.. المبالغة والتطرف فى استخلاص النتائج من هذا الدرس. إذ يكفى أن تلغى الفتاة «خطوبتها» لتكشف عن معدن الخطيب، فيكون إما مراوغاً يرغب فى الأخذ دون العطاء، أو معقداً يخشى الزواج.. ولها بعدئذ حرية التصرف، فإما أن تهجره يأساً منه، وإما تعنى به، إذا كانت تحبه، حتى يتخلص من عقدة الخوف.

* الزواج السهل !

يقول الأطباء النفسانيون أنه ربما كان الزواج أسهل أمر فى الوجود عند بعض النساء، وبخاصة الشابات منهن. ولعله ليس بالأمر العسير على بعض اللواتى تجاوزن سن الشباب - أيضاً.

فبعض أولئك النساء يتمتعن بسحر يجعلهن محط أنظار الرجال من كل سن ونوع.

ويروى أحد الأطباء قصة إحداهن، وقد جاءت لتستشيره فى موضوع زواجها الوشيك. ففاجأته بقولها إنها مترددة فى اتخاذ القرار لأن الموضوع لا يتعلق برجل واحد !

إن كل ما ينبغى للمرأة عمله، حينما ترغب الزواج وتريده، هو تطوير إمكاناتها الطبيعية، والثقة بالآخرين، فلا تساورها الشكوك.. بل تقدم، ولا تهاب شيئاً أو أحداً.. ولا تتردد !





ما معنى أن تكون إنساناً ؟

هناك ثلاث وظائف تؤديها الهرمونات الجنسية التى تأخذ فى التدفق مع الدم عند البلوغ، فـهى تتحكم فى إنتـاج البويضات والـنطف وكذلك فى وظائف الأعـضاء المرتبطة بها، وتتحكم أيضـاً فى عدد من الفروق غير الهـامة بين الذكور والإناث، وثالثـاً وأخيراً فـإنها توجـد الدافع الجنسى. وهذا الدافع يتـمتع بقـسط عظيم من الأهمية إذ لولاه لكفت المخلوقات عن التزاوج والتوالد.

إن التجاذب الجنسى مهم فى حياة الإنسان. ولكن يجب أن نعلم أنه وإن كانت هناك سلسلة من السلالات الحيوانية التى تربط الإنســان بماضيه السحيق فمن الخطأ أن نظن أننا لا نعدو كوننا حيوانات سامية التطور، فنحن قبل كل شىء أناس.

والظن بأن الجنس عند الإنسان لا يختلف عن الجنس عند الحيوان خطأ جسيم. فدور الجنس عند الحيوان مقتصـر تماماً على التزاوج والتوالد، أما عند الإنسان فإن التوالد وإنتاج الجيل الجديد ليس إلا جـزءاً من العلاقة بين الرجل والمرأة. فالجنس الإنسانى يتناول أموراً كثيرة أخرى فهـو رمز الحب الزاخر ببهجة الروح ورمز القوة الهائلة التى يضفـيها الحب على الانسان كـما أنه رمز تلك الزمالة والتعلق السـعيد بالأسرة. والحيوان لا يفهم شيئاً من هذه المشاعر. وحتى ذلك التعلق الوطيد الذى يربط بين حيـوانين لا يكاد يعتبر حـتى مجرد ظل خفـيف لذلك الحب الذين يهبط على قلبين شابين ويحملهما طيلة حياتـهما على أجنحة السعادة التى لم يستطع بعد أى إنسان أن يصفها بالكلمات.

ودافع التزاوج عند الحيوان شىء آلى يدفع الزوجـين البالغين الى الاندماج، أما الإنسان فيستطيع أن يخطط سلوكه ويقرر أموره بنفسه. ومع أن الدافع الجنسى عند الإنسان لابد أن يترك أثره على حياة الإنسان إن عاجلاً أو آجلاً بعد سن البلوغ فإنه لا يكون على نفس الطريقة الآلية التى نراها فى الحيوان. إن الغرائز فى الإنسان لا تمتلك الكلمة الأخيرة.

وحقيقة كوننا قادرين على أن نقرر لأنفسنا طبيعة الشىء الذى نعتزم أداءه هى الأساس الحقيقى للخلاف بيننا وبين الحيوان، فبالإضافة الى المنعكسات الطبيعية التى تربط بيننا وبين الحيوان كرفع اليد بسرعة عن الحديد المحمى مما يجنبنا شر الإصابة بأذى جسيم، فإن الرجل والمرأة يستطيعان بفعل قوة إرادتهما أن يتحديا المخاطر فى سبيل المثل العليا. وتاريخ البشرية حافل بأسماء الشهداء الذين فضلوا الموت حرقاً على البوح بكلمة واحدة فيها نجاتهم من العذاب الرهيب إذا كان فى هذه الكلمة الأذى بشىء جوهرى مقدس فى نظرهم. لقد أثبت الإنسان أن أقوى غرائزه الجسدية يمكن أن تحتل المرتبة الثانية من الأهمية وذلك بمحض اختياره القائم على العزيمة الصادقة.

لقد كان الطول الوسطى لحياة الرجل والمرأة الى سنوات قليلة خلت قصيراً بصورة تدعو الى الدهشة. ومتوسط عمر الانسان فى أيامنا هذه هو حوالى خمس وستون سنة بل إن المرأة أطول عمراً من ذلك. وهذا المتوسط يدخل فى حسابه أيضا الأطفال الذين يموتون فى مستهل حياتهم، وهذا القول على كل حال لا ينطبق على الأقطار التى يعيش سكانها على حافة المجاعات والأوبئة. وإذا عدنا الى ما قبل مائة وخمسين سنة وجدنا أن متوسط طول عمر الإنسان لم يكن يتجاوز نصف هذه السن. فالأطفال الحديثو الولادة كانوا يموتون كالذباب وكانت أوبئة الكوليرا والجدرى والتيفوس تجتاح المدن وتقضى على سكانها بالألوف. وأقل الجروح كانت فى كثير من الأحيان تؤدى الى الوفاة بسبب انعدام وسائل النظافة.

وإذا عدنا الى الإنسان البدائى فى العصور القديمة وجدنا أن متوسط طول حياته لم يكن يتجاوز هذا الحد كثيراً إذ كان مقتصراً على المدة التى كان يستطيع فيها أن ينجح فى اقتناص فرائسه أو النجاة بروحه من أذاها. ومثل هذه الحياة القصيرة كانت تقتضى حدوث النضوج الجنسى فى سن مبكرة. وأسلافنا هؤلاء ما كان يمكن أن يكتب لهم البقاء والاستمرار لو لم يكونوا قادرين على تنشئة أسرهم فى سن مبكرة بحيث أن أطفالهم كانوا قادرين على الحياة بأنفسهم وبوسائلهم الخاصة إذا اخترمت المنية آباءهم موتاً أو قتلاً.

إن الأبوة المبكرة مـا كـان يمـكن أن تكون بدون البلوغ المبكـر، وأولئك الذين ينضجون جنسياً قبـل غيرهم يتمتعون أكثر منهم بإمكانية البـقاء والاستمرار بنجاح. وهكذا نجد فى ماضى التطور الغامض أن بلوغ الانسان لم يكن يحسب بالكبار من الرجال والنساء بل بالصبية والفتـيات الذين كانوا يبلغون سن الرشد فى سن مبكرة ويعيلون عائلاتهم.

والظاهر أن هذا هو السبب الذى يكمن وراء الحالة الغريبة الكامنة وراء النضوج الجنسى لدى الفتيـات والفتيان الصغار السن فى أيامنا هذه، وهم يسـبقون أندادهم من أبناء القـرن الماضى فى هذا المجـال وربما كـان مرد ذلك الى توفـر الغـذاء لهم بصـورة لم تكن معـروفة لدى أولئك. ومـهمـا يكن السـبب فإن أبناء هذا الجـيل ينضجـون جسدياً قـبل أن يتهيـأوا للحب الصحيـح العميق بزمن طويل. غـير أن الإنسان لا يعيش فى عصـر الذرة وحياته لم تعد مقصـورة على اصطياد الحيوان أو الخوف من سطوة الضوارى. فالإنسان يستطيع اليوم أن يحصل على كافة احتياجاته من أقرب المصادر وأسهلهـا، ونظراً لعدم انشغاله كلياً بالشئون المتـعلقة بالبقاء على قيد الحياة فإنه يستطيع أن يجعل حيـاته أطول وأوفر بمقومات البهجة ممن سبقه. إن الحياة العصرية مليئة بالإمكانيات العظيمة، والإنسان البالغ العصرى يجب أن يكون شخصاً يتمتع بالعـقل الناضج أيضاً. ولم يعد النضج الجنسى وحده عند البلوغ هو المقوم الوحيد للإنسان البالغ.

لقد ورثنا جمـيعاً الحافز التـناسلى من أسلافنا الحيوانيين، والـبلوغ الباكر الذى كان ضـرورياً للإنسـان البدائى، مـا يزال أثره قائمـاً حتى الآن بحـيث أنه يتم فى السنوات الأولى من حيـاتنا غير أن النضج العـقلى والعاطفى مـتخلف عن النضج الجنسى بمراحل وعلى الشـباب أن ينتظر سنوات طويلة هى سنوات الـبلوغ قبل أن تنسجم الأوجه العديدة لطبيعتهم البشرية ويدرك بعضها بعضاً.

يتحـرك الدافع الجنسى بأشكال مخـتلفة فـفى الطيور مثـلاً تلعب الألوان دوراً كبـيراً فى خلق الاستـجابة لدعوة التـزاوج. كما تلعب الرائحـة دوراً هاماً فى هذا المجال عند الحيوان.

بل إن عطور الأنثى عند الإنسان تخلق ميلاً كبيراً عند الذكر، وكذلك تستميله أجزاء معينة من الجسم كالشعر والعنق والعينين والصدر..

ومن هنا يقع الفتيان والفتيات فى كثير من الأحيان ضحايا أرباب الدعايات من رجال الصناعة الذين يستغلون هذا الشعور لترويج بضائعهم عن طريق توزيع الإعلانات المثيرة.

غير أن الشباب ينبغى أن لا يخدعوا بهذه الظواهر كما يجب أن لا يشعروا بالاستغراب مما طرأ على حياتهم بغتة، فإنه مظهر البلوغ ومعناه أن أجسامهم بدأت تنتج النطف عند الذكور والبويضات عند الإناث وأن الهرمونات الجنسية أخذت تفعل فعلها القوى فى أجسامهم.

إن معظم الحيوانات تتزاوج فى فترة معينة من السنة أو خلال مدة معينة من موسم الإخصاب غير أن الإنسان يختلف عنها فإن الإنجاب عنده ليس مقيداً بفترة محددة من السنة.

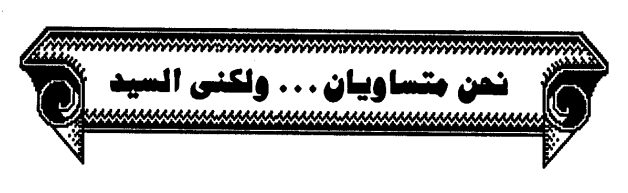
والدافع الجنسى عند الإنسان لا يشتد ويخبو على فترات متقطعة كما هو الحال لدى الحيوان، كما أن الجنس عند الإنسان ليس عملية آلية، فهو يخلق قوة عاطفية شديدة يمكن أن تجد لها متنفساً فى عدة اتجاهات تبعث على الدهشة. فالزواج عادة يأتى بعد مرور فترة طويلة على البلوغ وهنالك كثير من الأشخاص لا يتزوجون إطلاقاً ولذلك فإن طاقتهم الجنسية يمكن أن تعبر عن نفسها بإظهار العناية بالآخرين أو بالإسراف فى العمل المرهق أو فى مضاعفة النشاط العقلى. إن كثيراً من أرقّ الشعر وأعذب الموسيقى قد نتج عن عواطف عميقة من هذا القبيل .

إن بلوغ الإنسان ذكراً كان أم أنثى يعنى أنه سينعم فى يوم من الأيام بالسعادة التى تهيئها لـه الحياة العائلية الهانئة وذلك عندما يعثر على الشخص الذى يستطيع أن يهيئ له الود والسعادة.

ويكون الحب فى أنبل حالاته عندما يخلق فى الانسان إحساساً بالإخلاص والتفانى للإنسانية حتى ولو كان هذا الحب تعلقاً بشخص واحد هو الزوج أو الزوجة.

إن فورة العاطفة التى ترافق مرحلة البلوغ تضعف قليلاً عندما يتقدم الإنسان فى السن ولكن الحب يظل قائماً بين الزوجـين المتفاهمين، حباً قـائماً على الإخلاص والتفاهم والصداقة، وفى هذه الأثناء لا تنسى الغدد مـهمتها بل تظل تعمل بصمت وهدوء، وتظل الهرمونات تدور فى الدم وتظل الأصباغ الوراثية دائبة على الانقسام لإتمام الهناءة التى يجـدها كل من الزوجين فى رفـيقـه عند الاندماج لإنجـاب طفل يملأ حياة والديه بهجة وسعادة ويكون نتاج خصائصهما وشخصيتهما معاً، وعندها تبتدئ القصة من جديد.





نحن متساويان... ولكنى السيد

رجال يقولون ـ وما أكثرهم ـ إنهم يرغبون فى مشاركة حقيقية مع المرأة (ويعنون ما يقولون)، ولكنه صعب . وهذه طائفة منهم يتكلمون بنزاهة عن الحب، والمسئوليات، والمشاركة ـ عمّا يريدونه فى الحقيقة، وصعوبة تغيير عادات قرون فى حقبة واحدة.

كنا ثلاثة عصام ونبيل وأنا نخوض فى أحاديث طلية عن الزواج، وما يحب الرجل أن يلقاه فى المرأة. وانبرى نبيل يقول بحزم: «سأقول ما أريد.. أريد أن أكون المسيطر فى مشاركة متساوية. نحن متساويان ولكنى السيّد. وصمت قليلاً وأخذ يذيب السكر فى فنجان الشاى ثم أردف: «أحياناً تستطيع هى أن تسود. ولكنى متى عرفت الأمور لا أفرّط بحقى فى اتخاذ القرار. أنا رجل... ولن أخلع سراويلى».

وأجبته متسائلاً: ولكنها مشاركة متساوية، أليس كذلك؟

فقال: «إنها مشاركة بين متساويين».

نبيل قال ما يخالج مشاعر الرجال كافة، وإن كان فى قوله ملامح العجرفة أو تعصّب الذكر.. الرجال بالفعل يريدون نساءً متساوين معهم، نساء يحترمون ويحبّون، ولا تقلّ معارفهن عن معارفهم فى عمقها، وغايتها، وجديتها، وفى الوقت نفسه يريدون أن يكونوا الأسياد. ونحن جميعاً نساء ورجالاً نتخبّط فى شرك التناقض.

كل رجل تبادلت معه الحديث ردّد رأى نبيل ولو بصيغة مختلفة، فالرجال معلقون فى مكان ما بين دور مُغرق فى القدم ودور جديد . وقد نُشّئوا فى تربيتهم ليكونوا الأسياد، الأقوياء المسيطرين.

ويحاولون أن يتكيّفوا مع المرأة المعاصرة، أن يتحرروا من التوقعات التى لقحوا بها منذ نعومة أظفارهم، من الدور الذى أُسند إليهم تقليدياً، فهم لبسة

السـراويل. . ولكنهم يقـدّرون صـعوبة التـخلى عن دور أسنده التـاريخ إليـهم ـ التسـيّد، السيطرة على المرأة، وعلى الدنيا. يـظنون أنه دور درج فى كفن الماضى، ويرغبـون فى المشاركة بأعـمال المنزل، وتربيـة الأطفال، وإرضاء الزوجـة جنسياً. يريدون أن تصنع زوجتـهم مستقبـلاً لها. على أن المرء يسمع وراء هذا كله همـهمة حيرة، ولكـنها تحثهم على التفـرّد بالسلطة، ولو بطريقة عدوانية، وعلى تـقرير ما يجب وما لا يجب. وعلى القيام بالعمل مهما تجسّمت فيه المجازفة.

«أحب أن أكـون الرجل» ، قال لى نبـيل فى وقت لاحق. . «أحب الاحـتفـاظ بدور الذكر التقليدى؟».

وما يتبع موجز للأحاديث التى دارت بينى وبين هؤلاء الرجال الذين لم أخترهم كعيّنات ونماذج، فهم ينتمـون إلى مجتمعات تفصل بينها مسـافات شاسعة. وسنّهم يتراوح بين ٢٦ و ٤٦ سنة. وكان حافز البعض الفضول: ماذا يريد الرجل؟ سؤال لا يعلمون جوابه فهو صعب حتى على الرجال.

يوسف. ش عازب فى التاسـعة والعشرين. رجل ملتزم بالقواعـد ـ يختار الغذاء الجيّد، يقوم برياضة اليوغا، يعدو، ويملك منزلاً ريفياً فى مسقط رأسه. إنه المدير الفنى لوكالة إعلان. ليس وسيمـاً ولكن يلفت النظر، ومع ذلك لا يجد الفتاة التى ترافقه. هو يريد فتاة تشاركه فى مصالحه وآرائه.

يوسف يغلب عليه الحـياء، يموّهه بضـحكة عريضة. وعلمت من تصـرفاته أنه عدوانى وقت اللزوم بخصـوص الطعام الذى يفضّل، والسيارة الأنيـقة التى يقود، وليـاقة المجـتمع التى يوافق أو لا يوافـق عليهـا. ولا أنكر عليه ذكـاءه ورجاحـة تفكيـره. ولكنه يخلط فـيمـا يريد أن يجـده فى المرأة. . يريدها شـريكة له، ولكنه يريدها أن تحتـفظ بعمل خاص بها: «أريد امـرأة يكون فى حياتها شىء يشـغلها إلى جانب اهتـمامها بمنزلهـا. وأريدها عذراء، أو على الأقل فتاة مـتوقية حـريصة. أو لتكن متهورة ثم ارعوت. . إنى أقبل بها رغم ذلك . أريدها عارفة كيف تستمتع فى الفراش.

أسوة بالرجال، لو عرف يوسف ما تريده المرأة من الرجل لما جهل ما يريده هو. «بعض نساء يُجدن العمل ويتقننه كالرجـال، ولكننا نحن الرجال مخلوقات تختلف

فى تكوينها، صُمّمنا لأعمـال مختلفة. ولخير النساء لو تمـسّكن بهذا الاختلاف فى البنية لأفدن واستفدن، ولكنهن يحـاولن أن يكنّ مثلنا.. ولكنى لا آخذ عليهن ما يحطّ من شأنهن، ففى أعمالهن يساوين الرجال مهارة، ولا أبالى إن تزوجت بامرأة أبرع منى وأكثر نجاحاً، وإن كان من الصعب فى بعض الأحيان التعامل معها».

إنّ يوسف يتخبط فى آرائه المتشابكة.. يقول رأياً ثم فى بحث آخر ينقضه.

خليل . ك مرّ فى نطاق المناقضـات، ورسا على قاعدة التقالـيد. عمره ٣٥ سنة وتزوج منذ ١٥ سنة. لطيف، كثير الكلام، ذكى. يعمل نجّاراً، وفى أوقات الفراغ يكتب المقـالات لمجلات الموسيـقى. زوجتـه سعاد تـعمل محـاسبـة، وتُعلّم عزف الجيتار، يملكان منزلاً ويرعيان فتى يبلغ التاسعة من العمر. انفصلا فترة من الزمن ثم اكتشفا أنهما أكثر نجاحاً وسعادة معاً.

ورأيه فى المرأة رجعى، يـقول إن الرجل والمرأة خلقا ليـؤديا دورين مخـتلفين. فالمرأة العصرية كما يراها، تتخلى عـن أنوثتها: «إنى أرى الشقيّات ينمو عددهن.. فالكلمـات أضيفت إليهـا المعانى، ففـقدت معناها الأصلى». وأى كلمات يقـصد؟ كلمات المساواة، والتحرر، والمشاركة.

ويقدّر خليل الجمال.. ويقدّر رجاحـة عقل المرأة التى تلاحق جهاد النساء، ولا تكترث بالسلطة والتسـلّط فى بيتهـا. هذه تكون امرأة مدهشة.. «وإنى لا أكـتمك أمـراً على جانب عظيـم من الأهميـة.. الكلام.. لا مع الحـائط والمقعـد بل مع شريـك لك». وهو صادق فى قـوله ولكنه لا يعتـبر الكلام كـافيـاً.. بل الجـمال الجســدى عنده من أولى اللزوميات... إنه مـخفف وملطف ومسعف.. وسـعاد زوجته تتمتع بقسط وافر من الجمال كما أكد.

أمـا الأخـلاق فـهى فى نظره تبـزّ الجـمـال أهمـية: «إنى أحـب المرأة الكاملة المتحفظة، التى تزن الكلام وتزن التصرفات بميزان الأخلاق».

وسألته عن رأيه فى امرأة حنكتها التجارب الجنسيّة، فأجاب يجب على المرأة أن تقول (لا) للرجل، أن تقـول له: (هذا يتجاوز كرامتـى). أن تعرف حدودها. أمّا المرأة المسرفة فـهى الخراب لن يتورط معهـا، ويعتقد خليل أن الأب جـزء من حياة

طفله، إلا أن المسئولية الأولى فى إنشاء الطفل تقع على عاتق الأم. ويثبت هذا القول تعلق ابنهما بأمّه.. ولا يعترض خليل.. وموقفه هذا كسائر المواقف العاقلة مكنت الزوجين من تقاسم العمل والمسئولية بشكل مرضٍ للطرفين.

وخليل تقليدى أيضاً فى نظرته إلى الرجل كمعيل للأسرة. لفترة وجيزة كان دخل زوجته أكثر من دخله. وكان يشعر بالاضطراب والقلق مما صير منه مدمن عمل ليرفع بذلك من دخله. وكان هدفه كسب المال الكافى لتصبح زوجته ربة المنزل وتكتفى بأعمال موقتة ويقول خليل: «الزواج مشاركة حقيقية، ولكى أشعر بالثقة والأمان، احتجت إلى الشعور بأنى شريك أصلى لا غنى عنه».

منفصلان ومتحدان يظن خليل أنهما حققا التوازن اللائق. فهو كما يبدو سعيد. لن أتكلم نيابة عن سعاد، ولكنه زواج موفق فى حقبة من التاريخ سادتها الفوضى والبلبلة.

فى الوقت الراهن لا يُكتب للعلاقات العاطفية خارج نطاق الزواج عمراً طويلاً. فالأغلبية من الرجال الذين تكلمت معهم كانوا غير متزوجين أو مطلقين. بعضهم طلق مرتين، وبعضهم يقيمون علاقات مع نساء بلا زواج. ولا يخرج كلامهم عن معنى واحد وإن اختلفت الألفاظ، ولا أدرى ضرورة لتكرار ما قالوه. ولكن سآتى على ذكر ثلاثة تجاوزوا الثلاثين ببضع سنين. وهم عزّاب حالياً، ولا يفكرون بالزواج. مهنتهم تختلف ولكن يتكلمون بصوت واحد حينما يذكرون ما يريدونه فى المرأة. يريدونها قوية ومستقلة، ولها عمل.. والثلاثة مستعدّون للمساهمة فى العمل المنزلى مع امرأة ترعى طفلها، وتطبخ الطعام للأسرة. وصرح الثلاثة بأنهم لن يشعروا بالنقص إن كسبت من المال أكثر مما يكسبون، ولكنهم يرفضون تفانى المرأة فى عملها واضطرار الرجل إلى تقبّل المرتبة الثانية.

* بعضهم يتردد فى التفكير بالزواج :

«الزواج؟» هتف عصام. ح. «لا أدرى . أرى البدائل أكثر قابلية للتطبيق». لقد حاول عصام الإبقاء على علاقة مع امرأة تقيم فى مكان بعيد. وقد توثقت

العلاقة قبل ثلاث سنين، ولكن اصطدام مُستقبَلهما فصم العلاقة. ولا يزال يبدى الامتعاض والمرارة، وإن أنحى على نفسه باللائمة.

وتكلم عن المرأة (الجديدة)، والتبدلات والتمخضات فى القواعد والتقاليد والأدوار، قال: «أظن على الرجل أن ينفق الوقت الطويل مصنفاً - هذا عملك أنتِ.. وهذا واجبى أنا! أمر صعب ممل!».

محمود. س تزوّج مرتين، ودام كل زواج سنتين. يقول: إنه إذا تزوج مرّة ثالثة، فسيعقد اتفاقاً قبل الزواج. هو لا يخاف المساواة، إنما يخاف المرأة التى تحاول التعويض عن هزائم سابقة ببسط سيطرتها على الرجال، بطريقة تعسّفية ظالمة: «أحب المرأة القوية ولكنى لا أحبّها إن وضعت الدرع، ووجهت الحرب إلى حلقى!».

أمّا سميح. م فقد عانى الأمرّين فى عمله مع النساء. عملَ من قبل كسائق شاحنة مع مصلحة الهاتف، والآن يعمل محاسباً. ويقول: «إنى أنفر من المرأة التى تعامل رجلها كأمّ منْتقدة».

فى الماضى لم تكدرنى امرأة تشير إلى خطأ ارتكبته. ويتمنى سميح أن يتزوج. عمره ٣٦ عاماً، ولكنه يخاف أن تكون زوجته من النوع المتحكم المتجبر، أو أن تكون سليطة اللسان، سريعة الغضب، لا ترضى منه بأقل من الإذعان!

هؤلاء الرجال متردّدون فى اتخاذ القرار. بل محجمون. وأظنهم يخافون. وأظن أن خوفهم ليس من الناس بقدر ما هو من علاقة لا يعرفون موضعهم فيها.. علاقة تضطرهم إلى الكفاح للحفاظ على كيانهم كرجال. لقد قلّلنا من أهمية التغييرات التى تطالب بها الحركة النسائية. فقد أخذ الرجال يشعرون بأنهم فى موقف دفاع... فكل ميزة اكتسبوها منذ قرون اهتزت نتيجة العواصف التى أثارتها هذه الحركة ومثيلاتها.. علمنهم كيف يغيرون الحفاظ للطفل. وكيف يرضون المرأة جنسياً، وكيف يطهون وكيف ينظّفون ويغسلون، وكيف يكونون الآباء الصالحين، وكيف يتصرفون برقة ودماثة وخضوع، وكيف يراعون مشاعر المرأة... أمور فاضت وطغت وأدخلت فى روع الرجل أنه فى طريق العبودية

سائر، وإلى حياة المذلة صائر.

صديق لى انفصل عن امرأة كان مدلها بحبها، لأنها اعتمدت عليه فى دفع الحساب كل مرّة ورفضت أن تساهم فى النفقات، أحبت عشرته ورافقته. ولكنه كان الخاسر دائماً. وقال بصوت متهدج: «ماذا تنتظر هذه المرأة؟ أن يكون المنفق والمنظف والطاهى ومربى الطفل؟» وسألته: «وماذا بذلت هى بالمقابل؟».

قال: «الجنس!».

قلت: «ولكن الجنس عملية متبادلة، ألا تعلم ذلك؟».

قال: «أنا أعرف وهى تعرف، ومع ذلك فإنها تعتبرنى المسئول عن كل النفقات. ولما طلبت منها مرّة أن تساهم فى تسديد فاتورة، ثارت ثائرتها، وكان الشجار على مسمع من الناس جميعاً فى المطعم. وقد دفعت الحساب وخرجت وكان هذا آخر عهدى بها!».

ومن سخرية القدر أن المرأة المطالبة بالمساواة - وقد بلغت أربها فى أمور كثيرة - لا تزال تحب القوة فى الرجل، فالقوة تجذبها، القوة تعزّز مكانة الرجل كذكر متحكّم. وقد يقاومن تجبّر الرجل، ومع ذلك يسعين إلى الرجل المتجبر! كلنا سواء، الرجال والنساء.. كلنا وقعنا فى شرك التناقضات.

فهل من مخرج للمشكلة؟ لعلّها مشكلة لا يحلّها إلا الزمان. وقد أثار إعجابى شاب اسمه سليم. ح حين قال: «هويتى كرجل لا يُرسخها التحكم بالنساء».

سليم يريد زوجة ذكية حصيفة، سليمة فى صحتها وتفكيرها... ويعتبر أن الاحترام المتبادل هو مفتاح العلاقة الناجمة . يجب الاشتراك معها فى حمل المسئولية. ويجب أيضاً أن تكون طموحة تعمل بجدّ ونشاط. ويكون هذا مدعاة لفخره، لا سبباً لقلقه، حتى لو جنت من المال أكثر مما يجنى. أما عن الأساليب القديمة التقليدية فينعتها بالعادات السخيفة، والتقاليد البالية.

وما أكثر المعارك الكلامية التى خضتها مع زوجتى كلما ثار أمر من أمور التدبير المنزلى ، وقد أثمرت هذه المعارك. فسوينا الأمور كلها، ووزعنا الأدوار. فعلى الرجل أن يعترف بأن وقت المرأة ثمين لها بقدر ما وقته ثمين له.

ولا مرية أن بلداً مثل أميـركا عدد الرجال العاملين فيـه بالكاد يتساوى مع عدد النساء، يتعرض للبلبلة العائلية فى كل ركن منه. فالمرأة لا يمكنها أن تحمل مسئولية عملها، ومسئولية البيت كلها. يجب أن يتقاسم الرجل والمرأة مسئولية البيت، بهذا يتحقق التساوق ويكون الانسجام والوئام كـاملين، فتقلّ قضايا الطلاق، ولا تتهدم العائـلات، فيتـشرّد الأولاد ليـضلوا السبـيل مما يتعـرضون له من إغـراء الشوارع والحانات، وتجار المخدرات، وتجّار الرقيق الأبيض.

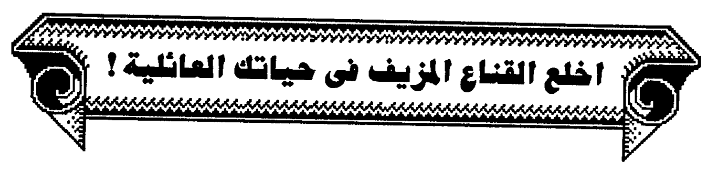
الرجـال بدأوا يعتـرفون بالأمـر الواقع ، وعلى النساء أن يأخـذن حذرهـن فلا يغالين فى الطلبات، ولا يتـمادين فى التعصب الأعمى، فلهذه التـصرفات عواقب وخيمة لا يعلم نتائجها إلا الله.

فيما يلى نبذة من كتاب ألّفته امرأة وأطلقت عليه اسم «عن الرجال». وقد بغت الكاتبة وطغت، وظلمت الرجال إلى حدّ ما . ولعلها عانس تطلب الانتقام.

قالت: «مـعظم الرجال ينتـظرون من النساء عـامة أن يحافظن عـلى أسرارهم، ويتكتمن على هشاشـتهم، ويصفحن عن شراستهم، ويؤنسـن وحدتهم، ويشبعن نزواتهم!».

ربما فى كلامها بعض الصحة، ولكنه ينطبق على النساء أيضاً ، فهن ينتظرن من أزواجهم أكـثر مما ذكرتـه الكاتبة وخيـر أسلوب يتبنّاه الزوج والزوجـة هو الاتفاق والتراضـى والتقاسم. . وأخـيراً وليس آخـراً الحبّ الصافى. . الحـب الصادق. . فمتى أحبّ الإنسان يضحى، ويغضى ويصفح. . .





اخلع القناع المزيف فى حياتك العائلية !

الصراحة بين الزوجين علامة بارزة في استمرار الحياة الزوجية السليمة. أما عكس ذلك، فالمنزل العائلى سرعان ما يتداعى!

من أعجب الأمور أن يبلغ الخلاف الزوجى حد الانفصال رغم كل ما يلاحظ على الزوجين عند بدء الاقتران من آيات التعلق والحرص على ديمومة الزواج. ومع ذلك فحوادث الانفصال كثيرة، وهى تعكس شدة التفاعل المتفاقم دوماً بمرور الأيام الى أن تحين لحظة التحطم.

فلماذا إذن يقع الطلاق بين زوجين مع حرصهما الجلى على علاقة الزواج بينهما؟ وبالتالى، ما هى الوسيلة لإنقاذ زواج مضطرب؟

لقد قام بعض علماء النفس بإشباع هذا الموضوع بحثاً ودرساً قبل محاولة الإجابة عن أمثال هذه الأسئلة. والشىء الذى توصل اليه أولئك العلماء أن الخلاف الزوجى المفضى الى الانفصال ليس قط ابن ساعته أو يومه. فهو خلاف ضاربة جذوره فى الأعماق. وهنالك شىء آخر توصلوا اليه وهو أنه مهما كان شريك الحياة وأياً كانت صفته، فإن كل انفصال بين الزوجين انما يتخذ نمطاً معيناً يسهل تلمسه.

وفى معظم حالات الطلاق، نلمح وجود شخصين: أحدهما البادىء، بينما نجد الطرف الآخر راغباً فى استمرار العلاقة الزوجية. ولدى وصول هذا الطرف الآخر الى القناعة بأن الأمور قد بلغت منتهاها، يكون الطرف البادىء فى عملية الانفصال قد وصل الى ذلك الحد من اليقين الذى يجعل كل محاولة لإنقاذ الزواج من الضياع شيئاً عقيماً.

وفى حين أن الطرف الحريص على استمرار الحياة الزوجية يقول فى معظم الحالات أنه لم يكن مدركاً أن الأمور قد وصلت فعلاً الى حد الانفصال، فإن الطرف البادىء بمحاولات الانفصال يتلو على الناس قصة مغايرة لذلك، قائلاً أنه

قد قضى أشهراً بل سنوات محاولاً الظفر بانتباه شريكه اليه ولكن بلا جدوى.

* البداية مختلفة:

إن هذا الانقطاع فى التواصل بين الزوجين يحدث لسبب غريب وهو أن شدة الترابط فى العلاقة الزوجية تشجع أحياناً على مراعاة السرية بدلاً من اتباع الصراحة. ففى بدء الحياة الزوجية يكون كل واحد من الزوجين شديد الانصراف الى محاولة اكتشاف كل ما يمتُّ للآخر بصلة بحيث تتولد لدى الاثنين حساسية فائقة تؤدى الى الخصومة أمام أتفه الأشياء. فالزوجان فى أول عهدهما بالحياة الزوجية يكونان مشدودين الى بعضهما دائمى البحث عن أسرار العلاقة بينهما، ووضعها على محك التجربة. ولكن بمجرد أن تبدو العلاقة بينهما وطيدة الأركان، فإن الزوجين غالباً ما يستبدلان بهذه المراقبة الدائمة المستنفدة للطاقة فى أول الأمر، يستبدلان بها نمطاً للتواصل يفضى الى كبْت المعلومات بدلاً من البوح بها. وبدلاً من الحرص على الاستقصاء وسير الأمور ، يعمد الزوجان الى التأكيد فى كل مناسبة بأن علاقتهما سليمة صحيّة وذلك عن طريق الترديد المستمر للعبارات المألوفة التى تتحدث عن الحب وكذلك عن طريق الحرص على قضاء المناسبات والعطل مع أفراد الأسرة، وكذا ممارسة الجنس الحار والاستمتاع بمعاشرة الأصدقاء، وترديد عبارة: كيف كان يومك؟

* كشف النقاب يأتى متأخراً :

عندما تبدأ العلاقة الوثيقة بين الزوجين فى التداعى فإن هذه الطريقة المختزلة التى يتبعها أحد الزوجين أو كلاهما لاختبار مدى رسوخ الاندماج بينهما، هذه الطريقة المختزلة إنما تحجب التبدلات التى تكون قد طرأت، فضلاً عن أنها تقف حاجزاً يمنع إرسال وتلقى المعلومات الجديدة. بل إن بعض الأزواج والزوجات يتخذون من الرسائل المألوفة ذريعة لتجنب الخصومة والمواجهة ولإخفاء حقيقة مشاعرهم الصحيحة. غير أن سلوك مثل هذا المهرب السهل قد تكون له آثار مدمرة على العلاقة بين الزوجين. إذ أن المشاكل لا يمكن حلها إلا إذا أقر الزوجان فى

دخيلة نفسيهما بأن العلاقة بينهما تعانى من الاضطراب. وكلما طال أمد نكران الشقاء ، ازدادت إرادة الزوج أو الزوجة على فك عرى العلاقة بينهما.

إن الشريكين المغبونين يميلان الى إخفاء شقائهما فى أول الأمر وإبقائه سراً مكتوماً بينما يكونان دائبين على تأمل الأمور ويقومان بصمت بتقدير الوضع. وفى مثل هذا الأمر نجدهما مستمرين فى المشاركة بشتى نواحى الحياة المألوفة مع الأشخاص الآخرين. ولكن مع تنامى الإحساس بالشقاء يزداد ميلهما الى كشف النقاب عنه. ولكن ذلك فى معظم الأحيان يتم بطريقة غامضة صعبة التحديد.

* علة المشكلة لا تقال :

إن هذه المحاولات المبكرة للبوح بالشقاء تأخذ عادة صورة شكاوى ترمى الى تغيير الشخص الآخر أو تحسين العلاقة تحسيناً يفى برغبات المبتدىء بالقطيعة. قد يشكو الزوج أو الزوجة، مثلاً، كيفية قضاء الطرف الآخر أوقات فراغه. كأن يسأل أحدهما أو إحداهما عن سر ولع الطرف الآخر بالتلفزيون وعدم إقفاله والالتفات الى شىء آخر. والحقيقة هى أن التليفزيون ليس عادة علة المشكلة . فقد يكون توجيه أسئلة من هذا القبيل من قبل البادىء بالخصومة إنما يعكس رغبته فى استقصاء مدى التزام الطرف الآخر وسلامة العلاقة مع شخص لا يتقن سوى الالتصاق بشاشة التلفزيون.

إن مثل هذه الشكوى لا تستطيع أن تدخل فى روع الطرف الآخر أن طبيعة العلاقة بينهما هى المشكلة الحقيقية. وفى هذه المرحلة قد لا يكون الشخص البادىء بالقطيعة قادراً على البوح بسبب شقائه أو شقائها. وقد يعمد الطرف الآخر فى محاولة منه لأن يبدو متعاوناً ، قد يعمد الى إقفال التلفزيون إرضاء لشريكه المتذمر. وهكذا فإنه يزيل العرض ولكنه لا يحل المشكلة.

وبدلاً من التذمر والشكوى قد يلجأ البادئون الى سلاح التجهم والغضب والتقليل من التودد للدلالة على امتعاضهم. وفيما جرت عادتهم دوماً على تذكرهم شراء هدية بمناسبة عيد ميلاد الطرف الآخر، نجدهم فى مثل هذه الحالة

يتباعون من الهدايا فى هذه المناسبة ما هو غير لائق ودال على عدم مراعاة مشاعر الآخرين. والأحداث اليومية التى يجرى تبادلها عادة على مائدة الغداء أو العشاء، تقصر أوقات سردها يوماً بعد يوم وتصبح مختصرة فإذا أخفقت هذه البوادر فى نقل رسالة البادىء الى الجهة الأخرى فإنه قد يتحول الى اهتمامات خارج نطاق العلاقة بينهما ـ الى إحدى الهوايات أو الأبناء والبنات أو الى الأصدقاء. إن هذه الاهتمامات الخارجية، فى حال وجود علائق صحية سليمة بين الزوجين، يمكنها أن تزيد من البهجة المثيرة والإحساس بسلامة الموقف لأن الزوجين يشتركان فيها بوسائل تزيد من متانة الروابط بينهما. أما إذا كانت العلاقة بينهما قد اعتورها الوهن والاضمحلال وصارت مترديه، فإن أعمالاً كهذه تقصى عامل المشاركة وتؤدى الى توسيع هوة الخلاف بين الزوجين.

* روابط خارجية :

وعندما يتحول الشخص البادىء عن العلاقة الزوجية وينشد السلوى عند الآخرين، فإنه يختار غالباً من الناس من يعتقد بأنه يتعاطف مع شكاواه، كأن يختار لذلك قريباً أو صديقاً حميماً أو زميلاً فى العمل أو معالجاً أو حبيباً. وعن طريق إشراك الآخرين بتعاسته، فإن البادىء إنما يوجد فى الحقيقة روابط مع هؤلاء ويأخذ (بدون قصد) فى إعداد نفسه لحياة خالية من الشريك.

وكلما قويت هذه الروابط وازدادت أهميتها فإن فكرة الانصراف تقوى كذلك. وكثيراً وما تخير البادىء بالخصومة، مستسراً يراعى أن يكون هو الآخر قد خبر الانفصال أو هو فى سبيل ذلك ـ أى أن يكون شخصاً قادراً على تقديم المعلومات المتعلقة بالموضوع وذكر خباياه. وأثناء جمع البادئين، للمعلومات والأفكار التى يريدونها، نراهم قد أخذوا بتطبيق ما تلقنوه على أوضاعهم الخاصة كأن يأخذوا فى حساب نفقات قطع العلاقة وفوائدها: هل سيلجأ الطرف الآخر الى العنف، وكيف سيكون رد فعل الأصدقاء إذا وقع الطلاق، وهل سيعانى الأبناء والبنات من جراء ذلك، وكيف سأواجه الإحساس بالوحدة بعد ذلك؟

*** «إننى تعيس»... وكفى :**

وحتى مع وصول الخصومة بين الزوجين الى هذه المرحلة المتقدمة، نجد أن البادئين بالخصومة الراغبين فى الانفصال، يحاولون أن يوحوا بسر تعاستهم بصورة غير مباشرة. فقد يقللون من فترات وجودهم مع الطرف الآخر. وقد يتذمرون من آيات ما يعدونه تقصيراً ولو كان من الأمور الشائعة التى لا يسلم منها أحد من الناس. وقد ينخرط بعضهم فى علاقة جنسية آثمة. وفى هذا كله يحجبون عن الطرف الآخر أية بادرة يمكن أن تصل اليه. وهكذا يوحى تصرفهم بالقول «إننى تعيس» وكفى. ولا يوحى بقول «إننى تعيس، ولى مع غيرك علاقة».

إن البادئين يميلون الى تجنب المواجهة المباشرة لأسباب شتى. فقد يكونون غير واثقين بقدرتهم على فسخ العلاقة. وكثيرون منهم يحجمون عن المواجهة لأنهم لا يطيقون سماع صوت الطرف الآخر. وكثيرون يسوءهم إلحاق الأذى بمشاعر الطرف الآخر. وبعضهم يخفون تعاستهم لحماية أنفسهم من النقاش وربما من الرد على الشىء بمثله. وآخرون يريدون فعلاً قطع العلاقة مع الطرف الآخر ولكنهم لا يريدون أن يخسروا الشريك تماماً.

إذا ما تبين جلياً أن العلاقة بين الشريكين لا يمكن إنقاذها، تزايدت قوة الشارات المؤذنة بذلك. ومع تزايد أهمية المشاغل الخارجية يقل الوقت الذى يبذله الشريكان لإعادة العلاقة بينهما الى سابق عهدها. وهما يعربان عن كراهيتهما لإقناع الطرف الآخر بأن العلاقة بينهما غير مجدية بدلاً من سعيهما لتبديل الأمور أو تحسينها.

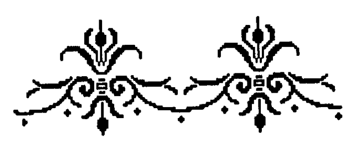
ولكن حتى هذه الشارات المقوّاة تخفق فى إثارة الانتباه لأنها تكون مدفونة فى أنشطة الروتين اليومى. فالتعبير عن المشاعر مثلاً قد يحمل على كونه إشارة إلى وجود مشكلة عميقة الجذور ، فى أول الأمر، ولكن مع تقدم الأيام فقد لا يفسر بث تلك الشارات إلا بأنه اضطراب عارض. أو ان تلك الشارات نفسها قد تصبح عادية مألوفة. فالنقاش أو الانشغال بالعمل فى المكتب أو حتى التهديد بقطع

العلاقة، كل هذه الأمور تفقد زخمها بالتكرار.

وحتى الشارات القوية المتكررة المنبئة عن التعاسة قد لا تكون كثيرة الانسجام مع مفهوم الطرف الآخر حول العلاقـة، بحيث إن ذلك الطرف ينكرها ولا يفهمها، أو انه يعيد ترجمتها بدلاً من أن يجابهها.

وقد يقول الشركاء الآخرون مثلاً: «إن كل العلائق عرضة للمشاكل. ولو كانت علاقتنا خالية من المشـاكل لما كانت علاقة طبيعية». أو قـد يقول بعضهم عند إعادة ترجمتـه لتلك الشارات: «بعد انقضـاء ردح من الزمن فإن كل الأزواج والزوجات يفـقدون اهتـمامـهم بأمور الجنس». وكـأنهم يقـولون فى الواقع انه لا ضيـر من انصراف الشخص الآخر عن الجنس مادام ذلك أمـراً مألوفاً. أو ان أولئك الشركاء قد يتـرجمـون الشارات السلبـية الدالة على تردّى العـلاقات الزوجيـة بأنها مـجرد نزوات عابرة. وعندما ينحط ضغط العامـل عن الكاهل، وعند عبور أزمة منتصف العمر وعندما يكـون الأبناء والبنات جميعاً فى مدارسهم وعنـدما يقال للزوجين إن العلاقة بينهما زاهية ـ فعندها تعود البهجة الى علاقتهما.

ومن المفارقات أنه بالرغم من انفـصال الزوجين عاطفياً فى نواح عـدة ، فإنهما قد يظلان متـمسكين بالزواج تمسكاً قوياً ويقـومان بكبت الوضع الحقيـقى للعلاقة الزوجـية. وفى مـثل هذه الحالة وعنـدما تصبـح شارات الخـلاف قوية بحـيث إن الطرف الآخر يشـرع فى البوح للبادىء بحـقيقـة الوضع، فان أسئلتـه حول ذلك الموضوع تغدو لطيفة رقيـقة. إذ ما من أحد يرغب فى أن يكتشف أن نمطاً ثميناً من أنماط الحياة قد انتهى. وهكذا نجد أن الطرف الآخر أيضـاً يتحاشى المواجهة المباشرة ويتلبث فى أمر العـلاقة الزوجية ويـحاول أن يطيل عهدها مـدة أخرى من الزمن. ولكن هذا الطرف الآخر اذ يساعد البادىء على التستر حول أمر العلاقة، انما يضيع الفرصة لفعل شىء ما لحل المشكلة.





لماذا لا يكلمنى؟

رجاء المرأة أن تتزوج الرجل القوي وأكره ما تكرهه نفسها صمته، ووجومه ففيهما قهر لها، بل هما مُثْلة ونُكْلة

وإليك نصيحة رائعة تجعله يفتح فاه المطبق، فيتكلم، ويكون الانفراد لك.. وله.

* «رُبَّ ذكرى تنفع وتفيد وتنبِّه!» قالت بيث «أتذكّر أمى وهى تنظر من النافذة إلى أبى وهو يبتعد بسيارته. أتذكّر وجهها المرتسمة على قسماته علامات الألم. وأنا مقتّ أبى كلما غادر البيت فى ساعة غضب. كنت أتضرع إليه، وأخفّف عن أبى بكلمات عذبة. ولكن كلامى معه لم يؤثر فيه البوح والعجيب أنه بعد ساعات معدودة كان يؤوب راجعًا وعلى ثغره ابتسامة رضا، وكأن شيئًا لم يحدث وأمى.. أمى كلّما بكت، بكت فى خلوة لا تبكى أمامنا.. رغم ألمها وعذابها ومحنتها وصمتت بيث فينة ثم استتلت:

«فى صباح هذا اليوم راقبت زوجى وهو يبتعد بسيارته. قضى أسابيع يجوس خلال البيت دون أن ينهى إلىّ بما يكدره. وكان يأسى شديدًا قاهرًا حاولت أن أقول الكلام الجميل، ولكنه أظهر قلّة الاكتراث وفى كلّ مرّة أشاح بوجهه وغادر الغرفة. وجن جنونى، فالموقف الشاذ تكرر، مما جعلنى أفكر بتحطيم كل ما فى البيت من فراش ورياش، لولا وجود الصغار.. فوجودهم جعلنى أكبت مشاعرى، فلا أتصرف برعونة. ثم عادتنى ذكرى أمى. إنى صورة طبق الأصل لها.. والآن أنا التى أمشى على رؤوس أصابعى، منتظرة الوقت الملائم لإثارة الموضوع. أقضى الساعات أفكّر بأسباب اضطرابه. أنا الآن أنظر عبر النافذة... وقد عيل صبرى، وفقدت السيطرة على نفسى».

نساء كبيث يغدو الصمت أشبه بحائط خفى لا يُرى يفصلهن عن الأزواج الذين يحببن. ومهما ارتفعت الشكوى، ومهما بذلت المرأة من جهود لتكون الزوجة المثالية، فلن يتسنى لها اختراق سجف صمته. ويعشن تاعسات يائسات، يظنن أن

الزواج فشل بسببهن.

بيد أن جون زوج بـيث يشعر بأنه فاشل أيضـاً. وقد اعترف أن مغـادرته البيت دون أن يفوه بكلمة كان سببه انشغـاله بالتفكير فى سوء التفاهم الحاصل بينه وبين رئيسـه. فقد تحـسّب لشرّ قـريب.. خشى أن يكون الخصـام عقبـة تعوق تقـدمه واحتلاله المـركز الذى طالما صبا إليـه طوال أربعة عشر عـاماً. غضبه علـى نفسه، وخوفه من سوء العـاقبة تضاعف بتفكيره فى شؤونه المالية وتقـدمه فى السن، فهو قد ناهز الأربعين.

فجأة طفق بطرح الأسـئلة على نفسه ـ عن حيـاته، أسئلة لم تَدُرْ فى خلده من قبل... أسـئلة لم يكن مهيئًا للإجابة عليـها. وتجاوبت بيث مع همـومه فكررت سؤاله عمّا يزعجه وييئسه.

اعترف باضطـرابه، اعترف بفشله كـرجل. شعوره السيئ لما شـجر من خلاف، ضاعف منه شعوره بالنقـمة على نفسه لأنها أفسحت المجـال لهذا التخبط وتمنى لو عالج الأمور بحكمـة، تمنى لو كان أوسع صدراً وأكثر صبـراً وحلمًا. تمنى الكثير، ولكن الإفضـاء إلى زوجته بكل ما خامـر صدره تمنّع عنه مخافـة أن يقلّ قدره فى نظرها ورأيها.. وقد قال معلقاً: «بيث تعـتبرنى دعامة لها، فكيف يطاوعنى قلبى على تحويل الوضع واعتبارها دعامة وسندًا لى؟».

والرجل يتعامل مع عواطفه وانفعـالاته بصورة مختلفة عن تعامل المرأة مع هذه العواطـف والانفعالات. مـشاعـره تتسـرب ببطء، فيـقلّ كلامه ويؤثر الـصمت. ويصعب على المرأة أن تفهمه وهو فى هذه الحال.. يصـعب عليها أن تعرف نزعته التى تضطره إلى كبت مشاعره، ريثما يجد للأزمة حلاً وللمشكلة مخرجًا.

شىء فى قرارته يؤكد له صحة مسلكـه.. شىء يؤكد له ضرورة تجنيب غيره ما يخالجه من آلام، أو ما يثقل كاهله من أعباء وأثقال.

وليكن رجلاً يحب أن ينطوى .. هذا رأيه، ولا سبيل إلى تغييره. وإن لحظت الزوجة ما يعانيه زوجـها وحاولت إسداء العون له تقلّ ثقته بنفسه كـرجل. فصمته ملاذه، الذى فـيه ينعزل للتـغلب على الضنك، ولكنه يخفف، فـلا هو قادر على

الخـروج من المأزق، ولا هو قادر على اسـتجـداء العـون. . وينتهى به الأمـر إلى الانفجار، أو إلـى الازورار. بكلام آخر، هو يفصم صلاته بالذين يحـبونه وتزداد حالته ترديًا.

ويصبّ الرجل أحـيانًا جام نقـمتـه على زوجته. أو يُسـرّ قلبيًا إن رأى زوجـته يمزقها القهر لسكوته وصمته، لأنه يجد فى عذابها تعزية له.

والمرأة تخطئ فتـعتبـر نفسها شـريكة لزوجها وحـاملة لذنوبه. ومفتـرية عليه -. شعور عجيب . . فكيف تشعـر بالذنب، وهى البريئة التى لم يصدر عنها ما يؤجّج النار؟ ولكنها بعد وقت يطول أو يقصر تمتعض نفسها لاتخاذها هذا الموقف العارى من التـفكير العاقـل؟ تمتعض نفـسها لأنهـا ذرفت الدموع. . ويخـاف هو، ولكنه يتماسك ويتجلد حتى لا تنُم أعماله وتصرفاته عن خوف استحوذ عليه.

* ماذا تفعل الزوجة ؟

متى جـهلت ما انتـاب زوجهـا تحاول ملء فـراغات المربعات، تتـكهن وتحدس وترجم بالغيب، ولكن عبثًا تفعل. تغريه ليفـتح مغاليق صدره بجميع الوسائل التى تملكها، فلا يجديها ذلك نفعًا، فتغـضب غضبًا شديدًا، وتتألم، وتثور. ولكنها إن أرخت العنان لأشجانها ازداد الموقف تعسرًا . . فهى فى محاولتها، تكون أشبه بمن تنكر على زوجها حقه فى استضافة الشعور الذى يخالجه.

ولتعلم المرأة أن انفتاح الرجل استجابة لإلحاح زوجته يزيده إصرارًا فى المستقبل على كتم كل أمر رغم الإلحاح والإلحاف.

وقد تتخذ الزوجة موقف الابنة الصغيرة، أو موقف الأم الكبيرة.

الأم ترغب فى حلّ مشـاكله، وهذا يكون له مردود عكسى لأن غـروره كرجل يستـيقظ من سبـاته، ليبرز بـشراسة. . إنه يعـرف أنّ تجاهل زوجتـه جور وظلم، ولكنه يعرف أيضًا أنه أخف وقعًا من التعرض للأسئلة المتكررة.

والابنة الصغيرة تبكى، ولا تعالج موضوع المشكلة، لأنـها بعد صغيرة قاصرة لا تفهم نفسية الكبار. . وهو يعتبر الابنة طفلة ضعيفة لا قدرة لها على مساعدته.

أنت كـأم له أو كابنة تحـاولين فك عـقـدة لسانه، ولكنك فـى الغالب تحـاولين إرغامه على الكلام. وكل هذا يظهرك بمظهر من يشعر بأنه السبب.

إنه الوحيد القادر على التعبير. ومتى تجـاهلت صمته أرغمته إن عاجلاً أو آجلاً على الكلام، أجل أنت بأناتك وصبرك ترغمـينه فى النهاية على الكلام. واقتناعك بمسؤوليته عن نفسه قد تظهرين اهتمامك بخيره بطريق بديلة.

وحتى الآن لم نجد الجواب الصحيح لهذا الصمت. وتتألم الزوجة متى استعمل صمته ليصمتها. هو يشعـر بحقه فى الدفاع عن نفسه بالصمت. قال أحدهم : «لا أستعـين بالصمت كسلاح أهـاجمها به، مقـدار ما أستعـمله لأدافع به عن نفسى. والحل الوحيـد للاثنين هو التفكير بالعـلاقة المقدسة، والعـمل - فى صمت - على إقصاء الغيمة التى خيّمت على علاقتهما من جراء ركونه إلى الصمت.

* كيف تحلين مشكلة صمته ؟

فخططى إذن لأمور لا تحتاج إلى حوار.

عبّرى عن رغبتك فى بحث أسباب صمته.

اختلى به فى مكان غير البيت، وتكلمى بلطف وهدوء. . فـقد يستجيب. . قد يلين.

سليه إن كان فى طاقتك تسهيل الأمور إبقاء على الوحدة ودرءًا لتفرق الشمل.

كونى صبورة، فصمته وردود فعلك أصـبحت عادات يحتاج استبدالها إلى وقت طويل.

لا تسدّى الفجوة. لا تتكلمى نيابة عنه، لأنك إن تطوعت وتكلمت يشعر بأنك تسلبينه حقه فى التفتيش عن مخرج من مآزق.

لا تلومى نفسك أو تلومـيه. فاللوم نزوة تعـجل فى الظهور، وكأنهـا فى حلبة سباق. إنه القاتل الأول للمواصلة.

لا تقاطعـيه أو تنتـقديه فالإصـغاء الجيـد يخلِق الانفتاح والـثقة، وهو مـا ينقذ العلاقة فى أغلب الأحيان.

اطلبى إليه أن يحدثك عن طفولته وحداثته وشـبابه. . . سليه عما كان يشعر به فى تلك الأيام التى تصرمت.

اكتبى له . . سليه أن يجـيبك كتابة. . فكثيراً ما نكـتب ما لا نستطيع قوله. . . فـاكتـبى له، وسـتكون النتـيـجة حـسنة، وسـيكتب لك. . تنشـران بذلك رايات تفاهمكما.

بهذه التصرفات لا بدّ للأمور أن تتحسن.

بهذه التصـرفات تصونين نفسك عمّا يدنسـها، وفى الوقت نفسه تصيـبين حبّه، قلبه، ولن تلبثى أن تجدى معه بشراً ، وتهللاً، وبشاشة، وطلاقة، ودماثة. .

وهذا ما تتوقين إليه.

ولن يستـفحل الأمر. . . لن تتقـد الحجرة . . لن تشـتر شوكة القطيـعة. . لن يتفاقم الخصام، إن كان ثمة خصام.

وسترين فيه رجلاً لا يستبد برأيه. . أنت تعطين، وهو لم يمتنع عن العطاء.

هذا هو الرأى السـديد، هذا هو التـوفيق، هذا هو نفـاذ البـصيـرة. . فاتبـعى النصائح لترى النتائج المتوخاة.

وسيركن إليك، سيخلد إلى الدَّعة. . ويرى فيك مهداً لرخاء البال والقلب.

متى تزوج رجل وامـرأة ، يتزوجان عن تفـاهم ، أهمه عدم التـقصيـر فى البرّ والإلطاف، والإيناس. . لقد ارتبطت حيـاتهما برباط لا ينفصم إلا متى عـمد أحد الزوجين إلى فـصمه. والزوجان الأريبـان لا يسمحـان لثوب الزواج أن يبلى. . . لا يسمحان له أن يتمزق ويصبح أطماراً.





* كيف تتعلمين من أحلام الحب ؟

دائمًا وفى كل ليلـة حلمت بركن أمـام المدفـأة ألوذ به أنا وزوجى الحـبـيب. . لنتساقى كؤوس الهوى وفاقًا. . لنتحـادث. . لنضحك. . لنشعر بالقرب الحميم. . لنضيف إلى الحب وجدًا. . لنغدو روحًا فى جسدين!

ثم أتنبه من حلمى الرائع فأرى الحقيقة المرة. . أرى الرتابة المضجرة. . وأتساءل بغصّة: أين الرجل الذى يشاركنى حلمى؟. .

وأصبّر نفسى. . أقول لها: رويدك، لن يلبث الحلم أن يتحقق. . تمسكى به. . ولكن أى شىء يحول الحلم إلى واقع؟

حلم العـثور على الزوج المناسب، أعظم حلم نـنسج خيوطـه لأنفسنا. عـلاقة تفيض حبًا، وتنشىء بيتًا، نشعر فيـه بالأمن والسعادة، ويكون مصدرًا دائمًا لمباهج الحياة، وملذاتها.

الناس تخلق «أحـلام الحيـاة» من الآمال، والأمـانى، والأهداف التى يعيّنونـها لمستقبلهم. بالإضافة إلى حلم العثـور على زوج حبيب، تشتمل أحلام الحياة على النجاح فى مـضمار العـمل، وضمان الأمان المالـى، وإنشاء الأسرة المحبّة، وغـير ذلك. قد تكون أحلاماً متواضعة مكتفية قانعة، وقد تكون أحلاماً محلقة لا حدود لها. قـد تكون غامـضة. أو مجلوة صـافيـة كالبلور. قـد تكون مفعـمة بالعـاطفة المحرقة، أو رغبة هادئة لا ينبعث منها الأجيج.

بعض نواحى حلم الحيـاة واعية ومغرية، بيـنما غيرها تكون محـجوبة، ولكن ذات قوّة هادية مرشدة. بعض أحلام الحـياة متجذرة من الحقيقـة، غيرها تخيلات ساحرة. والقاسم المشترك بين أحلام الحياة هو قدرتها على جرّنا إلى المستقبل.

* أحلام الحب :

جوهر معظم أحلام الحياة هو حلم علاقة حب لا تنحل عروتها. . شمالها أجود من يمينها، وصمتها أفصح من كلامها . وحلم حياة الحب المشتهاة يجرئنا على التماسه، والسعى إلى تحقيقه.

ولكى يشعر الإنسان بجذبه المغنطيسى، يجب أن يعرف أسباب ورود هذا الحلم. وإلا فقد يُلغم الحب حين تطفو الأسباب الحقيقية ومعها صراع غير متوقع. والأسباب عدّة، تتراوح بين الرغبة فى الانتقال من المنزل، واللهفة إلى من يؤنس لياليك الطويلة، والتوق إلى طفل تلدينه قبل أن تتقدمى فى السن، والطموح إلى حيازة ما يضمن مستقبلك من المال.

ومن المهم أن نرى عناصر فسيفساء حلمنا، التى تشتمل على تصاوير معجونة معاً ومستقاة من علاقات سابقة، وكذلك على الروايات والأفلام. ورؤية الصورة وعناصرها أشبه مايكون بوضع قطع الأحجية فى أمكنتها الصحيحة، ومع كل جواب تجدينه، تزداد الصورة وضوحاً. وقد لا يكون لاكتمال الصورة معنى، وقد يكون له معنى، ولكنها الصورة التى تركّز تأثيراً قوياً على قرارنا وسعينا طوال حياتنا.

ومتى عرفت ما تريدين، يكون حلم الحب أشبه بمنارة. وخلال أوقات يغلب فيها اليأس والخيبة مع شخص ظننت أنه الشريك المطلوب ، أى الشريك المثالى، وأخلف الواقع ظنك، أو متى لم تبصر عيناك ذلك الشخص المنشود، فإن الحلم بالشريك المثالى يذكرك بما هو هام، يستحق المتابعة والملاحقة.

ولا عجب إن شرعنا فى تخطيط أحلام علاقتنا على ضوء ما نراه من علاقة أبوينا. . مثلاً، امرأة تتذكر والديها جالسين على السرير يقرآن، فتسترق الخطو إلى سريرها وتصغى إلى حديثهما عن أحداث الدنيا، أو إلى هذرمتهما. ذكرى الألفة هذه غدت قطعة هامة فى فسيفساء حلمها.

امرأة ثانية تتذكر يوم أحد حينما كانت فى الحادية عشرة من عمرها، فتقول: «ذهبت إلى مزرعة صديقتى، وتناولت طعام الفطور مع ذويها. أكلنا الفطائر،

واللحم والبيض، وشربنا عصير البرتقال. ثم جلسنا فى الشرفة بضع ساعات، وشرعنا نتكلم ونرمى العيدان إلى الكلب. ولم تغب الذكرى عنى ، تذكّرت الفطور مليون مرّة!» كان جوّ الاتفاق والمحبة الذى اختبرته فى بيت صديقتها صورة لحلمها عن حياة عائلية مثالية.

ومتى غدونا كباراً نفكر ونعدِّل فى أحلامنا ، ونبدأ التخطيط المحقق لها. . ويغدو تخطيطنا أحياناً عملياً وتغدو أحلامنا واعية.

وقد نقرر أن شريكنا لا ينسجم مع حلمنا ، فننهى العلاقة،رغم أن فَصْم العلاقة يورث الألم ويبطىء من تقدمنا، إلا أننا نستطيع استئناف الحركة، وإدخال أفضل لحظات العلاقة فى فسيفساء حلمنا.

* إذا لم تَصْدُق الأحلام :

الرفض أو التجاهل، مغلوب على أمره أو منبوذ. أولئك سيئو الحظ فى الحياة أو الحب يظنّون أن الحالم ساذج. يعتبرون الحياة جامدة لا تتغير، فيستسلمون، أو ينقمون متى خذلتهم أحلامهم ورغائبهم.

غيرهم يشكّون فى وجود الشريك المناسب. يميلون إلى الظن بأن أى إنسان يستطيع العيش مع أى إنسان آخر «إن سعوا إلى ذلك».

وتجد الأكثرية نفسها بين بين. . يرهبون فكرة الكفاح مع الشريك غير الملائم لتحسين وضعية سيئة. ومع ذلك لا يرغبون فى التخلّى عن أمل العثور على حبيب العمر. يلحدون توقهم إلى شريك العمر فى أعمق مدفن إلى أن يظهر شريك العمر، فيذوب الجليد، وتتحرك العاطفة.

وكثيراً ما، فى لحظات مظلمة أو فى فينات النضال، يسأل الناس أنفسهم، ويستجوبونها، ويخرجون بأجوبة جديدة. ومثلما البذرة تسعى إلى أشعة الشمس من ظلمات التربة، تتخذ الأحلام لها شكلاً من الخيبة قبل أن تنفجر مخترقة الظلام إلى النور.

* الأحلام ضد أحكام العقل فى الحب :

اعتصم بحبال الشرف، فلا أرتمى أو أستسلم. مبدئى لن أغيره وموقفى ثابت لا ألين فيه.

* زوجى الأول كان مفـرطاً فى الانتقاد والعذل، حـتى أنى قرّرت أن لا أتزوج رجلاً من نوعه فى خلقه وطبعه. إنى أطمـح ببصرى إلى زوج منفتح الذهن يحترم طريقتى فى الحياة، وأسلوبى فى التعامل مع متطلبات الحياة.

من عادة الناس أن تصنّف أنفسـها ، وتقرّر ما ترغب فيـه وما ترغب عنه، حتى قبل التقاء الزوج المنشود؛ لكل منا أحكام عقلية على الحب. وتكون هذه الأحكام أحيـاناً معواناً لنا على التـقاء شريك الحيـاة المناسب. وأحياناً أخـرى تكون العائق والمعرقل. وأحكام العقل المساعدة يمكن أن تتـضمنها هذه الكلمات: «أنا مشوقّة، يحبنى الناس متى عرفونى». بينما تتـضمن أحكام العقل المعيقة هذه الكلمات: «لا أملك مـا يمكّننى من الارتباط بعـلاقة طويلة الأجل.. بزواج دائم! أنـا لا أعرف كيف أنفتح على الناس».

إن النزاع بين حلم الحـياة وأحكام العـقل يمثل التـوافق أو التشـرد فى المزاج. إنهما النزعتان المتباعدتان اللتان يختارهما الإنسان بعد الارتباط بالعلاقة.

فعندمـا تكون أحكام العقل إيجابية، وواقـعية، تقود جـهودنا فى اتجاه مـثمر. ولكن عندما تكون منحـرفة، أو سلبية، فإنهـا تعمى عيوننا عن الحقـائق الإيجابية الأخرى. وفى الوسع تعديل مـعظم أحكام العقل، أو استبدالها، أو السـموّ بها. على أن تعلمى أولاً كيف تنشأ وتتكون.

ولا تتعـين المواقف من الحب والحيـاة فى سن السابعـة، أو الرابعة عـشرة، أو الإحدى والعـشرين. فكثـيراً ما يحـمل الناس معـهم عادات، وأطيـاف وذكريات علاقات سابقة. وقد يتـوقعون الاحتفال بالأعياد، ومخاصـمة الغير أو التعلق بحب زوج أو زوجة مثلما فعلوا مع الزوج الأول.

والمرأة التى خدعهـا زوجها قد تبدّل من أحكام العقل، وكـأنها تقول: «لن أثق برجل بعد الآن!». إنه ردّ فعل مـفهوم فى حينه، ولكنه القرار المقيـد للحياة طول

العمر. فإذا كانت العلاقة السابقة مخيِّبة للآمال، فاستعينى بها للتعرف على أحكام العقل التى ترتبطيـن بها فذلك يتيح لك تغـيير مـا عاد عليك بالخيبـة، أو ما يقف حجر عثرة فى طريقك.

ومعرفة أحكام العـقل قد تكون أشدّ صعوبة مما يتراءى. وقـد بينت البحوث أن الناس تفتش عن الدليل المعـزِّز لمعتقـداتها، ولا تكاد تتذكر إلا الأحـداث الملائمة. وكذلك يميـل الإنسان إلى أن يكون إنتقائيـاً، فيحذف من المعلومـات المتضاربة أو المعارضـة لما يؤمن به، أو يرفضهـا برمتهـا. كما أن لمعظم الناس فكرة خـاصة فى الغير، فلا يعـترفون إلا بالذى تتفق صفاتهم مع توقـعاتهم. بكلام آخر، الناس لا تحب أن ترى إلا ما تعتقد بصحته وصدقه.

البحث التالى تصنيف لأحكام العقل المصـرة على العزوبة المانعة إياهم من التقاء حبيب العمر:

الحلم: أطلب السعادة سواء كنت عزباء أو متزوجة.

حكم العقل: ولكنى لا أسعد إلا إذا كنت متزوجة.

ويسمى عـالم نفسانى حكم العقل هذا «عـامل فلك نوح». إنه الإدراك الحسى بأن الدنيا كـلّها مسكونة بالمتـزوجين وأنك يجب أن تكونى واحـدة من ثنائى لكى تستحقى الاشتراك الجماعى فى حياة الدنيا.

نحن نميل إلى تصنيف العزّاب من الناس وفقاً لأحكام عقولنا. مثلاً، إن التقيت رجلاً فى آخر العقد الرابع من عمره، وسيم، ناجح، ولكنه لم يتزوج. فأى انطباع يخلفه فيك؟ هل تقولين: «ماذا دهـاه ؟ لماذا لم يتزوج ؟ » أو هل تتساءلين إن كان خجله السبب، أو تعلّقه بأمه، أو عداؤه للنساء؟ أو طبيعته الخلاعية؟

كان لديـبى عمّة لم تتزوج قـط. وفى اجتمـاع لشمل العـائلة قالت: «مـسكينة عمتى جين ـ لقد فاتها القطار، ويسـرنى أنها معوّلة علينا ، وإلا لما عثرت على من يُعنى بها». وأجابتها إبنة عم: «العمة جين لم تترك فى المؤخرة ـ كان لها محب فى السـر، ولما غـادرها، لم تشف من الصـدمة». وعـقّبت ابنة عم ثانيـة: «السـبب الحقيـقى لعزوبتها هو ارتباطهـا الوثيق بأبيها!». وقالت ثالثة: «لا.. أظنهـا محيطة

بأهمية الاختيار!». لكل واحدة كانت نظرية مختلفة، مؤسسة على حكم عقلها.

إن الأغلبية من اللواتى لم يتزوجن يقلن إنهن يرغبن فى الزواج. ولكن البعض يسألن أنفسهن «بأى ثمن؟» فالتغيير لهن من حال إلى حال.. صعود الهضبة وهبوطها صعب.. الارتباط بعلاقة قد تفشل وتكون أشد ضرراً من العزوبة.

فإن كنت عزباء وتشعرين دائماً بالريبة وقلّة الثقة حين تلتقى أحداً، فكّرى بمشاعرك، هل تتوقين إلى علاقة؟ وإذا عزّ عليك الانتقال من العزوبة إلى الزواج، فقد تجدين الحلّ الملائم متى لجأت إلى المشورة مع خبير نفسانى، فهو يصنّف أحلامك بمعزل عن أحكام عقلك وقد تغيرين ما بنفسك، وتسعين إلى العثور على شريك العمر.

الحلم: أريد الأفضل.

حكم العقل: ولكن الأفضل محجوز مستولى عليه.

عندما تكون النيّة معقودة على الشريك المبتغى، قلّة من الناس تعتقد أنها اختارت الأفضل. فالمشكلة ما يتراءى أحياناً أن «اللقطات» حظى بها الغير، حتى لم يعد لها وجود!

وهناك أشخاص ليسوا «لقطات» مغرية، فهم صعبو المراس، يشق على الناس إرضاؤهم، ويشق أكثر العيش معهم. فالعيش بمعزل يجعل أحكام العقل نافذة لا تقبل التعديل أو التغيير، وتكون العقدة فى تزمتهم، وتصلبهم، وتعنتهم، فلا يستطيع أحد أن يعيش معهم، أو أن يحقّق توقعاتهم.

ولكن، لا تنسى أن هناك إمكانات جيدة، وفرصاً تسنح فى كل حين. البعض يكون مستعداً أخيراً إلى التروى وإمعان النظر، والموافقة ربما على العلاقة الدائمة، إلا أنهم يطيلون التفتيش ومحاسبة الذات. وهذا هو النزاع القائم بين الحلم وحكم العقل.

وأول شرط للانفكاك من العقدة هو التخلص من حكم العقل السلبى.

وأن تثبتى وجودك الى جانبه، ولا تكونى تلك المرأة المستغلة التى يصور لها خيالها أنها ولية أمر زوجها وأنه لا شىء لولا وجودها!

* التغلب على المشاكل :

* هل حاولت بذكائك أن تتغلبى على جميع المشاكل الزوجية التى تعترض طريقكما؟

- إن كل زوجين يحتاجان الى الحلم والتشدد. وقد قالت زوجة سعيدة: إنى أشتهى قبل أن أموت أن يحدث مرة أن أنهض من النوم مشكسة سيئة الخلق لولا أن هذا يكون نكبة، فإن مجدى يظل غافياً حتى يحتسى الفنجان الثانى من القهوة، ولا يحول دون المشاحنات التى تفسد اليوم كله سوى الصمت التام من جانبى.

* هواية «الشجار والنقار» :

* هل أنت مولعة بالشجار والنقار فلا يكاد زوجك يصل تعباً الى المنزل حتى تقابليه باللوم والسخط وتثورى فى وجهه؟

- إن السعادة الزوجية تقوم على الأمور المهمة، لكن الأمر من الدقة بحيث يسهل أن تقلبه التوافه . فاذا حصرت همك فى التوافه فإن من السهل أن تنقلبى سليطة اللسان، وعلى كل حال فإن الحلم وحسن الخلق وسيلة فعالة للتغلب على المتاعب الصغيرة واتقاء الخلافات.

* احترام الذات أمام الغير :

* هل ساعدت زوجك على الاحتفاظ باحترامه لذاته أمام الغير، وتوخيت اللباقة والعطف فى نقدك له فيما بينك وبينه؟

- إن الزوجة تحتاج الى اللباقة واتزان الأعصاب ليتسنى لزوجها أن يبدو على السجية أمام الناس . انتقديه فى الخلوة، ولا تحاولى أبداً أن تطرحى عليه الأسئلة الملحة على مرأى من الناس.

* اللمسة الخفيفة :

* هل فقدت القدرة على اللمسة الخفيفة؟

- كثيراً ما يشق عليك أن تتغلبى على ما يضيق به صدرك، وأن تتناولى الأمور

برفق، ولا شك فى أن الثمـرة تستحق العناء، ولكن قليـلاً من المعالجة أو معـالجة الأمر بالفكاهة يساعد على تنقية الجو العائلى من الشوائب.

* كلمة الى الزوج :

إن الزوج المثالى يعتـبر نفسه تلميـذاً الى الأبد فى مدرسة الحب، وهو يعلم أن المرأة مخلوقة معقـدة الشخصية، يتوقف مزاجها ومطالبهـا وميولها وهناؤها الى حد بعيد على صحتها الجسمانية والنفسية، ولذلك يجب عليك عزيزى الزوج أن تحاول فهم زوجتك وأن تعاملها معـاملة الصديق لأصدقائه. وجدير بك أن تعلم أن المرأة كثيـراً ما تسعدها كلمـة واحدة، فلا يجب أن تكون بخيلاً علـيها، لا بكلامك ولا بعاطفتك.

والزوج المثالى يحـرص دائماً على تصفيـة كل مشاكله المنزلية بينه وبـين زوجته مباشـرة دون اللجوء الى وساطة الأقرباء أو الأصـدقاء ، كما يقدر حق التـقدير ما تعانيه الزوجة فى إدارة شؤون المنزل، ويحاول دائماً أن يمد اليها يد المساعدة.

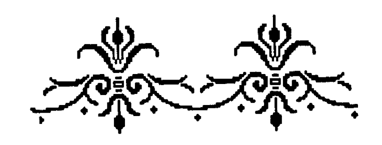
والزوج المثالى أيضـاً يعرف أن زوجته لن تعـيقه أبداً عن الانصراف الـى إشباع هواياته المحببـة اليه. على أن كثيراً من حـالات الزواج تفشل لأن الزوج يغرق فى هواياته حتى أذنيه ، أو لأن جزئيات خاصـة تسيطر عليه الى حد أنه لا يملك وقتاً يهبه لزوجته. والهوايات المحببة يجب أن يتـشارك فيها اثنان، أو أن تكون متشابهة بحيث يخصص كل منهما وقتاً لهوايات الآخر، حتى وإن لم ترق للشريك الآخر.

وإذا لم يحدث هذا فـقد يسبب خلافـات جوهرية، ولا يستـبعد أن يكون سبـباً للتفريق بينهما.

وعلى الرجل فـوق ذلك أن يوحى لزوجـته بأن عليـها مـسك زمام الأمـور فى المنزل ، إذ لابد أن يفهم أن البـيت بالنسبة الى المرأة كـالمكتب بالنسبة اليـه. كذلك عليه ألا ينسى الاتصال بـها هاتفياً عندما يحـدث معه شيء يعيقـه عن الحضور فى وقت الطعام، وأن يأخذ برأيهـا عندما يريد دعوة بعض أصدقائه الى وليـمة خاصة فى بيته.

والزوج المثالى يحلو له أن يقول لزوجته فى كل مناسبة انه يحبها، والزوجة لا تمل أبداً من سماع ذلك. وما دمت تخبرها وتريها بوسائل شتى أنك تحبها فعلاً، فإنه لا شيء غير ذلك يعنيها ، لا الديون، ولا المرض، ولا التعب، ولا آلام الوضع، ولا ثياب العام الماضى التى أصلحت لتلبس مرة أخرى، ولا ما يحدثه الزمن من الذبول! . إن الذنب الذى توصد دونه أبواب المغفرة هو أن يبلغ من ذهولك أن تحوجها الى سؤالك: هل تحبها؟ ثم تجيبها كالعادة بلا تفكير: طبعاً أحبك... أو أنك تعلمين أننى أحبك! وإذا ألفيت نفسك يوماً تقول لها ذلك ، فاعلم أنك قد زللت وأنك تفقد زوجتك شيئاً فشيئاً!

ومهما يكن من أمر فإن علاج معظم المشكلات التى تنشأ عن المعاشرة الزوجية هو أن لا يدع المعاشران أمراً يعرض لهما حتى يتراضيا فيه، وأن يكون كلاهما يحب لصاحبه ما يحب لنفسه. على أن هذا ليس تضحية يتكلفها أحدهما، فالتضحية كلمة ينبغى أن لا يكون لها مكان فى حياة الأزواج، لأنها تورث النفس حسرة وكمداً، وهى أيضاً عمل متكلف من جميع النواحى!





لا إكراه فى الحب

* لكِ أن ترفضى بعض ماَ يصرِّ زوجك علَيه :

هل منَ حق الزوجة أن ترفض «طلبات» زوجها، وهما فى السرير، اذا ما رأت أن هذه «الطلبات» تنافى ذوقها أو تجرح حياءها أو تؤذى جسدها؟

بالطبع، ولكن للرفض أسلوباً لبقاً يحسن بالزوجة أن تعرفه وتستعمله فى اللحظات الدقيقة إذا كانت راغبة فى الإبقاء على حسن العلاقة الحميمة مع زوجها.

عندما يخلو الزوجان فى مخدعهما تكون ساعة حقيقة حبهما قد دقت.

ومن سوء الحظ أن الكثير من المآسى ينبع من تلك الحقيقة. وليس مرد ذلك إلى أن الزوجين غير متحابين.

وليس مرده كذلك، فى تسع حالات من عشر، إلى أن جسديهما لم يخلق أحدهما للانسجام مع الآخر.

ومع ذلك فما أكثر النساء اللواتى يفكرن بعد التجربة أو التجارب الأولى: «إن أحدنا لم يخلق للآخر»

فمن أين تأتيهن هذه الفكرة؟ من الشعور اللاواعى بالنفور والقرف.

ذلك أن العديد من النساء الشابات اللواتى يعتقدن أنهن مدلهات بأزواجهن ينتابهن شعور قاس برفض بعض المداعبات، وينفرن من بعض «متطلبات» أزواجهن فإذا ما تساهلن معهم مرة بعد مرة كان ذلك على حساب أعصابهن.

ثم يأتى يوم يَثُرْنَ فيه ويُعلِنَّ «العصيان». وغالباً ما يرد الزوج على الثورة والعصيان بالهرب من السرير الزوجى والبحث عن «المتعة المفضلة» فى حضن غريب.

ولا يطول الأمر حتى تحل القطيعة محل الوئام فإن لم يكن الطلاق فالهجر أو حياة مزدوجة يعيشها الزوج وربما . . الزوجة أيضاً.

فهل من علاج لهذا الوضع الخطير؟
بالتأكيد.

ولا يذهبن بك الظن إلى أننا سوف نشير عليك بقبول «كل شئ» والإذعان الكامل لرغبات زوجك مهما تكن جامحة وغير طبيعية.

صحيح أنه ليس فى الحب منفر ولا فيه ما يصدم المحبين ولكن ما يحدث هو أن جسد المرأة يرفض، بالرغم عنها، بعض ما يبغيه زوجها منه، أو على الأقل، لا يجد فى ذلك أى متعة ولا يبدى حياله أى تجاوب.

*** ما العمل فى مثل هذه الحالة؟**

ثمة وسيلتان وأكاد أقول مرحلتان، للوصول إلى الحل المثالى. وما الحل المثالى سوى التجاوب الجسدى الكامل مع الرجل الذى تحبين.

المرحلة الأولى هى رفضك القاطع لكل ما لا يرضيك جنسياً.

وإذ لا يوجد فى الحب ما هو «جيد» ولا ما هو «ردئ» فإن فيه ما هو «مستحب» وفيه ما ليس كذلك.

وعلى المرأة، بدلاً من ترك النفور يتراكم فى أعماقها، أن تجد الشجاعة فتقول لزوجها: أنا لا أحب هذا...

ولكن السر كل السر هو فى طريقة القول وأسلوبه، فى إفهام الزوج أن هذه البادرة أو تلك المداعبة أو هذه «اللغة» التى يخاطبها بها وهى بين ذراعيه، لا ترضيها ولا تقع الموقع الحسن من نفسها.

فإذا ما صحت به: «كيف تجرؤ على طلب هذا منى؟ من تحسبنى؟ ما أنت إلا رجل فاسد!»..إذا اندفعت تنددين به وتجرحينه بالكلام القاسى، عرّضت نفسك لخطر جسيم، خطر خسرانك زوجك ودفعه دفعاً إلى البحث عن متعته فى سرير آخر..

أما الوسيلة المثلى فهى أن تبدى حياله كل ما فى صدرك من حب وحنان حتى إذا ما غمرته بالرقة والعاطفة، جمعت شجاعتك وقلت له بلطف ماذا تحبين فى الحب وما لا تحبين.

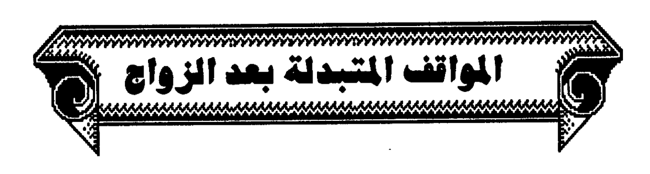
المهم ألا تترددى أبداً فى تعداد رغـباتك وتسمية ما لا ترغبـين فيه منه. هذا إذا كنت تحبين زوجك وتحـرصين على الاحتفـاظ به. ولك أن تطمئنى إلى أنه، وهو الرجل المجرب، لن يشعر بأى حرج حيـالك ولن يجد فى أقوالك إهانة أو تجريحاً اللهم إذا كان أسلوبك لبقاً، عاطفياً، أنثوياً.

وفى معظم الحالات يسعده جداً أن يعرف من فمك ماذا يرضيك منه ويمتعك.

وليس لك أن تنسى أبداً أن لا شئ يغـمر الرجل بالسعادة كـثقتـه بأنه قادر على إرضاء رغبات شريكتـه وتلبية جميع طلباتها. وليس ما يسعده كـشعوره بأن شريكته تجد بين ذراعيه أقصى ما تصبو إليه من متعة فتزداد به تعلقاً وغراماً.

وانطلاقاً من هـذه الحقيـقة الكبرى فـإن زوجك سيكون على اسـتعـداد كامل للتجاوب معك شـرط أن تحسنى إفهامه حقيقـة موقفك. هذا إذا لم يكن من النفر الذى يشكو الشـذوذ أو العقـد النفسـيـة ـ الجنسيـة، وفى مثل هذه الحـالة تكون معالجته من شأن الطبيب النفسانى.





المواقف المتبدلة بعد الزواج

هناك أوهام كثيرة تحيط بمسألة تبدل الناس بعد الزواج. ولكن أشد ما يلح على خاطرى هو الوهمان الشائعان بين الأزواج والزوجات.

* **الوهم الأول** يجرى على هذا النحو:

«أنا أعلم أن سعيداً يسرف فى تناول الشراب بعض الشئ، ولكننى أنتظر حتى نتزوج. إنه سوف يتغير» و «أنا أدرك أن جانيت أشد إقبالاً على حياة السهرات منى. ولكنك ستجد أنها سوف تستقر بعدما أضع خاتم الزواج فى أصبعها».

* **أما الوهم الثانى** فيداهم المرء طويلاً بعد أجراس الأعراس، وعندما يحل هذا الموقف: «لقد تزوجنا وليس ثمة ما يمكن عمله حتى يتبدل أو تتبدل هى، وهذه هى الحقيقة العارية».

غير أن كلاً من الأمرين وهم من الأوهام. فلا تتح المجال أمام أحدهما ليتسرب إلى عقلك. فإذا كانت ثمة حالات يتغير فيها بعض الناس حقاً بعد الزواج، فإن الصحيح كذلك أن التغيير الطارئ ينجم عن تكيف سلوك الإنسان القديم والطبيعى مع الأحداث الجديدة.

أما الآن وقد تزوج فلان واستقر سعيداً فإنه ربما قلل من إسرافه فى الشراب عما كان عليه فى حياة «العزوبية». ولعل السبب فى إسرافه كان رغبته فى بيت يستقر فيه، ومسؤوليات يسكن إليها. ولعل هذه ترضى بقضاء أمسياتها فى بيتها أشد الرضى، بعدما أصبحت تأنس إليه بأكثر مما كانت تأنس إلى بيت والديها. وإذا كان الأمر كذلك بالنسبة لهذه المرأة، فلعلها كانت تتشبه بحياة الفراشة المتنقلة، حتى تعثر على الزوج الذى يوفر لها بيتها الخاص، هذا الذى كانت تتوق إليه وتنشده طوال وقتها.

إذا كان هذا هو المقصود بالتغيير، فإن الناس يتغيرون بالفعل: أما الشخصية الأساسية فلا تتغير، وما من زوج أو (زوجة) قادر على القيام بمثل هذه المعجزة

السحرية مهما يبلغ تصميمه، ومهما يبلغ هو من الحب والتفهم. إذن فالمواقف هى التى تتغيـر. وما الرجل والمرأة إلا نتاج ظروفهـما وبيئتهـما الاجتمـاعية. والرجل والمرأة كلاهما يحـملان إلى حياة الزوجية ما تلـقناه طوال حياتهما. أما الشـخصية فتتركز فى أوائل العشرينات أو منتصفـها. ولكن مواقف المرء قد تجتمع مع مفاهيم شخص آخـر يرتبط معـه بعلاقـة عمـيقـة فى الصمـيم، لذلك يجب على كل من الطرفين فى العلاقة أن يـجمع بين هذه المواقف بطريقة تعاونية، كمـا يجب عليهما معـاً أن يعملا جنبـاً إلى جنب، وأن يبحثـا عن نقاط الاتفاق، لا نقـاط الخلاف، وليس لأحد، بالمقابل، أن يتوقع من الآخر القيام بعـملية التكيف بطريقة مستمرة، مما ينبغى أن يجرى بجهد مشترك وفى كل مرحلة أخرى من الحياة الزوجية.

أبلغ الخطيب الشاب خطيبته، منذ الأيام الأولى من الخطوبة، بأنه يحلو له لعب الورق. وليس فى هذا ما يشكل خطيئة عظيمة، طالما أنه لا يدمن القمار، ذلك أنه اعـتاد منذ سنوات لعب البـوكـر كل ليلة خمـيس، وأصـبح يجد فى ذلك مـتعـة شخـصيـة، وكان الشاب لا يربح كـثيـراً ولا يخسر كـذلك، بسبب الاعـتدال فى المراهنات. وقال الخطيب الشـاب أنه يود متابعة أمـسيات يوم الخمـيس بعد الزواج كذلك لكـنه أراد الوقوف على وجهـة نظر خطيبـته فى هذا الشـأن، ولقد اخـتتم موقفه بالقول أنه لن يتخلى عن عادته فى لعب الورق مـا لم يتوفر لديه مبرر وجيه لذلك.

أما الخطيـبة فقـد أبدت تفهـماً لوضعـه، قائلة أن عليه الاستـمـرار فى هوايته البريئة، ما دامت توفر الراحة لأعصابه المتعبة طيلة أيام الأسبوع من العمل الشاق، وقالت إنها سـتمضى ليالى الخمـيس فى زيارة والدتها، أو صديقتـها، أو تبقى فى المنزل لتطالع وتطلع..

ولكن الخطيبة كـانت تبطن غير ما تظهـر، إذ كانت تأمل من خطيبها أن يتـغير، فيقـلع عن عادة لعب الورق بعد الزواج. وكانت قـانعة بأنهما مـتى تزوجا لفتـهما السعادة فى بيتهما الجديد، حتى أن أمسيات لعب الورق ستفقد جاذبيتها فى قلب زوجها.

ولقد شاهدته يمضى فى ليلـة الجمعة الأولى بعد شهر العسل، مـرحاً منشرحاً،

فيما أمضت هى الليلة مع صديقة لها فى مشاهدة أحد الأفلام. وكانت ليلة عادية. لكن ليلة الخميس التالى لم تكن ممتعـة تماماً، فقد أمضت الليلة فى منزل والدتها، وبدت ممتعضة حينما جاء زوجها ليصطحـبها معه من هناك. أما ليلة الخميس الثالثة فقد وجدت نفسهـا فيها وحيدة، بعدما غادرت والدتها وشقـيقتها المدينة، ولم تجد من ترافقها إلى دار السينما، فاضطرت لقضاء الليلة وحيدة فى البيت!

جلست تشاهد شاشـة التلفزيون، ثم انتقلت إلى محاولة قراءة كـتاب ما. وكان الليل فى بدايتـه. فنزلت إلى دكان قـريب حيث اشـترت زجاجـة من الحليب، ثم عادت وجلست فى غرفة الجلوس الحديثة الفراش التى بدت، فجأة، واسعة جداً، وموحـشة إلى أبعد حد. وأخـذت «تمعن التفكير». فطغى عـليها إحســاس بالنفور والأسى لحاضرها، وازداد هذا الإحساس مع كل ساعة جديدة!

وإذ دقت الساعة معلنة منتصف الليل، دخل عليهـا زوجها سعيد وهو يقول أنه أمضى ليلة حافلة ربح خلالها نحو ٦,٥ ليرة. أما هى فقد كانت فى أعلى درجات الإحساس بالظـلم والمهانة. وكانت هذه هى أول معـركة ضخمة تدور بيـنهما، فى مثل هذا الوقت المتأخر من الليل.

وتوسل إليها الزوج ألا تفـقد العقل، إذ سبق له أن صارحها بـعادته على قضاء كل ليلة خمـيس فى لعب البوكر، وقد وافـقته على رغبتـه فى ذلك الحين. وإذن فلماذا هذا الغـضب المفاجئ؟. وهنا أجابته بعـبارات تكاد تختنق بعبـراتها: ولكنى كنت أعتقد أنك سوف تتبدل بعد زواجنا!

* الشباب وحياة الحرية :

يعيش الشباب والشـابات، اليوم قبل الزواج، حياة تتسم بالحـرية والاستقلال، والآباء والأمهات يتـسمون اليوم بنزعة تحررية فى تربيـة أبنائهم وبناتهم. فيكاد كل الفتيان والفتيات يملكون مفاتيح بيـوتهم التى يدخلونها وقتما يشاؤون. فإذا شاءت الفتاة أن تتأخر عن موعد عودتها إلى البيت، فحسبها أن تتصل بوالدتها، إذا كانت ثمة ضرورة لذلك. أمـا الفتى الذى يشارك أحد أصدقائه فى إيجـار (شقة عازب)

فإنه لا يجد مبرراً لإبلاغ أحد عن مكانه كما أنه غير مضطر لأخذ أحد فى حسبانه فى تلك الليلة، أو فى عطلة نهاية الأسبوع، أو فى العطلة الدراسية.

أما فى الحياة الزوجية فإن الزوجين يجدان حريتهما السابقة مقيدة، فقد أصبح على كل منهما أن يأخذ فى اعتباره وجود شخص آخر فى كل ما يفعل ويقول. وليس هذا بالأمر اليسير، بل إنه يزداد صعوبة مع الوقت، وتحول الأسابيع الأولى إلى شهور، إذن فما لم يواجه العريسان الشابان الحقيقة الواقعة، وهى أنه يتحتم عليهما العناية بمشاعر بعضهما، والتصرف باعتبارهما فريقاً واحداً، ويشتركان فى هدف واحد، فإن العاصفة لن تكون بعيدة.

* عاشره...تعرفه!

وليس بوسعنا معرفة شخص ما كل المعرفة ما لم نشاركه العيش، كما لن يكون بوسعنا معرفة حقيقة أنفسنا من حيث علاقتنا بشخص آخر إلا إذا تحققت هذه العلاقة. ومرة أخرى تتدخل مسألة النضج. فليس ثمة رجل أو امرأة يتمالك نفسه تجاه الانفعال للمنغصات الصغيرة التى لا بد منها فى عمليات تكيف الشخصية ويتصرف بطريقة ناضجة راشدة بعيدة عن الأنانية. ذلك أن الإحساس «بالمهانة» «والتسلط» «والإساءة» نتيجة عدم تطابق عادات الطرف الآخر وانفعالاته مع عاداتك وانفعالاتك، دليل أكيد على عدم نضج الشخصية.

وهكذا يجب عليك ـ الزوجة أو الزوج ـ أن تبدأ فتدرك أنه لا بد لهذه الاحتكاكات من الحدوث: وبكثرة على الأرجح. فيجب عليك أن تكون مستعداً لتكييف نفسك مع المتطلبات المفروضة على شخصيتك. بل يجب عليك أن تكون مستعداً ومتلهفاً للتعاون مع شريك حياتك. وهذا ما يتطلب منك أن تقلل من الاهتمام «بالدفاع عن حقوقك المشروعة»، وتركز على العمل لنجاح هذه الشراكة.

* الطبع يغلب التطبع :

وليس أقل خطأ ما يقوله فى ذلك أصحاب الخبرة العريقة بالزواج: هكذا نشأ (أو نشأت) وليس بوسع أحد، سوى الله، أن يغير من الطباع، إن هذا موقف

انهزامى محض ويجب تغييره كذلك.

لقد مضت سنوات عشر على زواج چورج وچانيت، اللذين يعيشان مع طفليهما البالغين من العمر ستة أعوام وثمانية أعوام، فى شقة بإحدى ضواحى المدينة. وقد اعتاد الزوجان قضاء معظم الوقت خارج البيت، فإن چورج يعمل محاسباً يبذل الكثير من وقته وجهده فى وظيفته، وإذا عاد إلى البيت مساء أمضى نصف ساعة أو أكثر مع طفليه قبل الجلوس إلى العشاء ثم يأوى الطفلان بعده إلى غرفتهما لأداء وظائفهما المنزلية، والدراسة، أو مشاهدة التلفزيون، فيما يقضى چورج نحو ساعة فى إنجاز أعماله التى جلبها معه من مكتبه. وبعدئذ يأوى إلى فراشه، حيث تجلس چانيت لتطالع كتاباً، أو تشاهد برنامجاً تلفزيونياً، ثم يشاهدان برنامج الأخبار معاً فى الساعة الحادية عشرة. وما هى إلا لحظات حتى يشعر چورج بالتعب، فيغفو نصف ساعة يصحو بعدها ليستحم، ويأوى إلى النوم.

إن كل هذا يثير جنون چانيت، الأمر الذى كان موضع جدل بين الزوجين، فچانيت تحتج قائلة أنها لا تدرى سبباً يحول دون استحمامه قبل أخبار الساعة الحادية عشرة، فيكون فى حالة من الانتعاش للاستمتاع بما توفر لهما من وقت قصير. ثم تنهال عليه سخرية من منظره وهو يتثاءب، ومن كثرة شخيره ورأسه ينتقل من جانب لآخر. . فيرد عليها بأنه يقوم بعمل مجهد يجعله منهكاً فى الساعة الحادية عشرة من كل ليلة. . . الخ. . . وهكذا يجدان نفسيهما أمام طريق مسدود، ولا يصلان إلى أى نقطة تفاهم!

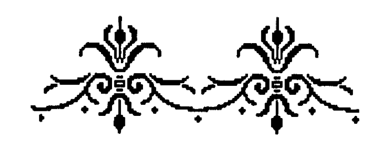
-إن هذا الوضع قابل للاستمرار. فالزوجان يخوضان مزيداً من المشاحنات حول أمور لا تنقطع، حتى يزداد نفورهما من بعضهما، فتتردد كلمة الطلاق فى عدة مناسبات. . . ويكشف الفحص ـ الدقيق لحالتهما عن أن أمراً صغيراً هو الذى كان بداية اشتعال كل هذه المشاكل، ذلك أن چورج يمقت أن يحدد له موعد الاستحمام، أى يصدر إليه «أمر» بعمل ما ـ كما كان فى الخامسة عشرة من عمره.

ويشعر المرء، عند إمعان الفكر، بأن الزوجين قد سمحا للسأم بأن يستولى على حياتهما الزوجية، مما أدى إلى خلق هذه الحالة من الامتعاض بينهما. لذلك

نصحـهما صـديق مشـترك بأن يهمـلا التلفزيون بين الحـين والآخر، لقـضاء نزهة قصيرة، وأن يمضيا ليلة واحدة على الأقل فى الأسبوع خارج البيت، إما للعشاء، أو لحضور فيلم سينمائى.

لكن أهم ما فى الأمر أنه كان لابد لهما من تعـديل مفاهيمهما. ذلك أن چانيت كانت صاحبة نزعة «ديكتاتورية» بعض الشئ فى تحديدها وقت الاستحمام لزوجها. كما أنهـا كانت تبنى كل سلوكها على أساس إحـساسها بالامتعـاض من نوم زوجها حينما يخلوان إلى بعضهما وإحساسها بالإهمال.

يضاف إلى ذلك أنها كانت تندد بحالته «الجمالية» أثناء الإغفاء. أما چورج فكان طفولياً بعض الشئ فى امتعاضه من متطلبات زوجته. كما كان طفولياً فى امتعاضه من متطـلبات زوجتـه، لمجرد أنهـا متطلبـات، وهذا ما أدى به إلى الانشـغال عن زوجته بالتفكير فى نفسه، فلقد كان يرفض الإقرار بأن رغبات زوجته أمور تختص به فعلاً.



١ ـ الزوج كما هو فى حقيقة الأمر.
٢ ـ الزوج كما يحلو له أن يكون.
٣ ـ الزوج كما تريده الزوجة.
٤ ـ الزوجة كما هى فى الواقع.
٥ ـ الزوجة كما يحلو لها أن تكون.
٦ ـ الزوجة كما يريد لها الزوج أن تكون.

وهكذا نجد أمامنا شخصيتين حقيقيتين، وأربع شخصيات خيالية. لكن الشخصيات الأربع قد لا تتحقق أبداً، على رغم من الوهم بإمكانية «تغيير» الطرف الآخر بعد الزواج.

إن أول ما يجب عليك توقعه فى علاقتك الزوجية هو احتمال تورطك فى الأوهام، وإصابتك بخيبة الأمل. فليس بوسعك أن تكون الشخص الخيالى الذى يتمناه الطرف الآخر، ولا يمكنك أن تكون الشخص الذى تعتقده بنفسك. وبعد فليست ثمة وصفة سحرية لتحويل نفسك أو شريكك إلى كائن خيالى.

لذلك يجب عليك أن تتفهم الشخصيتين الحقيقيتين، أى شخصيتك الحقيقية وشخصية الطرف الآخر الحقيقية كذلك، وما تعانيه شخصيتك من مشكلات حقيقية، فتعملان على منح هاتين الشخصيتين حياة مليئة خصبة حافلة بالإنجازات.

لقد تزوجتما من بعضكما لأن كلاًّ منكما انجذب إلى الطرف الآخر. وبالتالى ليس ثمة سبب معقول يحول دون تحقيق أحلامكما، بعدما توفر لكما هذا الأساس الصلب، بالمعنى الناضج والواقعى للكلمة. وما لم يتحقق ذلك فلن يكون بوسعكما أن تطلقا على وضعكما الاجتماعى أنه حالة زواج حقيقية.

وإذا كنتما تفكران فى أن زواجكما سيكون يسيراً، ويوفر لكما السعادة المثالية

والرضى التام، فلا بد لنا من أن نصارحكما القول بأنكما قد وقعتما فريسة الخيال الجامح. فللزواج، كما للحياة، ذروة كمال ولجة قنوط، بل وفترات هدنة بين كمال السعادة ومنتهى اليأس. وهذه حالات لا تعرف الثبات بل تكون عرضة لليأس.

* تطورات تجارب المشاركة :

إن السنة الأولى، أو السنتين الأوليين من الزواج، تنطويان على نوع جديد من التجارب المشتركة. ثم يطرأ تبدل على الزواج بعدما تنجبان الأطفال، وبعده تبدل جديد آخر حينما تبلغان وأبناؤكما مرحلة جديدة من العمر، إذ تعانون من مشكلات مختلفة أشد الاختلاف عما عرفتم فى الماضى، فتبدل جديد آخر بعدما يتزوج هؤلاء الأبناء، أو يتخذون خطاً مستقلاً فى الحياة، الأمر الذى تضطران معه للتكيف مرة أخرى مع نمط الحياة الجديدة، حينما تضطران للعيش مع بعضكما البعض وحيدين لمواجهته.

إذن لا بد لكما من أن تتمتعا بالقدرة على تكييف مواقفكما مع هذه التبدلات الطارئة على حياتكما. وبكلمة أوضح يجب أن تتوفر لديكما المقدرة على التكيف والتلاؤم مع المتطلبات المفروضة عليكما. يجب أن يتمتع كل منكما بمقدرة تفهم الآخر، وفهم أعماق نفسه شخصياً، لتتمكن من التكيف مع الأوقات العصيبة الحرجة، بنفس القدرة على المهارة فى التكيف مع فترات الانسجام السعيدة.

ذلكم هو النضج... هذه الحالة التى كثيراً ما استغرقت عمر الإنسان برمته. والنضج بعد تجربة غنية لا يستطيع البعض خوضها، ليس إعراضاً منهم عنها، وإنما هو جهل بأصولها.

وتخطرنى لهذه المناسبة صورة امرأة فى الخمسينات أو الستينات من العمر. إنها المرأة التى لا تشب عن الطوق. إنها الطفلة الخالدة. بل إنها ترتدى الأزياء المناسبة لهذا الدور وتتصرف على أساسه. فتجدها أقرب إلى صورة ابنة زوجها منها إلى زوجته. بل إنها لم تخاطبه باسمه، أو تشر إليه منذ سنوات، فتناديه «بابا»،

وتمضى إلى حـد المطالبة بإعـجاب و «تدلـيل» مسـتمـرين من أبنائها وكم تتـفاخـر بذلك. . . وكثـيراً مـا يكون حديثهـا أقرب إلى حـديث الأطفال! نعم إنهـا صورة مشوهة عن المرأة وكم هو محزن أن يقع نظر المرء عليها. . .

وربما تعـرفـان نظيـرهـا الذكـر: الرجل الطـفل الذى يرهق زوجـتـه وأبناءه بالمطالب. . فـتـتحـول زوجـته إلى شـخـصيـة باهتـة، تنتظر من زوجـها الأوامـر وتفصيلاتهـا حتى تتمكن من إنجازها. وهو رجل لم تتهيأ له الفـرصة لمعرفة أبنائه، سواء عـلى مسـتوى الأبوة، أو الصـداقة. ومع ذلك فـإنه يسارع إلى القـول بأنه «يحب هؤلاء الأطفال». ولكن هؤلاء إنما يمثلون له صورة أنانيته الخاصة. فإذا لم يحققـوا له توقعاته، سواء فى سلوكهم أو اختـيارهم لمهنهم، ثارت ثائرته. ولذلك فإن أبناءه يسرعون إلى مغادرة بيت أبيهم فى أول فرصة تسنح لهم.

والواقع أن هذا الرجل الفج، وتلك المرأة الفـجة، إنما يستـمران على نهج من الحياة اكـتسباه فى صـغرهما، وحملاه مـعهما إلى حيـاة الرشد والنضج. ذلك أن أبويهما قـد أفسداهما منذ الصغر، فنشـآ على الاعتقاد بأنهما مـركز العالم. وهكذا فإن أحداً منهـما لم يمتلك من الحكمة ما يسـمح له بتكييف مواقفه مع مـتبدلات العالم، أو من الحظ ما يسمح لـه بلقاء من يساعده فى مشاهدة نفسـه على صفحة المرآة، فيتحول إلى إنسان منتج متفهم متعاطف.

إذن فلا تخدعا نفسيكما بوهم إمكانية تبدل الأحوال بعد الزواج عما كانت عليه من قبله، بل ليسـتعد كل منكما على تكييف مـواقفه ليتمكن من مسـاعدة شريكه على ذلك، بحيث تتمكن من اكتساب المرونة الكافية لتقبل الواقع، والترحيب به، فى الزواج.





* من يشترى حاجيات المنزل ؟

سؤال :

لقد مضى على زواجى من ألبيـر ستة أشهر. وقد وقعت أول مشـاحنة ضخمة بيننا حول مـسألة شراء الحـاجيات المنزلية فى أيام الـعطلة الأسبوعيـة، وكان ذلك خلال الأسبوع الأول من انتقالنا إلى منزلنا الجديد، الذى يقع فى ضواحى المدينة، حيث توفر بالقرب منا مركز رائع لشـراء هذه الحاجيات. وقد جرت العادة على أن يزدحم هذا المركز بالأزواج والزوجات صباحاً ـ والكثيرون منهم أصدقاء وجيران لنا ـ لشراء حاجـيات الأسبوع بكامله. وهناك يلتـقى الناس بعضهم ببعض، فيـقفون للتحادث أو تنـاول زجاجة مياه غـازية. وهكذا تتحول المسألة من مـجرد عمل إلى متعة. لكن هذا لا يحلو لألبير على الإطلاق.

وقد اعتاد أبواى النزول إلى السوق معـاً، وشراء حاجيات المنزل فى أيام العطلة الأسبـوعية. فلمـا تزوجنا اعتقدت أن هـذه ستكون حالنا كـذلك. ولكننى لم أكد اقترح هذا على ألبير حتى انتـابنى ندم شديد على ذلك، إذ حدجنى بنظرة غاضبة، حتى اعـتقدت اننـى ألحقت به أذى شديداً. فكانت جـولة من الشجـار الغاضب، ومضيـت وحيدة إلى السوق. وكـان لذلك وقع رهيب علينا معاً، لكننا انتـهينا إلى المصالحـة مساء. وقـد بررت ذلك بعادة أبوى، وكيف كنت أتـطلع إلى اليوم الذى أقوم فـيه بنفس العـادة مع زوجى. وقلت له أن الناس لو شاهدونـى أنزل السوق وحيدة كل مرة لاعتقدوا بأن فى الأمر سوءاً !

وقد تفهم ألبير حقيقة وضـعى، واعترف لى بأنه قد أخطأ الاعتقاد، وابتداء من الأسبوع القادم سوف يصحبنى إلى السوق.

ومنذ ذلك الحين لم ننقطع عن الذهاب إلى السـوق معاً. لكننى أعتقـد بأنه غير راض عن هذه الحـال، على الرغم مـن أنه لا ينبس ببنت شـفـة، فـتـجـده يتلكأ

بالصحو يوم العطلة، ولا بد له من أن يجد عيباً فيما نشترى. فإذا عدنا إلى البيت لاذ بالصمت، وانقطع الحديث بيننا تقريباً. فماذا ينبغى علىّ عمله حتى يجد متعة فى هذه الرحلة المشتركة، كما كنت أعتقد فى الماضى؟

جواب :

ليس ثمة ما يمكنك عمله. فزوجك ألبير لا يحب عملية الشراء، وإذا كان ذلك يحلو لبعض الرجال. لكن الحقيقة المجردة هى أن ألبير لا يجد متعة فى الشراء من السوق، لذلك لا بد لك من أن تنظرى إلى هذه الحقيقة بعقل مجرد، فليس ينبغى أن يساير ألبير نزوع أبويك إلى النزول إلى السوق!

أنت يا سيدتى إنما تفكرين فى نفسك وليس فى زوجك، فأنت تعتقدين أنك مادمت تستمتعين بعملية النزول إلى السوق فلا بد لزوجك من أن يشاركك المتعة، كما تعلمين أنك ستكونين محرجة إذا لم يكن ألبير بجانبك فى السوق.

ولكن ليست لاعتقاد الناس و «ظنونهم» أية علاقة بنجاح زواجك إطلاقاً، فهذه مسألة شخصية خاصة. وإذا كانت علاقتكما فى وضعها السليم، لم تبد اهتماماً باستنتاجات جيرانك وأصدقائك وصديقاتك. وإذا كانت العلاقة السليمة بدت واضحة لكل إنسان بحيث لا يكون ثمة مجال لأى استنتاج.

ومع ذلك فإن شراء الحاجيات معاً أمر بسيط، لكنه قد يؤدى إلى نشوب خلافات حادة مع زوجك فى شؤون أخرى. فأنت وألبير شخصان مختلفان، ولستما كائناً واحداً. وواضح أن ألبير بذل جهداً كبيراً للامتثال إلى رغباتك، وإلى تفهم مشاعرك حيالها. لكنه لا يستطيع تغيير حقيقة طبيعته، كما لا تملكين أنت وسيلة إلى ذلك.

وهكذا لا تكادين تتفهمين هذا الأمر، وتنقطعين عن مطالبته بما يكره، حتى تجديه يتقدم إلى تلبية مطالبك بامتنان، وتزداد علاقتكما رسوخاً، وتصبح أشد إمتاعاً مما كانت عليه فى أى وقت مضى. فدعى هذه القضية بكل لباقة، إذ أن ثمة أموراً كثيرة يمكنكما الاشتراك فى عملها، والاستمتاع بها بكل صدق وإخلاص معاً.

* الإفادة من المشاحنات :

سؤال :

قبل خمسة أسابيع، وبعد جولة أخرى من المشاحنات المريرة، هجرنى زوجى. ولقد كانت لنا جولات عديدة من المشاحنات على مدى السنوات السبع الماضية من حياتنا الزوجية. وقد جرت العادة على أن يهجر أحدنا البيت بعد جولة حامية. فكنت ألجأ إلى بيت والدتى أحياناً، أو يلجأ هو إلى منزل أحد أصدقائه أحياناً أخرى. وكان أحدنا يتصل بالآخر دائماً للمصالحة، قبل هذه المرة، فتعود الأمور إلى مجاريها ثانية. فنحن نتبادل الحب الصادق. لذلك كنا نعود إلى المصالحة باستمرار.

أما هذه المرة فقد هددنى بأنه، إذا هجر البيت، فلن يعود إليه قط. وكان جاداً فى تهديده. لكنى كنت ثائرة حتى الجنون فأجبته: «حسناً، هيا اترك البيت، فليس ثمة من يحتاج إليك. بل إنى سأكون أفضل حالاً بدونك».

فلما هجر البيت، اتصلت به مراراً وتكراراً، اطلب إليه العودة. لكنه كان يجيبنى بأنه لن يعود ويفضل العيش وحيداً لينعم بالهدوء والراحة والسلام. وقد أكد لى أنه ما زال يحبنى، لكنه لا يرغب فى العيش معى بعد الآن. وأنا أعلم أنه لا يرتبط بامرأة أخرى. ولو كانت ثمة غريمة تنافسنى لفهمت الوضع. ولقد أدركت فى وحدتى أننى كنت كثيرة الإلحاف «النقيق» كما كان استفزازى له كبيراً. وأدركت الآن أننى مزاجية إلى الحد الذى لا يمكن معه، احتمال العيش معى! نعم، لقد أعملت الفكر كثيراً منذ ذلك الحين وتوصلت إلى استنتاج قاطع بأننى لن أعاود سيرتى القديمة مرة ثانية، بعدما تلقيت درسى البليغ وعشت حياة الوحدة، وأنا واثقة بأنه سيعود إلىّ لو أتاح لى فرصة جديدة، وبذلك تنقطع مشاحناتنا. فلقد أصبحت امرأة خلقت من جديد. فكيف يمكننى إقناعه بذلك؟

جواب :

ليس بوسعك إقناعه بذلك، وأنت على حالتك الراهنة. وأنا واثق من أن الأسابيع الخمسة الماضية لقنتك درساً بليغاً، كما أننى واثق من صدق رغبتك فى

بذل أقصى ما لديك لتحقيق حياة زوجية أشد مدعاة للسعادة. ولكنك تقولين، يا عزيزتى، إنك لن تعودى إلى سابق عهدك بالمشاحنات مرة ثانية. وهنا أنت بعيدة فى هذا القول عن الواقع:

تقولين أنك قد تبدلت. ولكن ليس ثمة إنسان يملك أن يبدل طبيعته الأساسية بصورة حاسمة. فالحقيقة المجردة الأكيدة هى أن مثل هذا الأمر غير متاح لأحد. وهنا يكمن الخطأ الأساسى. فأنت ترسمين فى عقلك عالماً خيالياً تتصورين فيه زوجك عائداً إليك، فلا تخاطبينه بكلمة اعتراض واحدة! أما إذا نظرت إلى الأمر بعين النضج والرشد، فستدركين أنك متورطة فى عالم أحلام اليقظة. إذ لا بد من اختلاف وجهات النظر بين أى شخصين يحملان لبعضهما كل الحب، وبالتالى من البديهى أن ينشأ بينهما خلاف ويدور نقاش. وهكذا فأنتما لا تشكلان استثناء للقاعدة، وبخاصة بعد خلافات محتدمة على امتداد السنوات السبع الماضية.

إذن يجب عليك أن تبادرى للذهاب إلى زوجك، وتصارحيه بأنك تدركين حقيقة الخطأ فى الأمر، وأنك لم تعالجى القضية بالروية، فكنت امرأة يصعب العيش معها حقاً. إذن فاعملى على إقناعه بذلك، طالما أنكما تتبادلان الحب، واعملا معاً لجعل زواجكما رائعاً بناء. وأخبريه أنك ستقومين بدورك المطلوب فى الحد من نشوب المشاحنات، وأنكما لن تعمدا إلى هجر بعضكما حينما ينشأ خلاف بينكما، ولن تلجآ إلى الانفصال بعد الآن، مهما تبلغ حدة الخلاف، وبذلك تتوقفين من جهتك عن اللجوء إلى «بيت أمك» كفتاة مدللة أفسدها الدلال، حينما لا تتفق وجهات النظر بينكما. وهكذا يجب عليكما أن تتعلما الاستفادة من المشاحنات بطريقة بناءة، وليس بطريقة هدامة.

* التكيف مع الأوضاع :

سؤال:

لقد أصبحت حياتى مع بيير لا تطاق، بعد ثلاثة أشهر من زواجنا. وبدأت الأمور تسير من سئ إلى أسوأ رغم جميع محاولاتى!

كان بيير قد عاش فى شقة خاصة طوال خمس سنوات قبل زواجنا. وهو الابن الوحيد لأبويه اللذين يخيم الهدوء على حياتهما، إذ يميلان إلى قضاء معظم الوقت فى مطالعة الكتب. أما والده فيعمل أستاذاً فى إحدى الجامعات، فيما أنتمى أنا إلى أسرة واسعة، وطعام الفطور عندنا فترة تضج بالحركة، بطبيعة الحال، وكانت أمى تحرص على أن يتوفر لنا وقت طويل للاستمتاع بهذه الفترة. وما زلت أنا أصحو وكلى حيوية ونشاط وسعادة حتى الآن.

لكن بيير لا يشاركنى هذا الشعور. إذ من العسير إيقاظه من نومه بل إنى اضطر إلى الإلحاح عليه أربع مرات أو خمساً، حتى يتمالك نفسه فيهب من سريره. وإذا وقعت عيناه على المائدة الكبيرة التى أقوم بتحضيرها، انتابه شعور حاد بالغثيان، بل إنه ليرفض الحديث على المائدة، فيتجهم وجهه، ويخفى رأسه وراء صحيفة الصباح، فلا يتناول إلا فنجان القهوة، معرضاً عن كل أمر آخر. ثم يغادر البيت إلى محطة الباص، نصف ساعة قبل الأوان!

لذلك تجدنى أشعر بالمهانة لتصرفاته، فأحبس عبراتى حتى يغادر البيت لأستسلم إلى نوبة من البكاء.

أما إذا شاهدنى باكية صاح: «آه ياالله»، ثم يحمل قبعته وحافظة أوراقه ويسرع مغادراً البيت!

وها أنا ذا أسألك النصيحة حول ما يجب علىّ عمله، لأشيع المرح فى نفسه وأقنعه بتناول وجبة طعام طيبة المذاق مفيدة وممتعة؟

جواب:

لا شئ غير أن تجددى بذل المحاولات لتكييف نفسك مع هذا الوضع. بل يجب عليك أن تتفهمى ذلك قبل أى أمر آخر.

إن بيير رجل يجد صعوبة فى الانتقال من حالة النوم إلى اليقظة، ولهذا يحتاج إلى هدوء مطلق فى الصباح. ذلك أن الصوت البشرى - وإن كان صوتك - يثير ثائرته. فإذا كانت حاجته تقتصر على فنجان القهوة، فلا تلحى عليه بتناول أى شئ آخر. أما إذا شئت أنت أن تحفل المائدة بأطايب الطعام، فاحرصى على أن يكون

ذلك بعد مغـادرته البيت، ومن ثم يمكنك الالتفات إلى سمـاع الراديو، أو التقاط تلك الجريدة التى رماها زوجك، والاستسلام لمتعة الطعام.

حـسبك إذن أن تـتناولى فنجـانك الأول من القهـوة مع زوجك بهـدوء، ولا تحاولـى الحديث، أو الصـفيـر أو الهمس. فـإذا كان مـتلفتـاً إلى مطالعة جـريدة الصباح، وبدا عليه أنه يـهمل حضورك فإنه ولا شك يجد متـعة فى حضورك إلى جانبـه وثمة نصيحـة لا بد لك من مراعاتها: لا تحـاولى أن تتخذى وضع شهـيدة الواجب، فمثل زوجك لا يرضى عن ذلك، إذ أنه لا يقصـد إهمالك. أما عزوفه عن الحديث فلا يعنى أن حبه الذى تجلى لك فى الليلة الماضية قد خمدت جذوته، إذ هو لا يقل حـباً عمـا كان عـهدك به. . .إن لم نقل أن حـبه لك قد تـضاعف. والناس بعد يشعرون بمدى قربهم إلى بعضهم حينما لا يجدون كلمة يتبادلونها معاً.

الحقيقـة العارية هو أنكما شخصان تختلفـان عن بعضكما. ففيما تهـبط حيويته إلى أدنى مستوياتها فى الصباح حتى تبلغ ذروتها فى الساعات التالية، تصحين أنت من نومك يقظة مرحة تتدفقين حيـوية حتى تبلغى ذروة الحيوية والنشاط من قبله، أى عند العـصر، ثم تخـمد هذه الحـيوية بطريقـة لا تكاد تلحظ، حتى تنعـدم فى المساء. ذلك أن ثمة حقائق ثابتة فى عمليـات التحولات الأساسية فى الجسم. وإذا كنتما تمثلان قطبين مـتعارضين، فلا يعنى ذلك أنكما قد حرمـتما من فرصة الزواج السعـيد المثـالى. فالمسـألة تتطلب التـفهم والتلاؤم، شـأن أية مرحلة مـن مراحل الزواج.



حواء الأم والحبيبة الغامضة المتدفقة أنوثة وحناناً، تلك المرأة التى خلقت لتكون دمية الرجل. علـى مر العصور تبدلت. لم تـعد تكتفى برضاه ولا التـفوق عليه. طالبت بالكثير ونالت الأكثر.

مع تطور الزمن تطورت تلك المؤسسة التى اسمها البيت والعائلة. فللراغبين بالزواج طرق كثيرة يسلكونها لتكوين البيت السعيد عندما يكون الرجل حبيباً أو خطيباً فهو ذاك العاشق المتيم يحاول بشتى الوسائل كسب ود خطيبته بالكلام والأحاسيس أو بالهدايا. يفرش لها الأرض زهوراً والأحلام حقيقة. بمجرد الزواج تتبدل تلك العلاقة. يحسب نفسه امتلكها أو لا ضرورة ليعيد تلك الكلمات والعواطف على مسمعها. نسى أن المرأة مهما بلغت من مراتب تظل تلك المخلوقة الضعيفة المشحونة بالعواطف والأحاسيس. بالمناسبة لابد من ذكر بعض الحالات التى يفشل فيها الزواج أو تواجهه.

الحالة الأولى :

مشكلة مزمنة. فكم من بيوت تهدمت وأزواج افترقوا. إنها الأم الأرملة المتسلطة. تحسب ابنها ملكاً لها حتى بعد الزواج. بحجة أنها سيدة كبيرة وذات خبرة تستغل الظروف لإدارة حياة الزوجين الاقتصادية والمعيشية. لا تدع لهما مجالاً للاستقلال بحياتهما الجديدة.

وفى بعض الأحيان تبلغ بالشاب الطاعة لأمه درجة تجعله يطلعها على كل ما تبديه عروسه من شكوى وما تظهره من تذمر. وقد تكون غايته من جراء ذلك طلب المساعدة من أمه لإصلاح الزوجة وإزالة أسباب الشكوى والتذمر.

الحالة الثانية :

وهى مشكلة نابعة من حياتنا العصرية تنطبق على الأستاذ الجامعى ـ مثلاً ـ

المخلص لمهنته والذى يتفانى فى معاملة طلابه كما لو كانوا إخوة له. فهو يساعدهم بأمورهم المدرسية وحل مشاكلهم الخاصـة، حتى عندما تزوج لم يرع انتباهاً لمشاعر زوجته. بعض طالباته يراسلنه، يطلبن النصيحـة. كعادته يرحب بأسئلتهن، يخفى عن زوجته الرسائل، لا يحب أن تساعد فى حل المشكلات، ناسياً أن له شريكاً فى البيت هى امرأته تحسبه لها وحدها، مع أنه لو فعل لما كان هناك سوء تفاهم.

الحالة الثالثة :

الشاب الذى اعـتاد أن يحل مشـاكله بمفرده فهـو عندما يتزوج يبـقى على حاله يأخذ القـرارات دون استشـارتها حتى لو كـان من ضمن أعـمالها كـتغيـير المسكن وغيره. هذا الرجل يضعف من روح امرأته المعنوية، ويجعلهـا كتابعة له أو وصيفة أكثر منها شريكة لحياته.

الحالة الرابعة :

ذلك الرجل الذى لا يتدخـل بشؤون امرأته فـيوافقـها جمـيع الآراء. لا يعرف وظيفتـه كرب أسرة تتطلب منه الحزم واتخاذ القـرارات والمشاركة. إن المرأة تطلب من الرجل القوة وحكمة الرأى وقيادة الأسرة . وإن لم يفعل تضطر هى آنذاك أن تكون البديل، ويخسر احترام زوجته له.

الحالة الخامسة :

قصة الطالب الذى أحب زميلته قبـل التخرج واتفقا على الزواج، وصادفت أن تخرجت قبله ودخلت معـترك العمل تشتغل باختصاصـها وتقوم على تزويد العائلة بالمال إلى أن يأتى اليوم ويتخرج الزوج ويجد العـمل المناسب. عندها تخيب آمالها إذ تجد من كـانت تحلم به كزوج مـثالى لم يعتـرف بجهودها الـتى بذلت ولا بأخذ الأعباء القيادية منها وتشجيعهـا بالرجوع إلى مكانها الطبيعى كسيدة بيت. . بل تجده ذاك الرجل الأنانى يعتمد عليـها فى الأمور الاقتصادية ليبذر ما يكسـبه على حاجته وملذاته.

بعـد مراجـعاتنا لتلك الزيجـات المختـلفة لا يسـعنا إلا الإدلاء برأينا فقـد يكون للصواب فيه طريق:

١ - إن المرأة لا تطلب من الرجل غير الثـقة. ولكى يكسب ثقتها عليـه أن يتقرب منها وألا يخفى شيئًا عنها.

٢ - المرأة شريكتـه يجب أن يكون لها الأولوية فى الرأى والنصح المخلصـين قبل الأهل والأصدقاء.

٣ - أن يدعها تشاركه حياته حتى تشعر بمكانتها الحقيقية ولا تبدو كتابع له.

٤ - فى حل المشاكل العـائلية لا يجب الانفراد لوحده باتخـاذ القرارات بل بإتاحة الفرصة لها بالمساهمة بنصيبها فى الرأى وإيجاد الحلول المناسبة.

٥ - ألا ينسى الرجل أخيرًا أن المرأة مـخلوق عاطفى فيهـمس فى أذنها عن تقديره وإحساسه وشعوره نحوها.



الفهـــــرس

الموضـــــوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

رقم الإيداع بدار الكتب ١٦٢٩ / ١٩٩٥

دار النصر للطباعة الإسلامية
٢ - شارع نشاطى شبرا القاهرة
الرقم البريدى ـــ ١١٢٣١